العـدد الممتاز

الكتاب

تصدرها جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين

العدد الثالث والرابع

السنة الثانية

الكتاب

مجلة شهرية ثقافية

تصدرها

جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين

بغداد

العددان الثالث والرابع السنة الثانية حزيران وتموز ١٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يديك أيها القاريء الكريم عددان في مجلد واحد .

عدد خاص بما ألقي في الحفلة الكبرى التي أقامتها جمعية المؤلفين والكتاب لتأبين فقيد الفكر والادب الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد ، في مساء الرابع عشر من مايس سنة ١٩٦٤ .

وعدد يشمل ما لدى التحرير من مقالات ومحاضرات وبحوث عامة . ولقد آثرنا أن نجمع العددين في مجلد واحد تعويضا للقراء عن فترة الصيف التي ستتوقف فيها المجلة عن الصدور لتعود بعدها أمضى عزما في سبيل تحقيق رسالتها الفكرية .

ولقد مرت – منذ صدور العدد الماضي حتى صدور هذين العددين – ذكريان أدبيتان آثرنا ألا يخلو منهما هذا المجلد ، الأولى ذكرى الشاعر الكبير المرحوم عبدالمحسن الكاظمي . والثانية ذكرى الكاتب الجريء المرحوم ابراهيم صالح شكر . فاثبتنا في مجلدنا هذا ما رأينا فيه تحية لكل منهما في ذكراه . رحم الله الأديبين واثابهما الجنة عما قدماه للوطن والفكر .

وحدث في الوطن العربي في هذه الفترة أيضا حدثان كبيران وجدنا من الامانة للتاريخ العربي أن نثبتهما في مجلدنا هذا .. أولهما الحدث الضخم باتمام المرحلة الاولى من بناء السد العربي العالي وتحويل مجرى نهر النيل . وثانيهما الحدث الخالد بتوقيع الاتفاقية الممهدة للوحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية في السادس والعشرين من مايس ١٩٦٤ .

ونرجو ان يتقبل القراء هذين العددين بقبولهم الحسن . ونعد من لم يستوعب نطاقهما نتاج قلمه من الكتاب والشعراء أن نثبته في أعدادنا القادمة ، والله ولي التوفيق .

لجنة المجلة

جمعية المؤلفين والكتاب

العراقيين

الحفل التأبيني لفقيد الأدب العربي

الأستاذ الكبير

عباس محمود العقاد

مساء الخميس ١٤ مايس ١٩٦٤



العقاد بين كتبه في بيته

العقاد الكاتب

الدكتور عبد العزيز الدوري

بسم الله الرحمن الرحيم

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

ان لنا في العقاد مثل الكاتب نذر حياته للادب والثقافة ، ونذر قلمه لخدمة أمته • ولنا في العقاد الكاتب الذي وعي دوره في أمـة تنشد حيـاة جديدة ، فاستوعب تراثها ، وفتح قلبـه للثقـافة ليجد في ذلك مجال خصـب وغنـى وليجد فيه سبيلا لبث الحيوية ولتجديد البناء •

نشأ العقاد وسط جيل مضطرب ، يتطلع الى حياة جديدة ولكنه قلق موزع • بين فئات لاتريد الا ما ورثت ، واخرى لاترى حسـنا الا في الغرب وثقافتـه ولا تعبأ بالذات ، ويذهب بعضها عن جهل او هوى الى التقليل من شـأنه والى التنديد به • وفي وسط هذا التناقض والتطلع وجد العقاد بداية الطريق •

لقـد آمن العقاد بالحرية بأوسع معانيها ، وتمثلت لديه الفردية والاعتزاز بالرأي ، ولكن ذلك طبع فكره بطابع انسـاني وطبع نتاجه بطبع من شـخصيته وتفكيره القوي •

عمل العقاد على تجديد الثقافة العربية ، فنقـل اليهـا الكثير من الافكار والاتجاهات العالمية الحديثة ـ عمل ذلك ببصر نافذ وبفكر متميز فلم يكـن ناقلا فحسب بل تمثل ما أخذ وقدم ما استحسن •

واجتهد العقاد في أن يرد على التشكيك ، في ان يوجه الناشئة ، الى فهـم تراثهم او أن يقرب جانبا منه الى افهامهم بطريق جديد وبأسلوب جذاب •

[ووقف موقف الناقد من تراث امته وموقف الحريص على ما في التراث من غنى ومآثر] . وتمثل ذلك في دفاعه الواعي عن الاسلام وفي تحليله النسير لبعض صفحاته . وتمثل ذلك في دراسته لعبقرية الرسول ولعبقريات بعض أصحابه الافذاذ

لم يسر العقاد على النهج المألوف في السير عند دراسته للعبقريات ، بل اكتفى باختيار الملامح القومية محاولاً عرضها بكل قوة . ولم يرد لها ان تكون دراسات تاريخية بل أراد أن يكشف عن الجوانب الانسانية التي تجلت في العبقريات ، وأراد أن يعرف « بالنفس الانسانية في حال من أحوال العظمة والعبقرية او حالة من احوال النبل والاريحية » .

ولقد رجا أن يرى الشاكين والمترددين يثوبون الى الامل والرجاء كلما لمسوا للنفس الانسانية جذورا عميقة في اصول الحياة .]

واذا كانت كل فترة تاريخية تؤثر في الفترة التي تليها قرب فترة بعدت كان اثرها في حياة الامة متجدداً كلما وعت نفسها وكان اثرها مصدر أمل وقوة . وهذا يصدق على فترة صدر الاسلام التي عاش فيها ابطاله .

لقد قدم العقاد في عبقرياته الاصول العربية والمثل الاسلامية . وبعد ، فتقديمه لعبقرياته يكشف عن امكانيات هذه الامة وعن روعة الرسالة التي رفعتهم الى موطن العظمة وحفظت لهم المكانة العليا في تاريخ الانسانية .

وآراء العقاد بدراساته هذه أراد بها أن تكون اجابة مباشرة او غير مباشرة على الجهل بالتراث وعلى الغرض والهوى . وأراد بها أن تعيد الامل الى النفوس والثقة بأمكانيات هذه الامة . وأراد بها ان يعرف جوانب من التراث العربي الانساني باسلوب محبب وان يذكر باهميته في الحياة الجديدة .

وهكذا ساهم العقاد في تجديد الثقافة العربية ، وفي اغناء الوعي العربي وفي بث الثقة والحيوية فيه .

التعريف بالعقاد

كريم

جمال الدين الآلوسي

ان الطليعة المتعلمة في العراق وفي دنيا العروبة من المحيط الى الخليج مدينة بكثير من معارفها للمغفور له الاستاذ عباس محمود العقاد الأديب الكبير الذي ظل دعامة شامخة للفكر والأدب والفن والعلم مدة ستين سنة ، من الوفاء لبعض هذا الدين أن نقيم له هذا الحفل ، واسمحوا لي أن اقدم بعض نواحيه في سطور فالاستاذ العقاد معرفة والمعرفة لا تعرف وانا أقل من ألمَّ بجوانب ذلك العلم الفرد والطود الشامخ ، فقد تضوع ذكره في الآفاق العربية وغير العربية وهو من شوامخ المفكرين الخالدين في القرن العشرين •

× ولد المغفور له في اسوان في ٢٩ حزيران سنة ١٨٨٩م وتلقى دراسته الابتدائية فيها •

× وكان الفضل في توجيهه الادبي يعود الى الشيخ أحمد الجداوي أحد شيوخ الازهر من تلامذة جمال الدين الافغاني فهو الذي حبب اليه الادب العربي وأول ديوان حصل عليه في اسوان هو ديوان البهاء زهير واول كتاب ادبي استوعبه كتاب المستظرف •

× اعجب بصحيفة (الاستاذ) لصاحبها عبدالله النديم الذي كان يردد ذكره الشيخ الجداوي ويقرؤها في ناديه على سمار مجلسه فأخذ فقيدنا ببراعته واسلوبه الساخر •

× لم يتخرج من كلية او جامعة وانما اختار اساتذته بنفسه وكانوا لا يُحصون عدداً اختارهم من جهابذة المؤلفين فصابر على استيعاب أفكارهم والتملي من أساليبهم •

× بدأ الكتابة في صحيفتي الظاهر والدستور سنة ١٩٠٤ ونشر اول كتاب له (خلاصة اليومية سنة ١٩١١ كما أخرج أول ديوان له سنة ١٩١٦) ٠

× عين بوظيفة حكومية في الزقازيق كان يدخر منها جنيها ليُصدر صحيفة محلية أدبية واخبارية كانت تسد نفقاتها ويقول العقاد ان طبعها لم يكلفه سوى ثلاثين قرشا ٠

× تعلم التلغراف في احدى مدارس الدمرداش في القاهرة

× لم يطق العمل الرتيب في الوظيفة فتركها واشتغل في الصحافة وعاش حياته كلها من قلمه ، كتب في الدستور والمؤيد والاهالي والاهرام والبلاغ وكتب في المجلات الاسبوعية والشهرية المقتطف والهلال والسياسة والكاتب والكتاب والازهر ٠

× وعلَّم في فترات من حياته في اسوان والقاهرة واعطى دروسا لمدة ثلاثة شهور لتاجر من جيرانه نظير كسوة كاملة ٠

× بلغ من شغف العقاد بالقراءة انه كان يقرأ كتبا لا يقصد الكتابة او التأليف عنها حتى انه قرأ مجلدات في غرائز الحشرات ويقول (ان قدرتي على التحليل النفسي ناتجة عن دراستي للحشرات) ٠

× أول كتاب له في النقد هو (الديوان) صدر منه جزءان فكان طليعة النقاد الموجهين بل ظل زعيم الحركة النقدية يعالجها في مقالاته وكتبه ، فغيَّر الكثير من المفاهيم الادبية السائدة في الشعر والنثر وعرَّف الكتاب والشعراء الذوق الادبي السليم والاسلوب الرصين ووضع للباحثين طرق البحث ومهد للنقاد موازين النقد ٠

× اعجب برجلين اما احدهما فهو محمد عبده قال : ان اعجابي بهذا الرجل العظيم كان من اكبر المؤثرات في توجيه حياتي العامة وتزويدي بالقدرة الصالحة في الاستقلال بالرأي والمجاهرة بالعقيدة واما الثاني فهو سعد زغلول ٠

× كان دعامة للنضال الحزبي وكان وفديا متحمساً آمن بزعامة سعد وفارق الوفد لاختلافه مع النحاس ، وكتابه عن سعد يعد من خير كتبه في تحليل الشخصية ٠

× كان فقيدنا ذا مواهب متعددة فهو أديب وكاتب وشاعر وناقد ومؤرخ وعالم نفسي ورجل عقيدة تتجلى عقيدته في نضاله عن الاســـلام وفي ردوده على المنحرفين والمستشرقين الذين أشاعوا الشبهات على الاسلام يقـــول (ولا يزال بحث الدين وما وراء الطبيعة عندي شاغلا لايعوقني عنه شاغل من شؤون السياسة أو شؤون المعيشة) وهو في كل هذه المواهب مجيد ولا نستطيع ان نجزم بالخيرة بين هذه المواهب واجلاها التفكير العميق .

× وكتبه ومقالاته تمتاز بالجودة والفكر والعمق والصدق يصدق فيها قول ابن العميد في عملاق مثله (انها تعلم العقل اولا والادب ثانيا)

× أهم حادث اصابه في حياته السياسية انه سجن تسعة شهور سنة ١٩٣٠ بدعوى الطعن في الذات الملكية والحدث الثاني هجـرته الى الســـودان بسبب الغزو النازي يقول (لاخوفا من الموت اذا وجب ولكن فرارا من الهوان على يد أناس هم أمهر الناس في اذلال الناس) .

× وابرز حادث حز في نفسه هو احراقه لوثائقه الخاصة يقول (كان فيها ودائع العمر التي يموت عنها الانسان ولا تسخو نفسه بأن تموت قبله وهي لاتودع أحدا كائنا من كان فلا موئل لها أكرم من التمزيق ثم نار الحريق) .

× تحول ايام الحرب الثانية من الكتابة السياسية الى تحليل الشـــخصيات وكتابة العبقريات فأخرج خير انتاجه يقول : (كان النشاط السياسي الداخلي ابان الحرب العالمية الثانية يحول بيني وبين الفراغ للتأليف والتدوين فلما حيل بيني وبين هذا النشاط في وقت من الاوقات كانت النقمة ابرك من النعمة فوجدت فراغا من الوقت لتأليف الكتب لم يكن ميسورا ابان العراك) .

× آمن بالحرية والدمقراطية وحارب الدكتاتورية وقاوم النازية والشيوعية والصهيونية والاستعمار بكل ألوانه وكره الارستقراطية والتسلط والاستعلاء

× اعترف أنه لايعرف الوسط بين الحب والكراهية واعترف بان عنـــان نفسه كان يفلت من يديه في حالات كثيرة ولكنها حالات كان يراجعها فلا يأسف عليها .

× واعترف انه لايطيق التواضع الكاذب الذي هو رياء من المتكلم وغفلة من السامع .

× واعترف أنه أحب الشهرة والخلود يقول : ولكني زهدت بها بعد ان لمست تفاهة حكم الناس على القيم .

× واعترف انه لم يبدأ احدا بالخصام قل غير اني لا أسكت عن الذين يتحرشون بي أو يتعالمون عليّ .

× وسئل عن أي كتاب يرشحه للخلود فقال اختار كتابي عن ابن الرومي لان هذا الكتاب يحدد مقاييسي في النقد ويكشف عن خلاصة رأيي في الادب .

× قررت الحكومة المصرية قبل ثورة ٢٣ يوليو تقديم جائزة تقديرية لاربعة من أعلام الفكر المعاصر وقد رشحت اللجنة أربعة هم :

الدكتور طه حسين والاستاذ عباس محمود العقاد والدكتور أحمد أمين والدكتور محمد حسين هيكل فجاء تقريرها على الترتب التالي :

١ ـ تمتاز مؤلفات العقاد : بالادب والفن والعلم والفهم .
٢ ـ تمتاز مؤلفات الدكتور طه حسين بالادب والفن
٣ ـ تمتاز مؤلفات الدكتور محمد حسين هيكل بالعلم والفهم
٤ ـ تمتاز مؤلفات الاستاذ أحمد أمين بالعلم .

× نال جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٠ وكان قرار اللجنة مستندا على ترشيح خمس عشرة هيئةً علمية وادبية اجمعت على ترشيحه من بين ثماني عشرة هيئة .

× خلف مكتبة ضخمة تزيد على أربعين ألف كتاب .

× الف اثنين وتسعين كتابا واحد عشر ديوانا من الدواوين وكتاباليوميات

وبعد فان فقيد العروبة والاسلام ظل يهدي بعلمه ويعطي من معرفته حتى اقتعد زعامة الفكر والادب في دنيا العرب والتحق بالرفيق الاعلى والمطبعة تخرج له ثلاثة كتب هي (ما يقال عن الاسلام ، والامام الغزالي ، واليوميات) رحم الله فقيدنا فقد كان من العباقرة الخالدين قل مثيله بين معاصريه وختاما اشكركم .

العقّاد المجمعي

بقلم

الشيخ محمد رضا الشبيبي

أيها السادة الافاضل :

سلام الله عليكم • وبعد : أرى لزاما على ان اتقدم بوافر الشكر الى جمعية المؤلفين والكتاب العراقين على دعوتها اياي للمشاركة في هذا الاحتفال الذي تقيمه لتأبين الكاتب العربي الكبير عباس محمود العقاد رحمه الله •

سأقتصر في كلمتي على عرض بعض الملاحظات والارتسامات عن سيرة الزميل السيد العقاد في مؤتمر مجمع اللغة العربية الذي ينعقد في القاهرة كل عام•

لا يخفى ان للعربية في عصرنا هذا بالذات خصوما تفننوا في غمزها بحجة ضعفها وعدم وفائها أو قصورها في التعبير عن مطالب الحياة في هذا العصر وقد رأينا الفقيد الجليل ينتهز كل فرصة تسنح له سواء أكان ذلك في الصحف التي يحرر فيها أم في الهيئات التي ينتمي اليها ومنها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والمجمع اللغوي ومؤتمره مبرهنا بالحجج الدامغة على أن لغتنا أوفى اللغات ، قديمة وحديثة ، غربية وشرقية ، بالتعبير عن مطالب الحياة ، فالعربية فيما يرى العقاد اداة عالمية من أصلح أدوات البيان الانساني ولا يعرف علماءاللغات في مذهب العقاد أيضا ـ لغة تتراءى لنا من خلال مصطلحاتها وجملها ومفردتها ملامح الناطقين بها ومظاهر اخلاقهم وطبايعهم وصفات أوطانهم واطوار حياتهم فيها ، وذلك في مختلف اساليبها البيانية من حقيقة ومجازية •

واما عن صعوبة الكتابة والابجدية العربية وتوريط قرائها بكثير من الاوهام والاغلاط على ما يزعمون وحاجتها الى الاصلاح او الى التغيير بخلاف غيرها من الكتابات الفرنجية فان العقاد رحمه الله طالما نهض من مكانه في المؤتمر اللغوي قائلا : ليس في الامكن ابدع مما كان ولا توجد عندنا حروف أو ابجدية مفتقرة

الى اصلاح كبير الا في مخيلة الضعفاء والمقلدين ولنا ان نقول : كان الرجل هذا أبين أعضاء مجمعنا اللغوي بل كان في غنائه وتأثيره وسلامة منطقه وايمانه الراسخ بفكرته مجمعا عربيا قائما بذاته وكان له من جهارة صوته في المؤتمر ومن وضوح ملامحه ومن قوامه الفارع ما يدعم وجهة نظره في حومة النقاش الذي يجرى في تلك البحوث وقلما رأينا احدا أخذ عليه غلطا او سقطا في جملة من تلك الجلسات الصاخبة مع انه كان يرتجل ما يقول ارتجالا يستغرق مدة غير قصيرة في كثير من الاحيان .

اختير العقاد عضوا عاملا في المجمع اللغوي سنة ١٩٤٠ فهو أقدم عهدا بهذه العضوية من هذا الشخص الماثل بينكم بثماني سنين ومن الحين ذلك ثابر العقاد على شهود دورات المؤتمر واجتماعات مجلسه ولجانه واختير عضوا في اكثر من لجنة فهو عضو في لجنة احياء التراث العربي وعضو في لجنة اللهجات ولجنةالمعجم الكبير ولجنة الاصول الى غير ذلك .

والحق ان مظاهر نشاطه كلها سواء اكانت في اللجان أم في المجلس ام في المؤتمر جديرة بالتقدير والاكبار ولا ننسى كلماته الرائعة في استقبال زملائه الجدد من أعضاء المجمع فان له أكثر من كلمة رائعة استقبل فيها اكثر من عضو عامل ومن ذلك كلمته في استقبال زميله الاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني رحمه الله واخرى في استقبال الشاعر عزيز اباظة وهو الذى استقبل كاتب هذه الكلمة عضوا في المجمع وذلك في الدورة الخامسة عشرة المنعقدة سنة ١٩٤٨ بخطاب حافل بكل ما ينم عن حسن ظن ورأي جميل وبحث دقيق وكان واجبا عليّ ان أرد على تلك التحية بمثلها قائلا ما هذا لفظه : ـ من بواعث اغتباطي في هذا اليوم الذي يحتفل فيه المجمع باستقبال من يستقبل من اعضائه الجدد ان يتفضل الاستاذالسيد العقاد فيلقي كلمة بهذه المناسبة فاذا هي كلمة كريمة كان لها ابلغ الاثر في نفسي وغير كثير من الاستاذ هذا التشجيع اذ مضى عليه زمن ليس بالقصير وهو ينشد تعزيز هذه الرابطة الوثيقة بين ابناء الاقطار العربية ونحن في العراق نعقد الامال الجسام على تعزيز هذه الروابط الجديدة ونرى من خلالها طلائع عصر جديد من عصور التعاون والاصلاح في هذه الاقطار ولهذا لا يسعني الا أن أشكر

للسيد العقاد فضله ولطفه الجزيل واني لسعيد حقا ان أشهد هذا المؤتمر حاملا اليكم تحية عاطرة من العراق واعجابا عظيما من ابناء الرافدين بالاغراض النبيلة والمقاصد الجليلة التي تأسس من اجلها مجمع اللغة العربية ـ • هذا ومما تميز به فقيد المجمع عناية ظاهرة بمتابعة مراحل النهضة الادبية والحركة الفكرية العامة في الشرق العربي وهي عناية انفرد بها عن كثير من اعلام الادب بين اخـوانا المصريين فهو معنى باعداد بحوثه وكلماته في نقد المؤلفات التي تظهر في بعض هذه الاقطار او في الكتابة عما يخرجه ادباؤها من بحوث ودراسات ومن هـذا القبيل عناية أخرى في التعقيب على بحوث الاعضاء الذين يمثلون الاقطار العربية في المجمع اللغوي من عراقين وشامين ولبنانيين وغيرهم وهي عنـاية تشف في الغالب عن ضرب من التقدير والتشجيع ولهذه النظرة معناها في تعزيز روح الاخاء والوحدة الثقافية بين ابناء الاقطار المذكورة •

هذا ولا ننسى كلماته البليغة في تأبين اعضاء المجمع الراحلين واحسن ما في هذه الكلمات براعته في التعريف بخصائص زملائه المنتمين الى مجمع اللغة العربية واحاطته بجهودهم ومجالات نشاطهم احاطة تامة كما كتب عن عدد من أعلام العلم والادب في مصر احياء واموانا وترجم لهم ومنهم الاستاذ أحمد لطفي السيد رحمه الله وذلك بمناسبة انتخابه لرياسة المجمع اللغوي على انه قلما كتب عن أحد فيما نرى كما كتب عن الكاتب المصري الاديب ـ أحمد حافظ عوض ـ مؤلف كتاب ـ فتح مصر الحديث و ـ قصة اليتيم ـ اذ جاءت كلمة العقاد في تأبين هذا الكاتب وهو عضو عامل في المجمع رائعة حقا أشاد فيها بملكاته الادبية على شكل يشعرنا بأن العقاد كان متأثرا بهذا الاديب مأخوذا بأسـلوبه بل كان فيما نرى يحتذى مثاله ويترسم خطاه في الترسل والكتابة وهذا فيما أرى رأي جديد في بعض من احتذاهم العقاد الكاتب الاديب في منهجه وفي أساليبه الكتابية ولنـا ان نقول ان الزميل الفقيد رحمه الله ساير المجمع اللغوي بعلمه الغزير وثقافتـه الواسعة وذلك منذ أن اختير عضوا عاملا فيه سنة ١٩٤٠ الى ان وافاه الاجـل المحتوم في هذا العام •

اربع وعشرون سنة خلت ثابر العقاد خلالها على المشاركة في دورات المؤتمر وفي اجتماعات مجلسه باستثناء السنتين الاخيرتين فقد لاحظنا تخلفه عن عدد من

الجلسات لحاجته الى الاستجمام في بلده اسوان واتضح لنا من ضعفه وهـزاله الظـاهر تمكن العلة منه وقد افتقدناه في آخر دورة من دورات المؤتمـر التي شهدناها منذ عهد قريب وهي الدورة الثلاثون - في ٢٤ شباط سنة ٦٤الى شهر مارت ١٩٦٤ - وقيل لنا انه نقل الى بعض مستشفيات مصر الجديدة اثر اصابته بمرض عضال منع عواده من الوصول اليه وبارحت القاهرة وهو في المستشفى ونعـاه الناعي رحمه الله فور وصولي الى بغداد •

كان مؤتمر المجمع اللغوي يجمع بيننا في كثير من الجلسات وكان رحمه الله لطيفا في مبادءته بالترحيب والتسليم وقد جرت عادته ان يتحفني بأحدث مؤلفاته مطرزة بأرق العبارات ومن آخر هداياه بحث موجز عن مزايا التعبير والفن في اللغة العربية عنوانه - اللغة الشاعرة - وما ألطفه من عنوان وما امتعها من رسالة رحم الله العقاد أمير البيان الخالد والكاتب المبدع والمصنف المجود والمترسـل البليغ وفي هذا القدر كفاية والسلام عليكم ورحمة الله •

في مأتم العقاد

كريم

حافظ جميل

رزء حبست شجاه في اضلاعي وكتبت بالعبرات قبل يراعي
وجعلت من بث الفؤاد وحزنه لحني ومن زفراته ايقاعي
وبعثت بالحسرات نجوى لوعة للمنطوين على حشا ملتاع
المغمضين على الدموع جفونهم المكتوين بجمرها اللذاع
الصابرين على البلاء ومالهم غير البكا من عدة ومتاع
الساخطين على القضاء يعمهم سخط الوجود ونقمة الاجماع
الساخرين من الحياة وزهوها الهازئين بزيفها اللماع
دنيا على دمع تروح وتغتدي والناس منها في عنيف صراع
يتنازعون على زهيد متاعها ويد المنون تفض كل نزاع
ماذا أصاب أخو الحمام من الغنى غير الذي لاقى اخو الادقاع
لو ينفع المثرين طول ثرائهم زيدوا من الاكفان قدر ذراع
عجبي لمن جعل الحياة غرامه ابدا ويعلم انها لضياع
لو عاش هذا الناس في ألبابهم جعلوا الرجاء نهاية الاطماع
رافقت احداث االزمان فلم أجد كالموت جدة منظر وسماع
تمضي السنون وتستهل جديدة والناس بين مشيع او ناعي
ونظرت في شتى الوجوه فلم اقع الا على ألم لهن مشاع
وهززت للآسين عطف أساتهم فاذا هم شركاء في الاوجاع
وكشفت عن وجه الحياة فهالني شبح المنية من وراء قناع
وشهدت أيامي تمر فلم أجد لأسأي غير الدمع من اشياع
ماذا أمامي بعد الا هزة ويدك هذا الهيكل المتداعي
اغرمت بالدنيا الهلوك وزدت من شغفي بصحبتها ومن ايلاعي
عاقرت لذتها بنشوة حالم وجرعت غصتها بصحوة واع
وقرأت في الوضاح من قسماتها أخبار اقدم عاشق خداع

اذعنت للايام تملي حكمها اذعانة المتذلل المنصاع
وكرهت عمرا ما عرفت سعادة في ظله او لذة استمتاع
فارقت أمسي يستحث ركابه بخطى رواكض للفناء سراع
وبسمت لليوم الجديد يهش لي فاذا به اطلالة لوداع
وجرت لغايتها الحياة فنكست في اليم تحت العاصف الزعزاع
وبدا على ثبج العباب وموجه اطراف سارية ورأس شراع

□□

ايه أبا الكتاب أي محنك في الرأي ودعنا وأي شجاع !
بل أي ثبت في العقيدة لم يزد في الحق غير صلابة ومناع
بل أي جبار القريحة لم يغض قلماه من وحي ومن اشعاع
لم تخل يومك من كبير مؤدب أو ناشر لفضيلة او داعي
اطلقت للضاد الفصيح عنانه في الفن سباقا وفي الابداع
وكتبت لم تترك لا مرة كاتب قلما ولا من ريشة لصناع
اجللت من ام اللغات عطاءها ومجالها في الخصب والامراع
فمشيت تحمل باليراع لواءها متقدم الرواد والاتباع
وعقدت السنة الخصوم وما ادعوا فيها وما نقدوا من الاوضاع
ووقفت للمتهجمين تردهم بسلاح اعنف زاجر رداع
لم تقهر السبعون منك عزيمة تنبو العزائم وهي في ازماع
والكاتب المقدام مارد عصره ان هز مرقمه غداة قراع
اكبرت نفسك أن يضعضع همها جبار جهد أو عظيم مساعي
تمضي الى العقد الصعاب تحلها بوسيع ما اوتيته من باع
وتروض من هوس العقول اذا غوت بالرأي متئدا وبالاقناع
ما غيظ قلبك في شريف خصومة أو ضاق ذرعك في كريم دفاع
نزهت طبعك أن يميل مع الهوى بله الاثام وشرة الاطباع
ومنعت أن تدمي لسانك شوكة أو ان يلاث بشائن الاقذاع
وحملت قلبك في يمينك ناصعا شأن المنزه عن ريا وخداع
وجعلت من دنياك منبر حكمة للمنصت الواعي من الاسماع
وبلغت من اخراك غاية مجدها فاطلع بها علما مع الطلاع

حافظ جميل

شاعرية العقاد

الدكتور ماهر حسن فهمي

في أوائل هذا القرن ، كانت مدرسة شوقي قد دعمت مكانتها في الوطن العربي ، واجتذبت جمهورا كبيرا يتتبع ما تنشر من قصائد ومن دواوين • وهي امتداد طبيعي لمدرسة البارودي ، من حيث المحافظة على بنية القصيدة العربية الموروثة ، ومن حيث المحافظة أيضا على موضوعات الشعر التقليدية ، وان تكن الاحداث السياسية والاجتماعية قد بدأت تجد صداها القوي يتردد في دواوين تلك المدرسة ، وشكل القصيدة قد بدأ يتطور تطورا يسيرا تحت تأثير الحركة التقدمية

في هذا الوقت كان العقاد قد بدأ بتكوين مدرسة أخرى تضم زميليه عبدالرحمن شكري وابراهيم المازني ، وكانت ثقافة هؤلاء الشباب السكسونية عميقة ظهرت في اتجاههم الشعري الذي وضح في دواوينهم • ويؤرخ العقاد لهذه الحركة الجديدة محاولا تفسيرها حين يقول في مقدمة الجزء الاول من ديوان المازني : « لقد تبوأ منابر الادب فتية لا عهد لهم بالجيل الماضي ، ونقلتهم التربية والمطالعة أجيالا بعد جيلهم ، فهم يشعرون شعور الشرقي ، ويتمثلون العالم كما يتمثله الغربي ، وهذا مزاج أول ما ظهر من ثمراته أن نزعت الاقلام الى الاستقلال ، ورفع غشاوة الرياء ، والتحرر من القيود الصناعية ، هذا من جهة الاغراض ، اما من جهة الروح ، فلا يعسر البعيد أن يلمح مسحة القطوب للحياة في أسرة الشاعر العصري الحديث ، ويتفرس هذا القطوب حتى في الابتسامة المستكرهة التي تتردد

أحيانا بين شفتيه • فلن تجد اليوم شاعرا يهنيء بالمولود وما نفض يديه من تراب الميت ، ولن تراه يطري من هو أول ذاميه في خلوته ، ويقذع في هجو من يكبره في سريرته ، ولا واقفا على المرافيء يودع الذاهب ويستقبل الآيب • »

والحقيقة أن العقاد ومدرسته قد سبقوا عصرهم ، فأكثر ما ترجموه من قصائد في هذه الفترة كان من الشعر الرومانسي ، وغذاؤهم العقلي هو الذي وجههم هذه الوجهة • وتتضح ملامح الرومانسية في دواوينهم الاولى حين بدأوا يعبرون عن أحاسيسهم الخاصة بما فيها من أمل وألم ، وحين أمسكوا بمعاولهم يحاولون تحطيم الصنعة الشعرية التقليدية • ومن هنا لم يتذوق القراء شعرهم ، لان المذاهب الادبية الاوربية ظهرت هناك نتيجة ظروف اجتماعية ، وليست وليدة تأثر فكري •

ثم قامت الثورات في الوطن العربي في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، وكانت الطبقة الوسطى قد بدأت تنمو نتيجة لانتشار التعليم ونشوء الصناعات التي قامت أثناء الحرب لسد حاجة البلاد الى ما انقطع استيراده من البضائع ، واثراء كثير من التجار • فلما قامت الثورات ، شاركت فيها قاعدة ضخمة من أصحاب الحرف والتجار والموظفين ، وأصبح الكثير من شعراء هذه الطبقة يستطيعون التعبير عن مشاعرها • وبدأ يظهر ذلك التيار الذي لايعرج على طبقة السراة ليمدح أو يهنيء• وانتهت الثورات دون أن تحقق أهدافها الوطنية العامة ، فأحدث ذلك خيبة أمل عند هذه الطبقة الي كانت تسعى لتحقيق آمالها • هذا المجتمع الذي أقبل على الحياة الاوربية يحياها ولكن لا يملك من أسبابها الا القليل ، هذا المجتمع الذي أحس بكيانه بعد الثورة ، ولكنه وجد ذلك الكيان مقيدا بالنفوذ الاجنبي لاسبيل له الا أن يخلو الى نفسه ويحس أحساسا قويا بآلامه ، بعد أن سلبت الحياة كثيرا من آماله • وظهر كل ذلك واضحا في شعراء « أبولو » تلك المدرسة التي تزعمها أبو شادي والتي اتجهت بشعرها الى الهروب من الحياة ، وكان منهـــا ناجـي صاحب وراء الغمام وعلي محمود طه صاحب المـــلاح التـــائه والصيرفي صاحب الالحان الضائعة •

وفي عنف هذا التيار الرومانسي الجارف ، سبق العقاد زمنه للمرة الثانية حين طلع على الناس بديوانه (عابر سبيل) محاولا أن يوجه التيار الادبي الى الواقعية • ولم يكن في هذا المرة متأثرا ، فالواقعية العلمية ظهرت في أوربا تجريبية تعتمد على مصادر العلم بعد ازدهار العلوم الطبيعية والرياضية ، والواقعية الاجتماعية لها أهداف توجيهية ، لكن العقاد لم يقتنع بهذا الاتجاه ، وفي ذلك يقول : « هات لنا الشاعر الذي ينظم قصيدة واحدة يحبب بها الزهرة الى المصريين ، وأنا الزعيم لك بأكبر المنافع الوطنية وأصدق النهضات ، وأهنأ مسرات المعيشة ومباهج الحياة ، فأن أمة تحب الزهرة تحب الحدائق والتنسيق وتحب النظافة والجمال وتحب العمارة والاصلاح لا تقبل أن تعيش في الفاقة والجهل والصغار ••• » • وكأنما كان هدف العقاد وهو يفجر نبع الواقع أن يلفت نظر الشعراء الى الارض بعد أن أسرفوا في تحليقهم على أجنحة الخيال الى السماء ، وأن يحطم ابراجهم العاجية ليبصروا في كل خطوة على الارض ألف موقف شعري ، وأدرك بذكائه أن المستقبل للواقعية كما تصورها ، تلك التي لاتسرف على نفسها في العلم ، ولاتسرف على شعرائها في القيود ، ولا تسرف على قرائها في النصح والارشاد • ومن أجل ذلك نستمع اليه في عابر سبيل فلا نجد الا جندي المرور والقطار العابر وكواء الثياب ، وهو في كل هذا لاينقل الواقع نقل آلة التصوير ، ولكنه يلونه بخياله الشعري ، فيقول في كواء الثياب :

طويت كالعجين   فاطو فيها الجمال
لمسة باليمين   عطفة بالشمال
والعجين الثمين   في استواء المثال
فيه ماست غصون   من جناها الجنون

●

زد نصيب الحبيب   من هوى وابتسام
بالكساء القشيب   رف حول القوام
لك فيهم نصيب   غيرُ كي الغرام
عند برح الشجون   هم همُ المكتوون

ولم يتقبل القراء محاولته الجديدة ، لان التيار الرومانسي كان ما يزال قويا متدفقا ، ولم يكن التطور الاجتماعي أو الفكري قد بلغ هذه المرحلة . وهكذا كانت ثقافة العقاد جناية على شعره في نظر الجمهور ، وكان العقاد الباحث جناية على العقاد الشاعر ، فكلما تطور به الزمن ، ازداد عمقا في أبحاثه ، فكان لابد أن يقوم صراع بين خيال الشاعر وعقل الدارس كانت الغلبة فيه للعقاد الباحث . وشعره بعد ديوان (عابر سبيل) يمثل المرحلة التالية ، فقد اصطبغ بصبغة عقلية واضحة ، واقرأ ما تشاء من شعره في « أعاصير مغرب » أو « بعد الاعاصير » فلن تجد الا عقلا ينظم بعد ان توقف نبع الخيال عن التدفق ، ولن تجد الا مثل هذه الابيات :

أنا لم أيأس من الخير ولا   أحسب الشر على الناس لزاما
أنا أغنيت يدي عن خيرهم   وأمنت الشر من حيث ترامى
فليكن من شاء منهم ملكا   أو يكن جناً على الكيد أقاما
كلهم بعد سواء عند من   لا يدين الناس حمدا وانتقاما

وكان ديوان من دواوينه هو آخر ما أخرجته المطبعة له من شعر ، ويضم مختارات من دواوينه السابقة ، وهو بذلك لا يمثل مرحلة شعرية جديدة ، ولكنه يمثل مرحلة نقدية في عملية الاختيار . لم يتطور العقاد الشاعر اذن بعد (عابر سبيل) تطورا ذا قيمة فنية ، ولكنه مثل مرحلة من مراحل التطور . ودور العقاد يتحقق بالقاء بذور الرومانسية وبذور الواقعية ، ولا يتحقق من حيث تركيب القصيدة وصياغتها . فقد تحدث طويلا عن الوحدة العضوية ورأي القصيدة أشبه بالبنية الحية لا بحبات عقد اذا انفرط أمكن جمعه . ومن الحق أن الوحدة النفسية تتحقق في شعره كما تتحقق في شعر الكثيرين ، ولكن هناك فرقا جوهريا بين المدلولين . وما كان يعلم العقاد وهو ينقد شوقي من هذه الزاوية في كتابه «الديوان» حين أخذ ينقل أبياتا من وسط القصيدة الى أولها ، أن الزمن سيدور بعد ثلث قرن ويصل التطور الى مدى لم يحلم به المتفائلون ، فيجيء من النقاد من يصنع بشعر العقاد ما صنع هو بشعر شوقي ليثبت أن العقاد لم يحقق الوحدة العضوية وان اكثر من الحديث عنها . وأحسب أن الدكتور طه حسين حين بايع العقاد

بأمارة الشعر بعد وفاة شوقي كان ينظر الى دور العقاد الرائد الذي تحدثت عنه ، وهو من قبل كان قد بايع شعراء العراق ، ثم عاد فسحب البيعة من شعراء العراق ومن العقاد كما يقول أنور الجندي في كتابه عن المعارك النقدية .

والواقع أن مرحلة القيادة أو الامارة بعد وفاة شوقي كانت قد انتقلت الى طبقة جديدة من الشعراء ، ولم يكن من الممكن في ذلك الوقت ، كما أنه من غير الممكن في وقتنا هذا ، أن نبايع بالأمارة شاعرا معينا في الوطن العربي ، لان هذه المرحلة الادبية ، ما زالت تمثل مرحلة الريادة الجماعية ، ولكن الذي لا شك فيه ، أن العقاد الشاعر ، كان في فترة ما بين الحربين رائدا من رواد الشعر الذين حملوا المشاعل ، واحترقت أيديهم باللهيب .

ماهر حسن فهمي

العقاد الانسان المفكر

الدكتور عبد العزيز البسام

أمـير بلاغـة وأمين نقد ۝ ورب رسالة وبشير عهد
وذو قلم كغصن الروض يهدي ۝ جناه او كحد السيف يردى
أديب راض أفذاذ المعاني ۝ على ألفاظها نـدا لنـد
وذو لب يترجم كل لب ۝ وينقل عنه ما يخفي ويبدي

ايتها السيدات وايها السادة :

ينتظم هذا الحفل الكريم ، لتأبين رجل عظيم : عظيم في اعماله وسيرته ، عظيم في أفكاره وعقيدته ، عظيم في آثاره ومكانته . اجتمعت له أسباب العظمة من استعدادات الفطرة السليمة ، ومكونات النشأة القويمة ، ومن دوافع الارادة الغالبة ، ومنازع المرانة الدائبة .

فكان وهو ناشيء ذكيّ الفؤاد ، ظاهر النباهة ، طُلعة في المعرفة ، وجاءت النبوءة عن مستقبله على لسان الامام محمد عبده فقال وهو يقرأ كراسة الانشاء التي كتبها في صفوف الدراسة الابتدائية : « ما أحرى هذا الغلام أن يكون كاتبا بعد .. » .

ثم تجلت عليه خصائص الرجولة في بواكير حياته ، فقضى ستين عاما منها ، يعمل ويكتب ، سديد الرأي ، نافذ البصيرة ، متين الحجة ، قوي الشكيمه ، غيورا على الحق ، مدافعا عن الحرية ، ماضي العزيمة ، محيطا بآفاق واسعة من المعرفة ، مشاركا في قضايا موطنه وقضايا عصره ، حتى قال فيه زميله الدكتور طه حسين : انه ملأ الدنيا وشغل الناس .

لقد عاش العقاد حياة عريضة مفعمة بالخبرة والتجربة ، مليئة بالخير والعمل المثمر ، وكان انتاج العقاد ضخما غزيرا ، يحمل طابع الامتياز من الاصالة والعمق .

وانما يجدر التنبيه أولا الى الصلة الوثيقة بين هذه الحياة العريضة المفعمة ، وبين هذا العمل الفكري الضخم الاصيل . فلن توصف هذه الحياة بسمة بارزة من سماتها ، الا كانت الشواهد على هذا الوصف ماثلة في كتابات صاحبها ، ولن يقف المرء في مؤلفاته على فكرة جليلة يبتدعها ، أو مبدأ سام يقرره وينضح عنه ، الا وجد مصداق ذلك متحققا في سيرته .

فمن الحق أن يقال : انه كان يعيش متبتلا في محاريب الفكر ، ومن الحق أن يقال : ان أفكاره كانت تعبيرا عن فورة الحياة وتدفقها ، كما استوعبتها نفسه الكبيرة . فلن تفهم حياته بمعزل عن أفكاره ، ولن تفهم افكاره بمعزل عن حياته .

وحسبي في هذه الكلمة ان ألمّ الماما عاجلا بالخصائص البارزة التي يمكن أن تجمل حياته وافكاره على السواء ، وهي خصائص شكل وخصائص مضمون ، تحدد الاولى الابعاد والاتجاهات وتحدد الثانية القيم والمعاني .

فاما الاولى فهي القوة والعمق والشمول .

واما الثانية فهي الحق والحرية والجمال .

تتمثل القوة بالعصامية التي شق بها طريقه في الحياة ، بلا عون من مال او او جاه أو سلطان . وهي عصامية يجتمع لها شرف الغاية وشرف الوسيلة ، لم ينشد منها ترف العيش ولا سطوة المناصب وبهرجة الالقاب وانما قصد الى المجد الفكري ، دون سواه . وجعل وسيلته اليه الهمسة العالية يستمدها من ذات نفسه ، والخلق المتين الصريح ، الذي لايعرف المداهنة والخداع .

وقد ظل طوال حياته ، مثالا رفيعا لرجل الفكر ، تصان له كرامته ، وتتقرر له منزلته ، وعنوانا بارزا لبدل الحال في نصف قرن بالنسبة للكتّاب والشعراء ، تثبت لهم مكانتهم في قيادة المجتمع ، بعد ان كانوا يلوذون بالحكام ، ليصبح أحدهم شاعر القصر أو شاعر الامير .

وأدب العقاد هو أدب القوة لامراء • فقد ظل يحمل لواء التجديد في الأدب العربي أكثر من نصف قرن ، منددا بالمقلدين سواء من كانوا يقفون عند الاقدمين، أو من كانوا يتلقون البدع من أصحاب المذاهب الزائفة بين المحدثين ، داعيا ان يكون الادب تعبيرا صادقا عن التجارب الحية وما يختلج فيها من الخـــواطر والعواطف المركبة ، وتقريرا للنماذج الرفيعة لا سردا للامثلة المألوفة والمعـاني المطروقة ، وتمهيدا لنهضات الامم ، ودليلا على تقدم الشعوب وتمايزها واختلافها في أساليب الحضارة والتفكير •

ومناط القوة في حياة العقاد وفي أدبه ، انما يكون بالنظام وما فيه من القواعد المنبثقة من ذات النفس او من ذات الفن ، وبالارادة الغالبة التي تضطلع بالتبعات وتحقق الوجود الانساني على أرقى الصور والحالات ، وبالشخصية المتميزة التي تعبر عن نفسها لتكون نموذجا رفيعا لا يختلط بغيره من الشخصيات •

ويتجلى العمق في حياة العقاد في السعي الدائب لاستكناه تجارب الحياة ، فقد كان الاستمتاع بها يفضي به دوما الى ان يتقصى منها الجوهر واللبـــاب ، ويستطلع منها الخفايا والاسرار ، ليحيل جميع ذلك فكرا خالصا ، كما يحيل النحل رحيق الازهار الى الشهد في حلاوته وغناه • فكن لكل تجربة من تجارب الحياة بواعثها العميقة التي لابد من استقصائها ، ولكل شيء فلسفته أو أسباب وجوده التي لاغنى عن تتبعها ، حتى تتم المتعة بظواهر الحياة والموجودات • ومن هنا كانت وحدانيته ، فلم يكن ممن يجرفهم تيار الحياة ، فيخبطون على السطح ويضيعون في غمار امواجه ، بل كان كالسابح يغوص الى الاعماق ، ثم يعود منفردا الى الساحل يتأمل ما في وطابه من الدرر والجواهر •

والادب عند العقاد استيعاب للتجارب الشاملة ، وتعمق لها بجميع ما لدى الاديب من ملكات الحس والغريزة والعطف والبداهة والخيال والتفكير ، وصدوف عن البهرج الكاذب في ظواهر الاشياء ، أو في الصياغة والتعبير • واخص ما يظهر العمق لديه في الايمان بالروح ، حتى كان يرى ان دواعي الشك في المـــادة أوفر منها في الروح ، وفي اهتمامه بالنفس ، حتى غلب هذا الاهتمام على شعره وادبه ، فكان المنهج النفسي أقرب المناهج اليه •

وحياة العقاد رحبة شاملة ، اتسعت لعواطف القرابة البـــارة ، وعواطف الصداقة الوثيقة ، وعواطف الحب العميقة ، وعواطف الولاء للعظماء من الاموات والاحياء ، وعواطف الرعاية للاشياع والمريدين ، كما اتسعت لجهـــاد الدعوات السياسية وجهاد المذاهب الادبية ، وجهاد الدراسات الفكرية ، فضلا عن جهـاد المعيشة والرزق الشريف • ولم تكن هناك قضية مهمة من قضايا وطنه او قضايا عصره ، الا كان له منها موقف محدد ورأي يعتقد به ، وتجلى الشمول في اتساع ثقافته ، وايغاله في تقصي حضارات الاقدمين ، وتتبعه آخر ما يستجد من آراء في الآداب والفنون وفي شؤون العلم والحضارة • وقد كان مثالا نادرا في الجمع بين التعمق في الثقافة العربية والاسلامية والتعمق في الثقافة الاوربية الحديثة ، حتى وصف بالاحاطة الموسوعية ، في ميادين المعرفة المتشعبة •

وشمل انتاجه الشعر والنثر ، وابداع الادب ونقده ، وكتابة القصة والتراجم وتحليل الشخصيات كما شمل الفلسفة والسياسة والتاريخ والاجتماع ، وبلغ في جميع هذه شأوا عاليا ، قلما يتفق للمتفرغين في ميدان واحد دون سواه •

وحياة العقاد وثقافته موصولة البداءات بالخواتيم ، فقد سارت حياته باجمالها على نهج واحد ، ونسق متتابع ، عاش بسن قلمه ، وألف صحبة كتابه ، وظـل ملازما لهما ، لم تصرفه عنهما مهام الوظيفة والتدريس على قصر أمدها ، ولا مهام السياسة والنيابة على تغيير عهودها ، ولم تختلف مواقفه واتجاهاته في حياته الخاصة والعامة ، بين مشارق الصبا ومغارب الشيخوخة ، ونمت ثقافته كما تنمو النبتـــة لتغدو شجرة باسقة ، تتغذى من أرض واحدة ، وتتصل فروعها باصولها ، وتتشابه ثمارها في طعومها وألوانها ، فافكاره في الشعر والنقد ، أو في النفس والمجتمع ، أو في العلم والدين ، مجملة في كتاباته الاولى ، مفصلة في كتاباته الاخيرة ، كالبنية الحية لايغير الزمن من جوهرها وطبيعتها ، مهما تداولت عليها مراحل النمـــو والتطور • وانما ينقص هذا الشمول في سيرة العقاد ، حرمانه من الحياة الزوجية ومن عواطف الابوة ، وقلة اسفاره في البلاد ، وربما كان لانصرافه للحياة الفكرية واعتكافه على شؤونها ومطالبها ، ما حال بينه وبين المغامرة في هذه الميادين •

وتعلق العقاد بالحق يتجلى في حياته ، استقامة في الطبع وانصافا في المعاملة ، واخلاصا في الجهد ، وصراحة في الرأي ، ومطابقة بين القول والعمل ٠

ويتجلى في أعماله الفكرية ، استقامة في المنطق ، وسلامة في التفكير واعلاء للعقل ، وتقديرا للعظمة وكشفا عن مكانة العبقريات في تاريخ الانسانية ، وايمانا بالكوني الذي يتجاوز الحس والواقع الى البصيرة والالهام ، وتأكيدا للدين بين عقائد المفكرين ، وتقريرا لضرورته للنفس ، في سائر العصور والازمان ، وترقيه الى التوحيد مع تقدم الانسانية في مدارج الكمال ٠

وايمان العقاد بالحرية جعله داعية من أقوى دعاتهـا في الشرق العربي ، وجهاده في محاربة الاحتلال البريطاني والملكية وفي سبيل تثبيت دعائم الحيـاة النيابية في مصر ، معروف ذاق من جرائه مرارة السجن وآلامه ، كما ان خصومته لجميع حركات الطغيان في التاريخ الحديث ، ووقـوفه في وجهها أصبحت من الامور المقررة المألوفة ٠

والحرية مبدأ هام في الادب والفن عند العقاد ٠ وقد كتب يقول : « كـأن الانسان قد أراد بالفن أن يتمم حرية الحياة ٠ فقد خلق الفن للانسان أجنحة ، قبل أن يطير في الهواء ، وانشأ لنا في الشعر أجيالا من الابطال هزموا نواميس الكون واحكام القدر ٠٠٠ وأصبحنا في عالم حرية لا نصيبها في عالم الحـاجة والاضطرار ٠٠٠ اما السياسة كما يعرفها فانها « تستهويه بالمباديء الانسانية المطلقة لا بمباديء العصبية الضيقة ، وتتصباه بالنظرة الجمالية الفنية ، لا بالنظـرة التي تحصر الحياة في الانظمة والقوانين » ٠

وتتصل الحرية بالجمال اتصالا وثيقا في تفكير العقاد ، فالجمال في رأيه هو الحرية بأدق معانيه ومعانيها ٠

وقد افتتن العقاد بالجمال يهيم به في الطبيعة وفي الفن وفي الانسان ، وتغلغل الاهتمام به بحالاته الثلاث في هواجس قلبه ، فنظمها شعرا رفيعا ، وفي تأملاته الفلسفية والادبية ، فرسمها نثرا عاليا ٠

هذه ايماءات عاجلة للسمات العامة في حياة العقاد وفي تفكيره ، تصوره لنا نفسا رحبة تستوعب تجاريب الحياة بمختلف ألوانها ، وفكرا ثاقبا يتعمق اسرارها ، وارادة غالبة تذلل عقباتها وتحقق وجودها ، وضميرا واعيا يغار على الحق ويستبسل في الدفاع عن حرية الانسان ، ووجدانا مرهفا يهتز للجمال ويتغنى بآياته ، والهاما نافذا يستشف اسرار الارواح ، وايمانا بالله يكشف عما في الكون من قصد ونظام •

رحم الله العقاد الانسان ، فقد حرم الناس منه مسمعاً ومشهداً ، ومصيبتهم بهذا الحرمان لا تقدر •

وبارك الله بالعقاد المفكر ، فقد ترك تراثا ضخما يجدد العقول ويستجد بخصبها وابداعها ، وسيظل باقيا ما دام للعربية وللفكر شأن الى الابد •

يا كاتب الانسان

خالد الشواف

دون الذرى ، يانسر، عصف رياح — هل من جناحك ريشة لجناحي ؟
ليس المناخ على الشوامخ مثله — فوق الخميل ولا على الادواح
ان الجليد على الذؤابات العلى — حرم لغير النسر غير مباح
لولا يقين العبقرية لم يذب — فيعبّه الصادون في أقداح
ولقد أذبت جليدها وهو الذي — أعيى الغزالة في النهار الضاحي
في خفقة من جانحيك وخفقة — من أصغريك وفكرك اللماح
فاذا السماء وأمرها ، واذا الثرى — وحديثه ، والخلق .. في ألواح
يتفنن الاعجاز في تصويرها — بالفكر أو بالمنطق الوضاح
يفصحن عن سر الحياة ، وهن ان — عرض الردى جمجمن غير فصاح
ما بالهن صرعن كل عصية — ووقفن عند الموت دون سلاح ؟
أسؤال قابيل بأسئلة الورى ؟ — يا للسؤال الهاتك الفضاح !
كتبت فلاسفة القرون ، ولم يزل — ذاك السؤال ـ ولن يزال ـ الماحي
ألباب بعد الباب يفتحه الحجى — بالرفق آونة وبالالحاح
لكنه الباب الذي يأبى على — رفق الحجى ولجاجة الملحاح
يا صاحب المفتاح .. هل لك حيلة — برتاجه .. يا صاحب المفتاح ؟..
فتحت اغلاق النفوس ، وانما — من أمر ربك عالم الارواح
تتقطع الانفاس دون وصيده — حتى يجف الزيت في المصباح

□□

يا أيها العقاد ٠٠ هل عقد الكرى جفنيك وهناً بعد طول كفاح ؟٠٠
وهل اليراع ، رفيق عمرك ، لم يعد يزجي صرير العاصف المجتاح ؟٠٠
وهل اطرحت الطرس وهو محبّر بنجيع فكر لا نجيع جراح ؟٠٠
وهل انتهيت من الصراع وأنت في جدث ينوء بكلكل الصفاح ؟٠٠
هيهات ٠٠ ما زالت عجاجتك التي ثارت ـ وأنت تصول ـ ملء الساح
مائة من الاسفار باسمك لم تزل تحت العجاجة شاكيات سلاح
ينضحن عن دين لنا وشريعة ويذدن عن لغة وعن افصاح
يدفعن بالحجج الدوامغ والحجي وبمنطق لسواك غير متاح
شبهات وضاعٍ وكيد مضللٍ ودعاء هدام وجهر أباحي
فاذا ظفرن طلعن من رهج الوغى كالنور من خلل الحيا السحاح
واذا أفأن الى السلام فهن في روض القريض هواتف بصداح
أوهن في الوادي المقدس عبقرٍ يوحي لهن من العباقر واحي

□□

ايهٍ نجيّ الخالدين ، وانها لعسيرة الا على لماح ،
أفضيت للينبوع تغرف ماءه عذبا وقد غرفوه غير قراح
آثرت في السير النفوس ، وآثروا خبرا ، وفي الاخبار غير صحاح
وجعلت همك في المتون ٠٠ وربما تجلو المتون غوامض الشراح
كم سيرة لولا الشروح رأيتها بيضاء واضحة بلا ايضاح
أثبتّ ما يأتي الرجال ، وسطروا ما لا يكون لعاقل أو صاحي
تجد الخرافة في عقول مرتعا فتعيث في مغدى بها ومراح
يا كاتب الانسان في أنماطه بلّغت في الانسان أي نجاح
في الانبياء المكرمين ورهطهم والناهضين بدعوة الاصلاح
في الهائمين بكل وادٍ ، عفهم وخليعهم ، والشاتم المداح
ومفلسفٍ متع الحياة ، وزاهد فيها ، ومحتفلٍ بها ممتاح

وموحد في الحب نضو صبابة ... ومعدد في الحب زير ملاح
وملازم محرابه وكتابه ... وثيابه ، ومعاقر للراح
في هؤلاء ، ومعشر عركوا الدنى ... في صدر ايوان ورحبة ساح
في رب كرسيٍ وتاج مذهبٍ ... ونمارق وبيارق وصفاح
ومصرف خيل الوغى ورجالها ... متمرس بشواظها اللفاح
وأخي دهاءٍ في السياسة ماكرٍ ... وشهيد معتقد أخيذ رماح
ومسيطر في رحمة ، ومسيطر ... في حيلة ، ومسيطر سفاح
جليت بالقلم الجليل نفوسهم ... وبرعت في أثر عن الفتاح

□□

شيخ العصامين .. أية سيرة ... عصماء من دأب وصدق طماح
خلفت للاجيال .. ، تسطع بالسنى ... ألقاً .. وتأرج بالشذى الفواح
ان الاديب سلوكه وبيانه ... لا فنه المسطور في الالواح
أدب السلوك أجل من أدب اللغى ... شأنا وانفذ منه للارواح
في ذمة الادب الكريم يراعة ... لم تأت بالزلفى ولا الامداح
رضعت مداد الحق واشتدت به ... عودا فما مالت بميل رياح
تخذت من الحق المضيء سبيلها ... نجماً ، كنجم القطب للملاح
والحق ، مجد الحرف ، ليس يناله ... غير المنافح عنه والنصاح
طافت عليها المغريات فلم تبع ... شرف المداد برتبةٍ ووشاح
وتوعد المتوعدون فلم تلن ... لهمو وقد أخذوا بالف جناح
تتقصف القصبات وهي صليبة ... وتمالىء الاقلام وهي تلاحى
وتعلم الطاغوت أن صريرها ... يأبى مساومة وبيع سماح
وترى العقيدة في الحياة ملاكها ... في غير ما عنت ولا أسجاح

□□

أسوان .. خاتمة المطاف وبدءه	عاد ابنك المكدود بعد براح
قد كان أمس يراك في المامةِ	واليوم آثر ضجعة المرتاح
فتهلّلي للنسر يوم غدوّه	فاليوم غدوته بغير رواح
وهبيهِ من كبد الصعيد وقلبه	رفق الثوى لا قسوة الاضراح
خمس وسبعون الصعود .. وفرحة	خفيت .. ويهوي النسر ذات صباح
وعليه من رهق الشموخ صرامة	عجز الردى عن طمسها بالراح
سميته العباس منذ ولدته	فرأيت فيه مخايل النصاح
أخذ اللحاة عليه قسوة مرقم	وكذاك يقسو مبضع الجراح
لولا دم ينساب من وخزاته	لقضى السقيم بدائه اللواح
كم ضاحك تغويك ضحكة سنه	ومقطب يهديك بعد جماح
أسوان ، والنصب الضخام مواثل	تحكى جلال الامس للسواح
اليوم قام القبر فيك منارة	للفكر تجلو الليل بالاوضاح
وغدا يقوم السد فيك محدثا	عن آيتين ؛ العزم والاصلاح
أسوان .. يومك مثل أمسك مثله	غدك ، الثلاثة في الزمان ضواحي

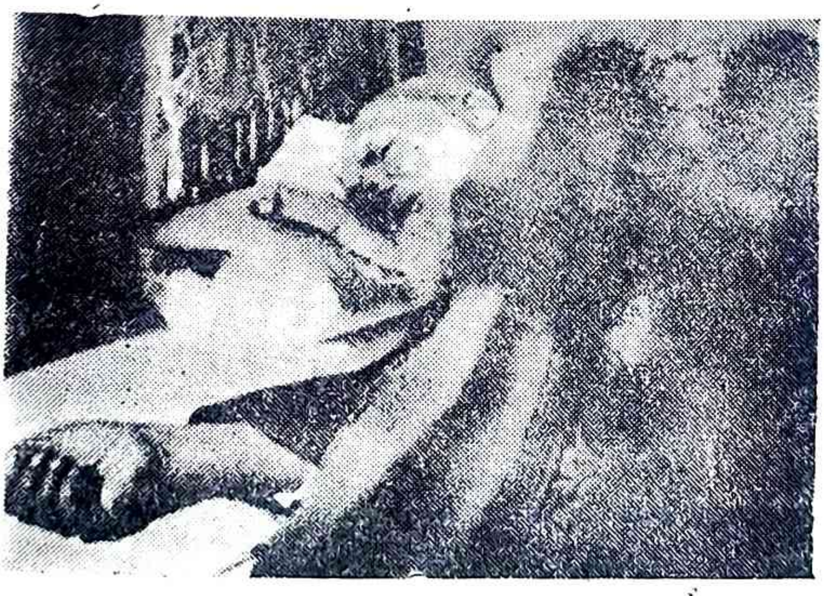
خالد الشواف



الشاعر الكاظمي
في داره



هذه آخر صورة للكاظمي
بعد وفاته بثوانٍ



الوحدة العربية والكاظمي

كرمية

الدكتور يوسف عز الدين

احن اذا قيـل العـراق وانحني	واشهق ان قيل الشـآم وازفـر
واطرق ان قيل الحجاز على جوى	واعجب اما قيـل مصر وابهـر
منى النفس ان يلقى العراق وغيره	من الخـير ما يهوى وما يتخـير
جميع بلاد العرب في القدر واحد	اذا وازنوا البلدان يوما وقـدروا

هذه هي عواطف شاعرنا الكاظمي الذي نحتفي اليوم بذكراه انها حنـين عميق وجوى في النفس مضطرم ، حنين الى وطنه الاول ودعاء صادق له بأن يلقى ما يريد وما يتخير ولكنه لم يقف عند هذا الحنين وهذا الـدعاء للعراق حسب انما شمل جميع البلاد العربية على حد سواء وبهذه الروح الكريمة وهذه العواطف الزاخرة الجياشة وبهذا الشعر الجزل الرصين كان شاعرنا يدعو الى الوحـدة العربية والى الالفة ونبذ الخصومات بين العرب طرا • وقد كان الكاظمي أول شاعر حمل لواء الوحدة العربية والدعوة اليها والتغني بها يوم كانت الاوطان نور العين وفداء النفس وليست مكانا للهو وقضاء الحياة بدون رسالة فقد قال شاعرنا •

لا تحسبوا أوطـــانـنا	هنـداً نحن لها ودعـدا
هي نور أعيننـا التـي	ابداً نـراح بهـا ونغـدى
أوطـــاننا أرواحنـــا	بل انهـا بالروح تفدى

الكاظمي شاعر عربي ولد أبان النهضة الفكرية العربية ، ولد وكانت البلاد العربيـــة تضـطرم وتطلع نحو آمالها وأمانيهـــا فكان قائدها ، كان يطفح بالأمل والرجاء والتفاؤل شأن كل قائد فكري مؤمن برسالته واثق من انتصار امته فهو

يرى الامة مقسمة بين فرنسا وانكلترا واسبانيا ولكنه يقول بعزم صادق وايمان عميق :

انما الشام والعراق ومصر — اخوات وان تفرقن حينا
سينال الجميع بعد قليل — ما رجاه لخيره الراجونا

اتخذ مصر سكنا له في شبابه وكانت مصر تحت الاستعمار وكان يرسل بصره الى بغداد فيراها اسوأ حالا من مصر ويرتد طرفه الى القدس والشام فلا يسمع الا خطى المحتلين ويرى العرب يرسفون في قيودهم فيمتلأ قلبه بالاسى ويطفح شعره بالالم والحسرة ويصرخ فيقول :

ومابك يامصر ببغداد نازل — وفي جلق أدهى وفي القدس اعظم
هنالك احشاء تذوب وهاهنا — قلوب متى حركتها تتضرم
اذا ما توالى جرحنا وتعذرت — مراهمه فالجرح للجرح مرهم

الشواهد على دعوته للوحدة كثيرة وغزيرة فلا نكاد نجد قصيدة من شعره الا وفيها هذه الروح الرفافة الطافحة بالأمل والرجاء بأن الوحدة العربية لابد ان تكون ولكن يجب أن تدعم بالجهاد والصبر والقتال لان الوحدة العربية لا تأتي بالأماني والأحلام العراض فقط ، انما يؤكد على الجهاد ومواصلة القتال لدرء الضيم ورفع الظلم حتى تصبح الشام عراقا ويصبح العراق مصر فقال :

سنوالي الجهاد دون بلاد — ارهق الظلم اهلها ارهاقا
او يعود العراق منها شآما — ويعود الشام منها عراقا
وإمام الشرق المعذب مصر — مشرق نور عزها اشراقا

ويخاطب النيل الذي احتضن الكاظمي وضم ثراه الطيب فيقول :

يا نيل انت لنا اب — وابو الاعزة لا يذل
من كنت انت اب له — فبنوه قد نهلوا وعلوا
ان طاب فرع منك — في مصر ففي السودان أصل
لك في العراق وفي الشام — ونجد والحرمين أهل
ولك الابر من الجزيرة — ما يبرح أخ وخل

لست أريد أن أتحــدث لكم في هذه الذكرى العاطرة عن الكاظمي نفسه الشاعر المظلوم الذي لم ينل من الرعاية والتكريم حقه شأنه شأن كل الادباء في البلاد العربية وانما حاولت ان اقدم لكم نماذج من شعره فهي التي تتحدث لكم عن فكرته العربية القومية ، فهو من السابقين الأولين للدعوة لها التي لم يكن يفرق فيها بين عربي وآخر أو مسلم ومسلم فهم كلهم اخوان في الدعوة العربية والدعوة لها فالوحدة العربية لايعود خيرها على العربي وحده وعلى المسلم وحده وانما على جميع من سكن هذه البقاع فهي الدرع والمجن الذي يذود عن الجميع لانهم كلهم جيشها وحماتها وهذا هو رأي شاعرنا الذي يقول :

واذا الحوادث خصَّ مصر لهيبها	عم العــراق شرارها والشــام
لا فرق ما بين الــذين تألفــوا	جيشا يذود عن البــلاد لهــاما
سيان كــأن الــدين نصــرانيةً	في نصــرة الأوطــان أم اسـلاما
انا اتخــذنا ديننــا استقلالنا	ولقــد عبــدنا الله لا الاصــناما

أرجو أن أكون قد أعطيت فكرة عامة وسريعة عن الاتجاه القومي لدى شاعرنا الكاظمي بما تلوته عليكم من مختارات من شعره الجزل الرصين ونحن نحتفي بذكراه التي أرجوا ن تكون باعثا لاحتفالات اخرى •

رحم الله الكاظمي فقد ترك تراثا ضخما من الادب العربي واتجاهات فكرية خالدة • وأن تكون هذه الفرصة مذكرة قادة الفكر والادباء لدراسته الدراسة اللائقة به ، واحياء ذكراه بطبع شعره وتخليده بما يستحق من تكريم والحرص على مثواه في القاهرة وتسمية شارع من شوارع بغداد باسمه • والسلام عليكم •

ذكريات عن والدي

الدكتوره رباب الكاظمي

(١) هل تأثر والدك بالحياة في مصر ؟

ماذا تعني بتأثره بالحياة في مصر ؟ وهل تقصد تأثير البيئة على شعره ؟ فاذا كان المقصود انه حاد عن البداوة الى الحضارة فلا ، وما قاله في مصر من شعر كثير يثبت صحة ذلك .

أما تأثير ذلك في حياته الخاصة فنعم ـ كان بيتنا في مصر كأي بيت مصري وكان أبي يتكلم اللهجة المصرية باتقان تام ولكن عندما يتلفظ بكلمة اربعة عشر او سبعة عشر كان يقول أربعطش أو سبطعش بدلا من أن يقول اربعتاشر أو سبعتاشر .

(٢) هل تتذكرين بأن والدك كانت له نية للجيء الى العراق ؟

لا اعتقد بان صحته كانت تسمح بذلك اولا ، وثانيا ان معارضته للسياسة الخارجية التي كانت متبعة في ذلك الوقت كانت ستقف حائلا دون رجوعه وتعاونه مع القائمين بالامر ، ويظهر مما لدي من رسائل بعض المسؤولين العراقيين آنذاك انهم عرضوا عليه مناصب عالية ، ولا أدري ماذا كان جوابه عليها ـ وقد حدثنا الاستاذ ساطع الحصري بانه كان أحد من كلف بالتوسط لارجاع الكاظمي الى العراق وقد عرض عليه عروضا مختلفة .

(٣) من كان يتصل بوالدك من الادباء والشعراء والمفكرين في مصر ؟

كان والدي على اتصال وثيق في أوائل ايامه بمصر ، بعدة شخصيات ادبية وسياسية أشهرها الشيخ محمد عبده الذي استضافه في منزله مدة من الزمن

والشيخ عبدالعزيز جاويش ومحمود سامي البارودي والشيخ علي اليوسف صاحب المؤيد وحافظ ابراهيم شاعر النيل ومصطفى صادق الرافعي ومصطفى لطفي المنفلوطي والسيد رشيد رضا صاحب المنار وعبدالحليم المصري وسليم سركيس وغيرهم ، فلما اختطفهم الموت الواحد تلو الآخر شعر أبي بألم الوحدة ، وكان يروي عنهم الشيء الكثير - وحين بلغت العمر ما سمح لي بملاحظة ما يجري حولي من أمور كنت أرى رجالا من مختلف البلدان العربية يزورون والدي وهو يرحب بهم ، وكان أبي عندما يزورنا أحد من العراق تتحول لهجته المصرية الى لهجة عراقية بحتة -

وفي أواخر سني حياة أبي قل عدد الزائرين ولم أعد أرى الا القليل منهم أمثال الشيخ مصطفى عبدالرازق ومحمود فهمي النقراشي ومكرم عبيد -

(٤) هل تتذكرين من من العراقيين كان يتردد على والدك ؟

المرحوم جعفر باشا العسكري ••• ولا أنسى تلك الليلة من ليالي كانون الثاني وكان البرد فيها قارصا ، استيقظت على سماع صوت اعرفه يقول - لابد لي من رؤيتها وتقبيلها قبل سفري حتى ولو كانت نائمة •• فهرولت حافية القدمين بملابس نومي وكنت وقتها في السادسة من عمري ، فاتحة ذراعي ورميت بجسمي الصغير بين ذراعي جعفر العسكري وكان يرتدي بزة عسكرية وهو قادم من العراق في طريقه الى لندن بالطائرة - فاعطاني هداياي التي عودني عليها - بعض اللعب وبرتقالة كبيرة الحجم وكنت اعرف (عمي جفر) واحبه كثيرا •

ولا يزال اسم مولود مخلص باشا عالقا بذهني • فقد كان يزورنا عند مروره بمصر •

أما الدكتور مهدي البصير فقد كان مجيئه الى مصر على ما اتذكر قبل وفاة والدي بعامين وانا التي كنت أرحب به عند زياراته المتواصلة طوال اقامته بالقاهرة وقبل ذهابه الى باريس •

وقد كان بعض الطلبة العراقيين يقومون بزيارة ابي من وقت لآخر وكان أكثرهم ترددا علينا السيد عزالدين آل ياسين ، الذي أحبه أبي وتمنى له مستقبلاً باسما في عالم الادب •

ومن الحوادث اللطيفة التي أتذكرها كانت زيارة وفد من الكشافة العراقية لبيتنا بمصر الجديدة ، فقد كانت الساعة حوالي الثالثة وابي في سريره يحـــاول النوم ، كنت أنا اقوم ببعض الواجبات المدرسية ، وكان الجو السياسي بالقـاهرة متوترا اذ كان الدستور معطلا والبرلمان مغلقا والمظاهرات تجوب شوارع القاهرة هاتفة لحزب الوفد ومطالبة بالانتخابات الحرة ..... ففي تلك الساعة اذا بي اسمع صوت هدير قوي يهز الحي فتوجهت الى اقرب نافذة تطل على الساحة امام دارنا فرأيت أقل من مائة شاب يلبسون ملابس كاكية اللـــــون وعلى رؤوسهم الخوذات يقودهم شاب منهم يهتفون يعيش شاعر العرب يعيش يعيش يعيش ... فتوجهت الى والدي وقبل ان اتفوه بادرني بقوله دعيهم يفتحون ابواب الحديقة فهؤلاء شباب العراق ، ولما دخلوا الحديقة صعد قائدهم وكان هو السيد عبدالكريم عـيران ، رحمه الله وقبّل أبي وقال ان شباب العراق متعطش لسماع صوتك واما رؤيتك ومصافحتك فهذا كل ما يتمنى ياسيدي ، فنزل ابي الى الحديقة وصافحهم واحدا واحدا ثم ألقى عليهم بعض الكلمات سروا بها كثيرا . ولست انسى اثـر تلك الزيارة على أبي اذ ان حالته المرضية تحسنت وشهيته الى الطعـــام رجعت طبيعية الى حد كبير فكنت أقول في نفسي اللهم ارزقنا بمن يأتي من العراق ولو في كل شهر مرة .

(٥) من كان من أقارب والدك معه في مصر ؟

عمي الشيخ محمدحسين الكاظمي وهو يكبر ابي ببضع سنوات وقد جـاء الى مصر بعد مجيء والدي بحوالي عشر سنين وتوفى بعده بسنة تقريبا .

وفي سنة ١٩١٣ مرّ عمي أحمد الكاظمي بمصر ، وهو الاخ الاصغر لوالدي وبقى فيها سنة أو تزيد قليلا .

(٦) هل كانا ينظمان الشعر ايضا ؟

نعم اولهما كان استاذا لابي وقال من الشعر الكثير ـ ومن طرائف ما يرويه الرواة ان أول قصيدة نظمها ابي نُسبت الى أخيه محمدحسين ، فكان فخر أبي بذلك كبيرا وقال لاحد خلصائه هذه باكورة نظمي ويرفعها القوم الى مقدرة أخي في النظم ـ اني لفخور بذلك وايم الحق .

أما الاخ الاصغر فقد تتلمذ على أبي ونظم شعرا رقيقا مسبوكا ،وقد عثرت مؤخرا على قصيدة له في صحيفة المؤيد عام ١٩١٣ يحي فيها مصر .

(٧) هل هناك أوجه شبه بين والدك وعمك ؟

ان أبي وعمي يبدوان وكأنهما توأمان وكان بعض المشاهدين يخلط بينهما . فمن النوادر الطريفة ان الشاعر حافظ ابراهيم زرا ابي مرة وقال له معاتبا لقـد حييتك بالامس أحسن تحية كما هي عادتي دائما عندما اراك فلماذا تجاهلتني ذلك التجاهل يا أستاذ فماذا فعلت حتى أنال منك هذا الاعراض ؟ فضحك ابي ... وفسر له الامر . وكان الاستاذ حافظ ابراهيم ضعيف النظــــر على ما يعـــرفه أصدقاؤه عنه .

(٨) هل ساهم والدك بالحركة السياسية بمصر بشعره ؟

كان اتصاله بالامام محمد عبده واعجابه به دليـــــلا على تحسسه بالمشاعر السياسية التي عرفت عن الامام محمد عبده وفي بيته بدأ اتصاله بسعد زغلول الزعيم الخالد وشعر أبي في تأييد الحركة التحررية التي قام بها ســـعد كثير ومعروف وعند وفاته رثاه لا بقصيدة واحدة وانما بقصائد عدة .

(٩) قام والدك ببعض السفرات عندما كانت صحته تسمح له بذلك الى فلسطين وشرقي الاردن فما هو نوع الجواز (الباسبورت) الذي كان يحمله ؟

كان يحمل جواز مرور وليس جواز سفر ولم يقبل أن يحمل جواز سفر أية دولة عربية مع انه كان بامكانه ذلك ..

(١٠) من اعتدى على والدك بالرصاص عندما كان بالعراق؟

لم يحدثني أبي بالتفصيل عمن ولماذا اصيب بالرصاص وانما ذكر لي ان مرور السيد جمال‌الدين الافغاني بالعراق واتصاله به لفت نظر السلطات الحاكمة أنذاك اليه ووجدته غير جدير بالحياة فارادت التخلص منه بالغدر .. وعنـــدما جئت الى العراق لاول مرة عام ١٩٣٥ بعد وفاة ابي حدثني خاله الشيخ عبدالرزاق البير عن تلك الحادثة .

في طريقي الى الكاظمي

كرمي
الدكتور محمد مهدي البصير

نحن الآن في يوم من أوائل أيام ايلول من سنة ١٩٣٠ وفي دار القنصلية العراقية العامة بالقاهرة وقد جمعتنا مأدبة كريمة أقامها الدكتور عبدالله الدملوجي قنصل العراق العام بمصر لي بمناسبة قدومي القاهرة •

وفيما نحن نتجاذب أطراف الحديث اذ التفت صوب مضيفي وقلت لـه ، لا مؤآخذة يادكتور أنا أريد ان أزور الكاظمي فكيف يتيسر لي ذلك ، فقال لي: الاستاذ داغر أقرب الناس الىا الكاظمي وأعرفهم بأحواله وأوقاته وهو هنا فتفاهم معه في الموضوع • والتفت الى داغر وقلت له ما رأيك يا أستاذ فقال : أنا على استعداد لان أصحبكم الى بيت الكاظمي وأن أمكث معكم مدة قصيرة على أنانسحب بعد ذلك ، فقلت ولم ، قال لان عندي اشغالا كثيرة يتعق بعضها بالجريدة (يريد الاهرام التي كان محررا لسياستها الخارجية) وبعضها لغير الجريدة ، ولابد من قضاء هذه الاشغال فرضيت •

وهنا تركز الحديث حول الكاظمي فقد قلت للمرحوم داغر • يا أستاذ ان الناس منقسمون فيما يشاع عن قدرة الكاظمي على الارتجال وهم في هذا بين مصدق ومكذب ، ولكن كثرتهم تميل الى التكذيب فماذا تقول في هذا ؟

فقال أن المكذبين معذورون ومخطئون : معذورون لان ارتجال مئات الابيات من الشعر الجيد أمر لايصدقه العقل ومخطئون لان هذه هي الحقيقة .

فقلت له أفتروي بعض ما يؤيد هذه الحقيقة ، قال نعم أروي الشيء الكثير فمن ذلك أن صديقا للكاظمي فقد ولدا له في ريعان الشباب فلم يواسه الكاظمي ولم يحضر لقراءة الفاتحة على روح ولده بسبب مرضه ، ولكنه التقى به بعد أيام فعزاه وواساه واعتذر اليه ، فقال له هذا ولكن يا أستاذ لو نظمت أبياتا ترثي بها الفقيد لكان ذلك أحب الينا ، فقال حباً وكرامة وأرتجل قصيدة تقع في أربعين بيتا كتبها والد الفقيد ، ولما فرغ الكاظمي من الارتجال وصديقه من الكتابة قال لـه انا سنقيم حفلة أربعين للمرحوم على قبره فهل لك أن تتفضل فتنشد القصدة في الحفلة المرتقبة قال الكاظمي نعم .

وجاء في الموعد المحدد الى موضع الاحتفال ولكنه رأى قريبا من ذلك الموضع ضريحا ضخما سأل عنه فقيل له أنه ضريح المرحوم محمود سامي باشا البارودي ، ولم يكن الكاظمي قد رثى البارودي حين وفاته بسبب مرضه فعدل الى ضريحه وعدل معه الناس وأخذ يرتجل في رثاء البارودي والناس يكتبون حتى بلغ عدد أبيات القصيدة خمسين ومئة بيت قال في مطلعها :ـ

أقيمو صلاة الخاشعين وسـلمو	على من حـوى هـذا الضريح المعظم

وتطرق في أثنائها الى وصف الحرب العامة وكانت دائرة الرحى آنذاك فقال:

يروحون والخمس الحواس حوائر	ويغـدون والست الجهـات جهنم
وكان عقاب الجو ينظر من علٍ	فأصبح يرنو تحتهـم حيث يرجم

وفي ربيع سنة ١٩٢١ عقد مؤتمر القاهرة الذي تقرر فيه مستقبل العراق وحضره جعفر باشا العسكري من العراقين وكان عبدالقادر باش اعيان وقتها ماراً بالقاهرة فأقام حفلة تكريم لجعفر باشا دعا اليها الكاظمي وكنت عنده لما وردتـه الدعوة فقال أنا لا أحضر هذه الحفلة لانها انكليزية فقلت له بل الافضل أن تحضر لان جعفر باشا صديقك ولكن على أن لا تلقي شيئاً وبذلك ترضي ضـميرك

وصديقك ، فوافق على هذا ورافقته الى الحفلة ، وتتابع الخطباء والشعراء في تكريم المحتفل به فلما فرغوا صفق الحاضرون وصاحوا الكاظمي ، فقلنا لهم الكاظمي مريض والمنهج خال من الاشارة اليه فتمادوا في الصفيق والصياح ، وعندها قلت للكاظمي أرتجل يا أستاذ عشرة أبيات او اكثر وضع حدا لهذه الضجة فنهض وارتجل نحوا من عشرين بيتا جارى فيها شاعرا لبنانيا كان قد أنشد قصيدة في الحفلة ثم جلس ، فاستأنف المحتفلون الصياح والتصفيق ونهض الكاظمي مرة أخرى وأرتجل نحوا من عشرين بيتا آخر ثم جلس ، فاستأنفوا الصياح والتصفيق واستأنف الارتجال فما زال يرتجل ويستزيدونه ويكتبون ما ينشد حتى بلغ عدد أبيات القصيدة خمسة وأربعين ومئة بيت وأولها :ـ

يراع العلى هل أنت أدهى وابصر أم السيف أرسى منك قلباً وأجسر

وما كان لي وأنا أرى هذا بعيني رأسي وأسمعه بأذنى أن أمتحن الكاظمى لارى الى أين تصل قدرته على الارتجال ولكن هذا ما فعلته .

فقد اتفقت مع شاعر مصري على أن يمدح الكاظمي بقصيدة صعبة الروي جدا وينشده أياها عندي في موعد حددته له ودعوت الكاظمي الى الغذاء وبعد أن فرغنا من تناول الطعام خرجنا الى الصالون لتناول القهوة واذا بالشاعر المصري يفاجيء الكاظمي فسلم عليه سلاما حارا وقال له أنه من مريديه والمعجبين بأدبه وقد مدحه بقصيدة متواضعة يود أن ينشده أياها ، فقال له هات واذا هي قصيدة شينية قافيتها على جانب كبير من الصعوبة فلما فرغ الشاعر المصري من أنشاده قال له الكاظمي انك لم تبق لنا شيئاً ومع ذلك أخذ يجيبه في نفس العروض والقافية فما زال يرتجل حتى أشفقت عليه ورجوته أن يكف عن الارتجال .

ومن شهود العيان الذين حدثوني عن ارتجال الكاظمي ولكن على مقياس ضيق في هذه المرة المرحوم السيد حسن القزويني ، فقد قال لي انه كان والكاظمي في ليلة قمراء بصحن الكاظمين عليهما السلام وبينا أنوار القمر الفضية تغمر الكون فتملأ النفوس بهجة والقلوب مسرة اذا بغمامة سوداء برزت في الافق فحجبت القمر

وملأت الكون ظلاما فقال الكاظمي على الفور :

وسامرت بدر التم اذ غاب مؤنس ... لضني أن البدر عنه ينوب
فحجبه عني الغمام بذيله ... فواعجباً حتى الغمام رقيب

ومن هذا الباب ما أخبرني به الكاظمي نفسه ، قال زرت الامام الشيخ محمد عبده في منزله بعين شمس ، فقيل لي أن الاستاذ لايعود الا عند مغيب الشمس فأنصرفت بعد أن تركت له هذين البيتين :

قيل بدر الهدى اذا غابت الشمس اليكم يعود من عين شمس
فلهذا أودعتهم رقعتي هذي وأودعتها حشاشة نفسي

رحم الله الكاظمي فلقد كان فارس حلبة الارتجال الذي لايشق له غبار ولا سيما في تأريخ أدبنا الحديث .

١٩٦٤/٥/٨ محمد مهدي البصير

في ذكرى الكاظمي

بقلم الاستاذ حكمت الچادرچي

في حوالي الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم الاول من شهر أيار عام **١٩٣٥** اتصل بي « الطالب » عزالدين آل ياسين ، رحمة الله عليه ، وأعلمني بأن الاستاد الشيخ عبدالمحسن الكاظمي قد توفي بداره بمصر الجديدة ، فآلمني هذا الخبر كل الالم وكنت اعلم بان الكاظمي يعاني آلام مرض الالتهاب الرؤي منذ اكثر من شهر ، وكان الطالب المذكور ملازما له طيلة تلك المدة فكان مثالا للشهامة والوفاء فقمت بعد ذلك بالاتصال بمن كنت أعرفه من أصدقاء الكاظمي الذين كانوا يترددون عليه أبان حياته كالشيخ مصطفى عبدالرازق استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة وشيخ الجامع الازهر بعدئذ ، والاساتذة أسعد داغر وزكي مبارك وأحمد أمين ، وخليل مطران وانطوان جميّل وخيرالدين الزركلي وامين سعيد وغيرهم ، وعلمت بان الشيخ مصطفى عبدالرازق كان ملازما الفراش ولكنه أصرّ علي أن أمرّ عليه في صباح اليوم التالي لاصطحابه الى منزل الكاظمي للاشتراك بتشييع جثمانه الطاهر الى مثواه الاخير ، واعلمني الآخرون بأنهم سيكونون في موكب التشييع الذي حددت له الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي الثاني من آيار .

وفي الموعد المحدد صحبت الشيخ مصطفى عبدالرازق الى داره الفقيد وكانت تقع بميدان الاسماعيلية بمصر الجديدة ، فوجدنا الاستاذ عبدالقادر الكيلاني القائم باعمال المفوضية العراقية آنذاك قد سبقنا الى هناك وبعض الطلاب العراقيين الذين كانوا يدرسون بمدارس القاهرة ... وكان الشيخ مصطفى بحالة تأثر شديد وقد اغرورقت عيناه بالدموع على صديقه الحميم الذي كانت تجمعهما صلة الصداقة والادب الرفيع والاخلاق الفاضلة ، وقد أبى الا أن يشترك في تشييع الجثمان حتى مثواه الاخير بمقبرة مصر الجديدة ، وكان موكب التشييع بسيطا لم يسر فيه الا القليل ممن كانوا يتصلون بالكاظمي سواءً من الادباء أو من العراقيين الذين كانوا آنذاك بمصر ... ولكن ما ان علم القوم بنعي الفقيد من صفحات الصحف في اليوم التالي حتى بدء المعزّون يفدون على داره فيقدمون التعازي الى كريمته والى من كانوا يجدونه في الدار من الاهل والصحاب ، ويعربون عن الخسارة التي أصابت الشعر بوفاة شاعر العرب الكاظمي . وكانت الاحاديث تدور حول الذكريات التي يحملونها عن ذلك الشيخ الجليل ، فقد ذكر الشيخ مصطفى عبدالرازق رحمة الله عليه ، بان عامة القوم في مصر لم يكونوا يفرّقون بين الاقطار العربية بل كانوا يطلقون على كل من هو غير مصري كلمة « شامي » وكل بلد من البلاد العربية هو من «برالشام» ، حتى جاءالكاظمي وبدءيترنم بذكر العرب وبغداد والكرخ والزوراء فعرفوا به تلك البلاد وصاروا اذا رؤا عربياً من العراق قالوا هذا من بلد الكاظمي ، وهكذا كان الكاظمي أول من عرّف المصريين بوجه العراق العربي الاصيل ... وذكر الاستاذ مكرم عبيد عضو حزب الوفد المصري ، بان الزعيم سعد زغلول كان كثير الاعجاب بشعر الكاظمي وكان يرى فيه شاعرا من شعراء المعلقات ، وذكر الاستاذ مكرم بأن سعد كان أول من وصف قصائدالكاظمي « بالمعلقات » ، ولكن الشاعر خليل مطران ، شاعر القطرين ، لم يوافقه على ذلك ونسب الى الاستاذ خيرالدين الزركلي ، الذي قام بطبع بعض قصائد الكاظمي واطلق صفة المعلّقات على تلك القصائد ... وذكر الاستاذ أسعد داغر بان المصريين لم يكونوا يطلقون اسم « عبدالمحسن » على أبنائهم قبل مجيء الكاظمي الى مصر ، فلما عرفوه واعجبوا به بدأوا يكثرون من التسمية باسم عبدالمحسن .

وكم عاتبنا وعاتب المفوضية العراقية آنذاك الكثيرون من المعزين لعدم قيامنا بالواجب تجاه الكاظمي ابان مرضه وبعد وفاته وتسائلوا أين مجلس العزاء

والفاتحة لاستقبال المعزين ولماذا لم نقم بذلك فلم نجد جوابا !!!

ثم مرت الايام .... وكان لنعي الفقيد الاثر الداوي في العـــراق فقامت الحكومة مجاراة للرأي العام وقررت اقامة حفلة تأبينية كبرى دعت اليها كريمته من مصر وكانت تلك الحفلة كسوق يتبارى فيها الادباء والشعراء بالاشادة بمنزلة الكاظمي العالية في عالم الشعر القومي العربي والخسارة التى أصابت الامة العربية عامة والعراق خاصة بفقده ... وقرأنا بالصحف بأن لجانا تألفت لجمع ديوان الكاظمي وأخرى لجمع التبرعات من الاهلين لتشييد ضريح لائق بمكانته .. وان مجلس الوزراء في العراق قرر تأليف تلك اللجان وأوصى بموآزرتها .. ثم مضت الايام والسنوات ولا أثر لتلك اللجان أو لما قيل عن التبرعات التي تقدم بها الاهلون ، ولما سألنا المسؤلين عن ذلك قيل لي بان لاعلم للجهات المســؤولة بذلك .. وكفى الله المسلمين شر القتال ! لذلك اخذنا الامر على عاتقنا بما لدينا من قلة في المال ، واظهرنا المجمــوعة الاولى من ديوان الكاظمي عام ١٩٣٩ ثم إعقبناها بالمجموعة الثانية عام ١٩٤٧ ، وبعد ذلك قمنا بتشييد ضريح بسيط ولكنه لائق نقلنا اليه رفاته الطاهرة ، في مقبرة الامام الشافعي على سفح جبل المقطــم الذي يطل على القاهرة ، وكان سبب اخيارنا لذلك الموقع هو كون تلك المقبـرة تضم أضرحة الكثيرين من أدباء مصر ، وموقعها بعيد عن امتداد احياء السكن ، واحتمالات الغاء الدفن فيها او تحويلها الى منطقة سكنية او صناعية كما حــدث لمدافن أخرى بالقاهرة . وبقينا طيلة هذه المدة نرعى الضريح حتى لم يبق لنــا متسع لذلك ... ولما قمنا بزيارة القاهرة في تشرين الاول الماضي هالنا ما وجدناه فيه من تخريب ينذر بالاندثار فقمنا بصرف بعض المبالغ لايقاف ذلك التخـريب ولوقف يد الاندثار ، وتركناه ليد القدر ونحن نعلم بأنه منذ تشـــييدنا لذلك الضريح حتى اليوم لم يخطر ببال ممثلونا الدبلوماسيون بالقاهرة ولا طلابنا ولا أحد من أعضاء مختلف الوفود الذين يترددون عليها أن يسأل عنه او يعلم أين هو موقعه ... أقولها معاتباً جميع هؤلاء على هذه الصورة من الــوفاء للأدب وللدين الشيخ الذي أذاب فؤآده وقضى حياته مترنما بذكر أمجاد العرب والدعوة لوحدتهم الشاملة .

وبهذه المناسبة ، مناسبة ذكرى وفاته ، رأيت أن أذكر شيئا عن هذه الناحية من حياة الكاظمي ذلك الشاعر الذي أطلقت عليه الاوساط الادبية في أرض الكنانة لقب « شاعر العرب » فارتضته له بقية الشعوب العربية بحق وجدارة وطواعية من بين جميع الشعراء العرب الذين عاصروه او جاؤا بعده ، ولم يكن للكاظمي من قوة المال أو السلطان ما ساعده على نيل ذلك « اللقب الرفيع » غير ما حفلت به قصائده الكثيرة من اثارة روح العروبة واستنهاض الهمم لاعادة مجد العرب واقامة كيان وحدتهم بروح تنم عن عروبة خالصة في التفكير والنزعات والاتجاهات. وهو الذي أهاجه أحد الزائرين عندما وصفه « شاعر العراق » فاذا به « أي بالكاظمي » يقول له « بل قل شاعر عربي عراقي فالعراق أقليمي والاقطار العربية كلها وطني » كان ذلك في وقت كان القوم فيه تتجاذبهم نزعات واتجاهات ودعوات مختلفة ولم تتوضح لهم الطريق العربية بعد ، فمنهم من كان يدعو « للفرعونية » ، ومنهم الى « الاسلامية » وآخرن دعو الى « المصرية » على اعتقاد بانها جمعت العناصر المختلفة التي تعاقبت على بلاد الكنانة في مختلف العصور فانصهرت بمرور الزمن وكونت عنصرية جديدة رؤا فيها مميزات خاصة واطلقوا عليها « المصرية » . ففي خضم هذه النزعات الحائرة جاء الكاظمي وصاح بالقوم هناك :

أحنّ اذا قيل العراق وانحني ... واشهق ان قيل الشآم وازفر
واطرق ان قيل الحجاز على جوىً ... واعجب اما قيل مصر وأبهر
منى النفس ان يلقى العراق وغيره ... من الخير ما يهوى وما يتخير
جميع بلادالعرب فيالقدر واحد ... اذا وزنوا البلدان يوما وقدروا!

وقال :

انما الشام والعراق ومصر ... اخوات وان تفرقن حينا
حبذا يوم يصبح العرب طرآ ... في جميع البلاد متحدينا

وقد تعدى ذلك الى القول :

يا نيل أنت لنا أب ... وأب الاعزة لايذل
لك في العراق وفي الشآم ... ونجد والحرمين أهل
ولك الأبر من الجزيرة ... ما يبر أخ وخل

وكأني بالكاظمي لم يكتف بتذكير القوم في ذلك الزمان بان مصر والشام والعراق وبقية البلاد العربية بلاد واحدة ذات أمة واحدة ، بل أراد أن يقول لهم بأن أرض الكنانة مصر ، وقد خاطبها بالنيل ، هي بمنزلة الاب منها . وأب الاعزة لايذل . فهل أوضح من ذلك التفكير . بالوحدة الثلاثية . قبل الدعوة اليها بعشرات السنين ؟

والذي يتصفح ديوان الكاظمي يبهره ما يجده فيه من كثرة التذكير بامجاد العرب والدعوة لوحدتهم والاشادة بالقومية العربية . وقد دعى في بعض قصائده بصراحة الى أن تكون وحدة العرب تحت لواء واحد ، وقائد واحد . اسمعه يقول في قصيدة :

أيها العرب تعالوا نلتقي | في طريق المجد حتى نصلا
نلتقي تحت لواء واحد | سجل النصر له اذ سجلا

وفي قصيدة أخرى لم تنشر بعد في الديوان يقول :

يا أيها العرب تعالوا | نحتكم الى الرشد
لم لا نوحد القوى | جميعها ونتحد
تحت لواء واحد | يخفق في كل بلد
في ظل أدرى قائد | له من الله المدد

وهكذا كانت الصورة في مخيلة الكاظمي بلاد واحدة ذات أمة واحدة يخفق عليها علم واحد وفي ظل قائد واحد . فهل نجد بين شعراء العرب من دعا الى مثل هذا قبل أربعين أو خمسين عاما وفي بلاد الكنانة بالذات ؟

وكان الكاظمي يتلفت بانظاره هنا وهناك باحثا عن ذلك القائد من الحكام العرب آنذاك فيفرض فيه الاخلاص ويقول فيه الشعر تشجيعا وتحفيزا له للعمل القومي ثم يتوجه اليه بنفس القصيدة بالنصح والتوجيه والتحذير حتى اذا رأى ان ذلك لم ينفع فيه اذ رأى في ذلك الحكم انحرافا عن الطريق القويم تراه يسلط عليه اللوم ويكيل له التشهير اللاذع مما يسبب للكاظمي الكثير من المصاعب في حياته

من نفي وقلة ذات يد وتشريد . ولنسمعه في احدى قصائده الى الملك حسين بن علي يقول فيها :

لقد سبق الحسين الى المعالي ... وكان لنا به شرف اللحاق
قد اتفق الحسين مع الاعادي ... فلا كان الحسين على اتفاق
وهل يبقى على عهد حليف ... اذا ما العهد شيد على نفاق
فويل للذين جنوا علينا ... وقادونا الى الظلم المساق
فعدنا واثقين بهم فقامت ... مطامعهم على قدم وساق
وخفوا واعدين وقد وثقنا ... الى أن اثقلونا بالوثاق
وقد بلغوا بنا منا مناهم ... على أيدي التردد والشقاق
كأنا ما اجتمعنا للتلاقي ... غداة البين الا لافتراق

ثم اسمعه في احدى قصائده ، غير المنشورة في الديوان ، وقد أرسلها الى أحد ملوك العرب الذي ارتضى عرشا على أسس تقسيم البلاد العربية بموجب معاهدة « سايكس بيكو » المشهورة :

يا سبة الجاني وأية سبة ... تلك التي تدعى بسايكس بيكو
ليس الحياة بان ترى في يعرب ... ملكاً وانت لخصمها مملوك

وفي قصيدة أرسلها شخصيا الى الملك فيصل الاول يحذره فيها من التحالف مع الانكليز قبل الحصول على « حق البلاد الاكمل » في الحرية والاستقلال ، اذ يقول :

احق الممالك ملك سما ... به ملك عنه لا نشغل
واجدر بالملك ذو فطنة ... اذا غفل الدهر لا نغفل
ويأبى التحالف حتى يعود . . .. الى ملكه حقه الاكمل
أعندك أن يستبيح الزمان . . .. حمانا وانت لنا موئل
أيعضل أمر وأنت الذي ... يحل على يده المعضل
وكيف يحل لنا مشكل ... وحلال مشكله المشكل ؟

ولكنه يخاطب افراد الشعب العربي فيقول :

سـيروا بنـا عنقا وشدا — سيروا بنا ممسى ومغدى
سـيروا فرادا أوثنـى — والجمع للغـايات أجدى
سـيروا نذب عن الحمى — ونرود عنـه المسـتندا
سـيروا نؤلف شـملنا — وعيدها عقـداً فعقـدا
لا تحسـبوا أوطـاننا — هنـداً نحن لها ودعـدا
هـي نور أعيننـا التي — أبـدا نراح بها ونغدى
أوطـاننا أرواحنـا — بل انها بالروح تفـدى
بالله يا وطنـي أجـب — ما بال قلبك لس يهـدا
يرضـيك تصبح للخراب — وكنت للعمـران مهـدا
يا أيهـا الوطن الـذي — نادى بنيـه واسـتمدا
واسـر نـارا كلمـا — قيل اخمدي تزداد وقدا
يدعـو كهولهم كمـا — يدعوهم شـيباً ومـردا
روح فؤادك واسـترح — فبنـوك لا يألون جهـدا
سـتراهم كالاسد وائبة — تـرد الخطـب ردا
يا قلب كن حجـرا اذا — ما قلبـوه كان صـلدا
من لان للخطب الشديد — ترقب الخطب الاشـدا
سـيروا قواصد للمنـى — او تبلـغ الاوطان قصدا
وترى البـلاد جميعهـا — علماً طـويل الظل فردا

أما حنين الكاظمي الى مسقط رأسه ومرتع شبابه ومساكن أصحابه واحبائه في العراق . فقد كان ينم عن صدق العاطفة ويهز المشاعر ، ولاشك بان كثرة ما ذكره الكاظمي في قصائده عن العراق بذلك الاسلوب العاطفي الجميل هـو الذي لفت أنظار القوم في مصر . الى هذه البقعة الطيبة من الارض العـربية . وعرفهم بها أحسن تعريف فكان ذلك أكبر واقوى دعاية لنا نحن العرب من سكان أرض الرافدين ، فقد وصف العراق وطبيعة ارضه وشجاعة ابنائه بقوله :

فيه السبيل حدائق وخمائل ... وبه البيوت عرائن وخدور
فيه الاريب الفذ واللسن الذي ... وفي ومنه العالم النحرير
حاجاته في أرضه وسمائه ... فلدي التعسر رزقه ميسور
لكنه وهو الغني بتربة ... من عار في ذاك التراب فقير
أما مبانيه فغير شواهق ... لكن سكان البناء صقور
فهم البزاة محلقات في العلى ... واذا هوت فضراغم ونمور

واسمع حنينه في قوله :

الاخيّر من ثنايا العراق ... يطلع أو زورة تطرق ؟
هل الدار بعدي كعهدي بها ... يباكرها العارض المغدق
أم البين أسلمها للبلى ... وعاث بها الذئب والخرنق
رعى الله أهل الحفاظ الاولى ... كما لقى القلب فيهم لقوا
أحباي هل كلف شيق ... يناشده الكلف الشيق
وان خفق البدر بنحو الحمى ... نزت كبدي نحوكم تخفق
على حرق أضلعي تلتوي ... ومن علق أدمعي تدفق
متى تنجلي طبقات الكروب ... وينجاب سدف العنا المطبق ؟

وفي قوله :

ان يكن بات في الكنانة جسمي ... ففؤادي بالكرخ بات رهينا

ومن قوله :

ارفاق الصبا وليس حرام ... ان أنادي رفاقي الاقدمينا
أبغداد ابشري وثقي باني ... بحبك سالك سبل التفاني
ولو اعطيت ملك الارض طراً ... بغير هواك عيشي ما هناني

ولم أعلم بأن أهله واصحابه أو رفاق صباه الذين تغنى بذكرهم في العراق كانوا يستمعون أو يمدون اليه بايديهم أو حتى بابصارهم ، وانما استمع اليه ومد له يد الاخوة واظهر له واجب الوفاء رجال من أرض الكنانة ممن عرفوا

فضله وقدروا منزلته من أمثال الامام محمد عبده وسعد زغلول وغيرهما من رجال الفكر وقادة الامة •

أما بعد ••• فهذا قليل من كثير عن بعض نواحي حياة شاعر العرب عبدالمحسن الكاظمي ، الذي اذكره دوما بالاجلال والتقدير وادعو له في هذه الذكرى الثلاثين لوفاته بالرحمة والثواب ، وقد تحدثت بما تحدثت به وما أنا « بالأديب الأريب » ، وانما تذكيرا لادبائنا هنا ، لعل هذه الذكرى تهزهم فيقوموا بما عليهم من حق الادب القومي تجاه شيخهم الكاظمي ، ولست أريد ان أصدق ما ذكره أحد أدباء تونس الخضراء عندما ادعى « بأن ادباء العراق الآن هم أكسل أدباء العربية » • اما المسؤلون من رجال حكومتنا الوطنية ، فالأمل بان يقوموا بما يخلد ذكر الكاظمي ، ويذكر جيلنا الناشيء بذلك الشيخ الذي قضى وقد بح صوته وفنى جسمه وروحه في سبيل استعادة مجد العرب ولمّ شملهم وتوحيد أهدافهم ، وقد نزت كبده وتحرقت بنار الجوى ضلوعه لوعة على الدار والاهل والصحاب :

أبغداد لا فاتتك مني تحية ... يفسر منها ما أراد المفسر
حنينا الى تلك البقاع الى التي ... تطيب الى تلك التي هي أطهر
حنينا الى أرض حييت بتربها ... حنينا الى العود الذي هو أنظر
حنينا الى الزورا حنينا الى الصبا ... ويا ليتني في ذلك الترب أقبر
لقد زعموا ان نسيت وانني ... غدوت بهذي دون تلك أفكر
وكيف تراني ناسيا ذكر موطن ... له مورد في كل سمع ومصدر
اذا كان لي في ذلك الترب موطن ... فلي وطن في هذه ليس ينكر
هناك شبابي قد تقضى وهاهنا ... مشيبي وفي الحالين أشكو واشكر

رحم الله الكاظمي ، وكان في عوننا من وراء القصد • انه سميع مجيب •

حكمت الچادرچي

الكاظمية .. لم تنشر

الأمر ان نمت عن ادراكه جلل (١)

قدى من الدهر افراحي وأحزاني … فقد تداولني منه الفريقان
البشر واصل حينا ثم فارقني … والوجد لازمني في كل أحياني
ملاوة أتراءى غير ذى شجن … وتارة أتوارى خلف أشجاني
وكلما قلت ان الدهر قربني … اذا به عن طريق البشر أقصاني
آني وأسرع والدنيا لمعتزم … لا مسرع في تمشيه ولا واني
سعيت في طلب العلياء مرتزقا … وما سعت قدمي الا لحرماني
فلا التريث عما خفت أبعدني … ولا التعجل مما رمت أدناني
ما زلت والدهر تعلوني حوادثه … أبني ويهدم صرف الدهر بنياني
أشكو وأشكر والايام صاغية … الى النقيضين من شكوى وشكران

□□

من لي بذي همم أعماله رجحت … اذا وزنت به الدنيا بميزان
مل لي بذى غيرة ان جلجلت غير … لم يلف يوما علينا غير غيران
فات الذين أضلتهم جهالتهم … عن الهداية من علم وعرفان
ان يدركوا ما يكن الطامعون بهم … خلف الجوانح من حقد وأضغان
الأمر ان نمت عن ادراكه جلل … وليس يدفع خطبا غير يقظان
أرى صحائف سودا كلها عبر … ملونات حواشيها بألوان
هل (طانها)(٢) كفلت حفظي(وتيمسها)(٢) وبين تيمسها قد ضعت والطان
أيذهب الناس بالآمال مذهبه … ومن له الأمر فينا سامع راني

□□

حتى القـوافي عصتني وهي عالمة بانني ربهـا في كل أبـان
حتى م اسـمع ايمـانا مغلظلة ولا رى غـير حنـاث بايمـان
عسـى تبر الليالي بعدما حنثت ويصبح الدهر طـوعي بعد عصيان
فأنظم القول يزرى بالقـلائد من لآلئ ويواقيـت ومرجـان
يا من عصرت حميا المجد خالصة من كرمة في المعاني غير ظمـآن
اذا طربت فجرد الخيل صـاهلة عناد لي وطوال الخط أغصـاني
وان ظمئت وبيض الهنـد ناهلة فخير ورد لا روائي الـوريدان
فكم شربت وكاسي كل ذى شطب من أبيض يقق أو أحمـر قاني
لئن أعش فالقباب البيض عاليـة محط رحلي وأوفي المجـد ايواني
وان أمت فحنـوطي والقنـا شرع ذاك الثرى وثيـابي الحمر أكفاني
ياذا الزئير وقـد طنت غوائلهم أخف الزئير لصوت منـك رنان
ليت الطليق الذي تقضي حوائجه درى لحاجـة هذا المدنف العـاني
فراح يحمـل عنا أو لنا خبـرا عن الحبيبين من أرض وسـكان

□□

لاتحسبوا قد مضى عهد العلى فلقد يكون ما لم يكن يومـا بحسبان
كم بدلت حـادثات الدهر من قدم عرشا بعرش وتيجـانا بتيجـان

---

(١) نشرت في مجلة فتاة الشرق بالعدد (٩) للسنة الثامنة عشرة الصادر في يوم (٩) يونية سنة ١٩٢٤ بالقاهرة .

(٢) جريدة « طان » الباريسية .

(٣) جريدة (تايمس) اللندنية .



ابراهيم صالح شكر

في ذكراه
ابراهيم صالح شكر

الدكتور يوسف عز الدين

ليس القصد من ندواتنا في احياء ذكرى الراحلين من الكتاب والمؤلفين ان نقدم دراسة مفصلة عن حياتهم وان نلم باطراف انتاجهم انما قصدنا الاول هو لفت نظر الباحثين الى هؤلاء الاعلام وتقديرا منا للفكر الحر والرأي الصريح والجهاد في سبيل هذه الامة ولرسم صورة عن فترة من أهم فترات الاتجاهات الفكرية في العـــراق • ففي هذه الفترة التي بدأت باعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وانتهت سنة ١٩٣٩ بالحرب العظمى الاولى ، فترة النهضة ، قدم الادباء والمفكرون اجل التضحيات وشقوا لنا الطريق وسط الصخور الجبارة ، بأدوات بدائية تعتمد على الايمـــان بالامة العربية وعلى الاخلاص لقضيتها والرغبة في السير بها نحو الحضارة فالفضل لهم فهم بناة الفكر ومؤسسو الحضارة ••

وابراهيم صالح شكر أديب عصامي نشأ كما نشأ أكثرنا في وسط شـــعبي أصيل من أسرة عربية قيسية في محلة شكر وفي أزقتها وحواريها ترعـــرع على التقاليد البغدادية الاصلية من إباء وكرم واعتداد بالنفس وحب للجار وتقـــدير لاصحاب الفضـــل والخير واتصل باساتيد العلم ومشاهيرهم مثل محمود شكري الآلوسي وعبدالوهاب النائب وعبدالمجيد جميل ونجم الدين الواعظ • وقد كان

يرتدي العمامة ويرسل لحيته شأن طلاب العلم ثم استبدلها بالملابس الجديدة وقد كانت الدواوين والمقاهي هي المنتديات الأدبية التي يتقارض فيها الادباء الشعر ، و'ينقد الانتاج ومن أشهر تلك المقاهي مقهى البيروتي في الكرخ ومقهى ابي علي في الباب الشرقي ومقهى الشط (المصبغة) ومقاهي الحيدرخانة بصورة خاصة .

ذاق في مقتبل حياته النفي عندما أخذ ينادي بالقومية العربية والدعـــوة الى إنصاف العرب زمن الدولة العثمانية ولما اشتدت وطأة الاتحاديين قبل الحرب الاولى أرسل ويوسف السويدي وعبدالحسين الازري وداود صـــــليوة وغيرهم الى الاناضول وقدم للمجلس العرفي العسكري ومن حسن الصدف أن يكون المجلس عادلاً فلم يجد ضده ما يدينه فعاد الى العراق قبل الحرب الاولى واصبح مختار محلته بدلاً من والده المتوفي ولما احتـــل الانكليز العراق لم يصبر وكتب أكثر من مرة واغلقت صحفه وهي لما تزل في مقتبل ايامها وحكم عله بالسجن اثر كتابته لمقال سياسي في مجلة الاماني سنة ١٩٣٢ مدة سنة .

تخذ الصحافة ميدانا للدفاع عن فكره ورأيه ومن جرائده شمس المعارف والرياحين والناشئة الجديدة ، واليقظة ، والزمان ، والمستقبل ، والتجدد .. كان قلقا مضطربا طول حياته وقد حاول أن يؤلف فكتب عن (تقي الدين باشا) الذي تولى حكم بغداد مرتين وقد نشر هذا في احدى الجرائد سنة ١٩٣٢ . و (حتروش) نشر منها ثلاثة فصول في الوميض (وقلم وزير) نشـرها في الوميض و (على المكشوف) و (المعلوم والمجهول) . و (لا أسكت ولن أسكت) .

كان طموحاً وذكيا وشديد الحنين الى وطنه وقومه فقد حدثني الاستاذ حسين جميل انه مرض في الشام فأرسل في طلبه فقال اذا مت فاجعل تراب العراق تحت رأسي اذا لم يمكن ارسال جثتي الى بغداد وكان يهتم بالالفاظ الرنانة والكلمات المختارة المنتقاة كان عنيفا رفض كل المساعدات المالية التي قدمت له ويعتد بعصاميته فلا نعجب ان نجده يستقيل من الدولة ويعتد بالعصامية في الاستقالة .

(هذه العصامية المؤمنة المطمئنة ما زالت ولن تزال تغني انشودة المجد في أحرج المواقف وتنشد لحن الكرامة في أخطر الظروف الصعبة) ثم يتغنى بها محذراً مدلاً بها على غيره نافضا يده من الوظيفة التي يجب أن تسند للمخلصين ولابناء البلاد وما توظف الا مضطرا فقال (هذا هو طريق التوظيف الذي اخترته مكرها وسلكته مضطرا) بعد ان سدت الحكومات طريق الصحافة عن وجهه فقال (ورئيس الوزارة الان كان يلوح لي بالنيابة اذا هادنت وزارته فكنت ألوح بها عن طريق الشعب اذا جاءت ، ولما عطلت صحفي الواحدة بعد الاخرى . ولما سدوا في وجهي سبل الارتزاق النبيل ، ولما لم يبق في يدي من أوراق الحياة الا ورقة واحدة هي ورقة التوظيف ، امسكتها لامسح بها جبين الطفل المعصوم ، ودمعة الصبية البريئة والزوجة المخلصة الصبور)

وبذلك اعطانا صورة عن روحه واحاسيسه واخيرا داهم المرض رئتيه وصعدت روحه الى بارئها في الخامس عشر من ايار ١٩٤٤ . في مستشفى العلمين عن عمر بلغ الخامسة والخمسين .

خطرات عن ابراهيم صالح شكر

خيري العمري

لقى اتجـه (ابراهيم صـــالح شكر) الى معالجة النقد في مطلع حيـــاته الادبية ،انتهج في سبيل ذلك أسلوبا عنيفا يتميز بمرارة السخرية ولاذع القول ، لذلك كان من الطبيعي الا تخلو حياته الادبية من مساجلات وخصومات •

وفي (الناشئة الجديدة) التي أصدرها ابراهيم صالح شكر عام ١٩٢١ حمل معوله وتصدى لكبار الادباء في العراق كالرصافي والزهاوي وأنستاس الكرملي بالهدم والتحطيم ، وأثار بذلك ضجة واسعة في الاوساط الادبية بدد الجمود الذي كان يسيطر عليها •

وكانت حملاته تتفاوت عنفا وشدة بالنسبة لاولئك الادباء ، فكانت بالنسبة للمرحوم (معروف الرصافي) شديدة لاتخلو من القسوة تنبعث في الاصل من خلاف سياسي يرجع الى أيام الحكم العثماني وثورة العرب عام ١٩١٦ ، فقد كان موقف الرجلين يختلف كل الاختلاف • فبينما كان (ابراهيم صالح شكر) يؤيد الثورة ، ويقف موقف المناصر لها الداعية لقادتها ، شأنه شأن عدد غير قليل من الشباب العربي المتحمس الذي ذاق من فظائع الاتحاديين ما جعله يتطلع الى ثورة عربية تداعب الاماني القومية • وقف (الرصافي) موقف المتشائم من تلك الثورة ،

المرتاب بأهدافها ودوافعها ونتائجها ، الشاعر بما تستغله الأيدي الخفية والمصالح الاجنبية .

ومن هنا كانت حملات (ابراهيم صالح شكر) تنصب على الرصافي وتأخذ عليه تردده وتقاعسه في مناصرة تلك الثورة والدفاع عنها وهذا الموقف يصدق على (حبيب العبيدي) لانه كان لايختلف عن موقف الرصافي من تلك الحركة .

أما (الزهاوي) فقد كانت حملات (ابراهيم صالح) عليه أخف وطأة ،وكانت مقالاته أقرب الى (الوخزات) و (الغمزات) و (المداعبات) التي تكشف الكثير من مفارقات الزهاوي وميله الى حب الشهرة وتطلعه الى الثناء وتهالكه عليه . واتفق مرة ان تألفت وزارة ضمت شاعرين احدهما احمد الفخري والآخر محمد ابوالمحاسن وتناقلت المجالس تبرم الزهاوي من ذلك لاعتقاده بأنه اذا كان لابد من استيزار شاعر فهو اولى بمقعد الوزارة من سواه ، فما كان من ابراهيم الا ان نشر خبر الاستيزار مقرونا بتقديم التعزية الى الزهاوي .

على ان ابراهيم وقف في بعض المناسبات الى جانب الزهاوي يمسح دموعه ويخفف من لوعته ويوم ضاق الزهاوي ببغداد وباع مكتبته بالمزاد العلني بقصد الهجرة الى القاهرة كتب ابراهيم كلمة مؤثرة عاطفية يودع فيها الزهاوي وينعي فيها حظ الاديب في البلد .

ولعل أهمية (الناشئة الجديدة) في الادب العراقي الحديث انها كانت تعكس ثورة ادباء الشباب في العراق على شيوخ الادب . وقد شبه أحد ادباء الشباب في ذلك الوقت وهو (محمود احمد السيد) دور ابراهيم صالح شكر في العراق بدور عباس العقاد وابراهيم المازني في مصر مقارناً بين (الناشئة الجديدة) و (الديوان) وهو الكتاب الذي اشترك في اصداره العقاد والمازني وتناولا فيه شوقي وحافظ والمنفلوطي بالنقد العنيف في مطلع حياتهما الادبية .

وقد هيأت (الناشئة الديدة) محل الصدارة لابراهيم صالح شكر بين أدباء الشباب في العراق فالتف حوله عدد منهم يدافعون عن جريدته ويشجعونه على خوض معارك الادب .

وقد ظهر هذا الشعور ذلك الوقت في مناسبتين كشفتا عن مدى ما كان يتمتع به ابراهيم صالح شكر من مكانة مرموقة في قلوب محبي الادب الجديد .

الاولى : عندما عُطلت (الناشئة الجديدة) فقد قامت ضجة في الصحافة تستهدف الغاء التعطيل واعادة النظر فيه ليواصل هذا الكاتب اداء دوره في مجال الادب .

الثانية : عندما تعرض ابراهيم صالح شكر في تلك الايام أي حزيران ١٩٢٣ الى محاولة اغتيال كادت أن تطوح به فأثارت هذه المحاولة استهجان الشباب وانبرى الادباء يستنكرون هذه المحاولة ويشجعون ابراهيم صالح شكر على مواصلة الكفاح الادبي .

اما صلاته بأدباء العرب ، فقد توطدت بحكم عمله في ميدان الصحافة وبحكم الشهرة التي حققها في هذا المجال ، وفي عام ١٩٢٧ عندما هاجر الى سورية كانت شهرته قد سبقته اليها ، فما ان وصل الى هناك حتى سارع الادباء الى الترحيب به فألقى (نجيب الريس) في احدى تلك الحفلات خطبة يعرّف بها (ابراهيم صالح شكر) الى الجمهور السوري فقال وهو يستعرض دوره في الصحافة انه شبيه بدور (أمين الرافعي) الصحفي الوطني المعروف في تاريخ الصحافة المصرية وكانت صلته بالشاعر (أمين نخلة) قوية اما علاقته بالكاتب السوري معروف الأرناؤوط فقد كانت اوثق من غيره من الادباء فقد كان كلاهما يتبادل الاعجاب بالآخر حتى قيل ان ابراهيم صالح شكر تأثر بأسلوب معروف الأرناؤوط ونهج نهجه فيما كتب .

لقد قيل ان (الاسلوب هو الرجل) ولعل هذه الكلمة اكثر ما تصدق على ابراهيم صالح شكر فقد كان اسلوبه الكتابي يعبر تماماً عن مزاجه وخلقه .

كتب ابراهيم الكثير من المقالات والقطع الادبية في الصحف والمجلات وفي اعتقادي ان رسائله الخاصة التي كان يبعث بها الى اصدقائه أصدق ما تعبر عن سجيته وعما يدور بخلده من افكار ويجيش في صدره من مشاعر وهذه الكتابات بمجموعها تعكس شخصية رجل متقد العاطفة قوي الاحساس سريع الانفعال يحمل قلبه على لسانه .

عُرف ابراهيم بين أصدقائه بروح السخرية وروح النكتة وكان لا ينفك عن توزيع الالقاب على اصدقائه يسمي رفائيل بطي (ولـــدي بالروح) ويلقب آخر (بأبن الآباء الكُثْـر) لانه كان يُذيل مقالاته تارة بأبن العاص وطورا بأبن زياد وحينا بابن عمرو وكـــان يقلب اسم عبدالمسيح وزير فيسميه (عبدالوزير مسيح) •

وكان نسّابة يعرف العوائل البغدادية واصولها وعلاقاتها وصلاتها وكان في مجالسه الخاصة يروي الكثير عن مشاهير الرجال في مجالسه الخاصة فتراه يوما يعجب بهذه الشخصية التاريخية وتراه في يوم آخر معجباً بشخصية أخـــرى يروي لرواده من اخبارها ما يثير الدهشة والاعجاب • وقد كان الرجل حساسا يتأثر بالكلمة اذا وجهت اليه وينفعل بالعبارة اذا مسّت اوتارا في نفسه وبسبب هذا المزاج لم يستطع أن يوفق بين واجبه الرسمي كموظف يخضع للقـــوانين والتعليمات وبين هوايته للادب وميله الى النشر في الصحف والمجلات وقد استقال وترك الخدمة في فترات متعددة من حياته وكان يعود الى الوظيفة وفي عزمـه أن يطلق الادب ويهجر الكتابة ولكنه لا يلبث أن يضعف أمام هذه الشهوة ـ شهوة الكتـــابة ـ فينزل الى الميـــدان وقد حمـــل يراعه ليـــدك بـــه أصـــنام السـياسة ويرفع القناع عن العمالقة فاذا هم أقزام •

اني اتساءل ونحن بصدد ذكرى هذا الرجل وبيان مكانته في الادب العراقي ودوره فيه ، اين مؤلفاته ومخلفاته وما كتبه بخطه وما نشره ؟ لا شك ان اغلبها مبعثر في بطون الصحف القديمة موزع في المجلات العتيقة ولعل بعضها مخطـوط في دفاتر ورسائل متناثرة ومصير بعضها مجهول • وحرام ، ان يهمل هذا التراث فهل تتولى بعض هيآتنا الادبية جمع تراث هذا الرجل في كتـــاب يسهل الرجوع اليه ويحقق خدمة للادب العراقي والتاريخ •

مصاحبة ابراهيم صالح شكر

ناجي القشطيني

س ـ كيف ومتى بدأت صلتكم بالاديب الراحل السيد ابراهيم صالح شكر ؟

ج ـ بدأت صلتي بفقيدنا العزيز منذ بدأنا تحصيل العلم وقبل خمسين سنة مضت • وذلك في مجلس العلامة الحاج نجم‌الدين الواعظ • في جامع العادليـة وكانت صلة أدبية فاستحالت الى صداقة أبدية ••

وكنا بعد الانتهاء من توجيهات الواعظ ـ اطال الله بقاءه ـ نقصـد مجلس الشيخ الزهاوي في قهوة الشط • فنجده حافلا بالادباء والوجهـاء • فنسـاهم باحاديثهم الماتعة ، وامثالهم النافعة •

وكان الفقيد يحلق في سماء الابداع • ويجلّي في ميادين الهجوم والدفاع • ويستهدف النكتة والفكاهة ، ويعجّب المستمعين بمواهب النباهة •• ومازلنا على على هذه الحال ، وذلك المنوال • حتى ألهتنا اعباء الوظيفة ، وابعـدتنا تكاليف الحياة العنيفة • فلم نستطع اللقاء الا من حين الى حين لنتبادل الشكوى من ألمنا الدفين !

س ـ بمن تأثر صديقكم الراحل من الكتاب والشعراء ؟

ج ـ كان ـ اثابه الله ـ مولعا بالكتب والمجلات والصحف الحديثة • ولشدة ولعه بها كان يطالعها في المجالس والمقاهي • واذا وجد فيها ما يستوجب التعليق أو الانتقاد • يُعلنه لجلاسه بأسلوبه الخلاب ، وصوته الجذاب •• وكنت أسمعه

يلهج باسماء المجددين من فحول البيان كولي الدين يكن وكأخطل لبنان • ويعتز بصداقتهما و ُينشدني لهما :ـ

الله في وجـــدي وفي مأملي ... من لي بعـــود الـــزمن الاول
قد كنت اشكو عذلي في الهوى ... فبت مشـــتاقا الى عـــــذلي !

×

و : تبدت وميحان المشيب بعيـــد ... وجيش أماني الشـــباب عـــديد
ولا عجب ان ولد الفحم ماسة ... بفودي وضغط الحـــادثات شـديد
واني واياها كصـــاحب ايكة ... يشـــذب من اغصـــانها فتـــزيد

وانه لمن المؤسف أن يأفل هذا الـكوكب السـاطع قبل أوانه ! وفي وقت نحن احوج ما نكون اليه !••

س ـ هل لديكم شيء من آثاره ؟

ان مخلفاته موجودة لدى أهله واصدقائه العديدين • واني احتفظ بالعدد الثاني من مجلته (الشمس) في العهد العثماني • وبصحيفتين بخط يده • الاولى يطلب فيها من الحكومة امتياز مجلة ••• والثانية يوصيني فيها بابن عمه (خزعل) أحد تلامذتي ••

س ـ هل كان يشارك عمليا في الحفلات الادبية ؟

نعم كان قد شارك في الحفلة التي اقيمت للفيلسوف أمين الريحاني وقد كانت حفلة جامعة لكل المشتغلين بشؤون المعارف القى فيها السيد هبةالدين الشهرستاني والزهاوي وألقيت فيها قصيدة ثم ختمها المحتفى به بخطاب وحضرها الرصـافي وساطع الحصري والسيد محمد خليل المصري مدير دار المعلمين واقيمت في بنايه المدرسة المأمونية •

ذكرى خليل ٢

كريم

عبدالحميد الياسين

ربعة في الرجال الى الطول أميل لولا تراخ أصاب قـــوامه ووهن لحق بشطاطه في أخريات سنيه طامنا منه • معتدل الجسم بين السمنة والهزال • عظيم الهامة لايكاد يجد لرأسه سدارة تكسوه الا بعد بحث مضن في المخازن • نقي البشرة الى الشقرة ماهي • أصفر الشعر • يأخذ شعر رأسه بماكنة متوسطة • لا يحلق لحيته حلقا ولا يرسلها تطول كثيرا فهي بين بين • واسع العينين أزرقهما جميل الثغر • مفلج الاسنان • يروعك منظراً • ويعجبك مخبـراً • اذا أمعنت النظر في خَلْقه شككت في كونه عربيا • صريحا ينتمي الى (قيس) وترددت أن تسلكه في العروبة مع القائل :ـ

وأنا الأخضر من يعـــرفني　　　أخضر الجلدة من نسل العـــرب

واذا تدبرت ُخلُقه لم تشكك بأنه من العروبة في الصميم •

كان في شبابه يتزيى بزي علماء الدين ثم استبدل السدارة بالعمامة والزي العصري بالقباء والقفطان • على أنه كان بصورة عامة مهملاً في هندامه غير معنى بمظاهر الاناقة •

كابد التغرب • وذاق مرارة التشرد • ونفي من بغداد على العهد العثماني • ودخل السجن في عهد النفوذ الانجليزي بالعراق المتستر وراء بلاط الملك المزيف• وقضى حياته في دفاع مستميت عن القومية العربية وجلاد في سبيلها ضد السلطة الغاشمة والسيطرة المستبدة سواء على عهد الاستعمار التركي أم في عهد الاحتلال الانجليزي ثم في عهد الحكم الوطني المقنع الذي أقامه الانجليز في العراق تزييفاً للحكم الدمقراطي وتمويهاً على التاريخ وتشويها للحقيقة •

كان أبي النفس حر الضمير نزيه الطوية نظيف اليد غيوراً في وطنيته مناضلاً عن عروبته شجاعا مقداما لم تطأطيء من كبريائه السجون والمعتقلات فلم ترهبه قوى الاستعمار وأذناب الاستعمار ولا أغراه المنصب والجاه والثراء فلم يهن في كفاحه ولم يستكن حتى اخترمته شعوب في ١٥ أيار عام ١٩٤٤ فذهب بصحيفة أنصع بياضاً من الثلج وخلف ذكراً لايزال يعطر أجواء الوطن وينير سبيل الجهاد لأشبال يعرب وترك في دنيا العروبة دوياً كأنما « تداول سمع المرء أنمله العشر » •

وكان كاتباً فذاً في أسلوبه وعبقرياً نهج في الادب العربي منهجا لم يزل منار المتأدبين ومثالاً أعلى لكل مترسل في الكتابة الفنية الرقيقة أناقةً في التعبير واختياراً موفقاً للالفاظ البراقة والتراكيب المشرقة النيرة والفقرات الموسيقية الرنانة والجمل النابضة بالحرارة الزاخرة بالحركة والنشاط •

إرتفع بالصحافة العربية في العراق الى أوج ما زالت الانظار تطمح اليه والأماني تحاول التعلق بأهدابه •

ذلك هو العربي الحر والكاتب الاديب اللوذعي والصحافي النقادة الجريء ابراهيم صالح شكر برد الله مضجعه وبل تربته بشآبيب الرحمة والرضوان •

كانت الصحافة ميدان جهاده الوطني الحر • وكانت في الوقت ذاته مهنته الاساسية التي يرتزق منها ويعيش بها • ولكن السفارة البريطانية التي كانت تدير شؤون البلاد من وراء ظهر الملك المزعوم والوزارة المزيفة كانت تطارده في مجال جهاده ومنبع رزقه • فكانت تأمر بتعطيل صحفه الواحدة تلو الاخرى • فلا يكاد يصدر عددين أو ثلاثة من أية صحيفة حتى تسحب اجازتها • ولقد عطلت بعض صحفه على أثر صدور العدد الاول منها • ومن صحفه المعطلة على هذا الاسلوب : الناشئة • الزمان • اليقظة • المستقبل • التجدد •

ولما سد عملاء الاستعمار في وجهه باب رزقه اضطر أن يتوظف « ليمسح بورقة الوظيفة دمعة غالية للطفل المعصوم والصبية البريئة والزوجة المخلصة الصبور » •

ولكن عندما حاول « سماسرة الوزارة استغلال وظيفته للدعاية الرخيصة وللتشنيع بأحرار الوطن والتشهير بأبطال العروبة وثبت العصامية من مكامن الكرامة في أروع صور الجلال » فلطم بالوظيفة وجه الوزارة الخائنة الذليلة صارخاً فيها صرخته المدوية في جواء الوطن يوم ٢٣ من كانون الثاني عام ١٩٣١ .

ما عرف في حياته معنى الاقتصاد والتوفير . وما كان يعرف من لغة المال الفاً ولا باءً . كان أخرق اليدين لا يليق شيئاً ولا تكاد أصابعه تمسك الفلس . ينفق وارده في يومه دون حساب لغد . فعاش فقيرا ومات فقيرا .

وكان يعوده في مرض موته الدكتور البير الياس . فوصف له يوما وصفة أمره أن يتعاطاها . ولما رجع اليه في اليوم التالي وجد الوصفة مهملةً بجانبه دون استحضار العلاج الموصوف فيها . ولما سأله عنها كان رد الفقيد عليه « ما جدوى العلاج يا دكتور وقد صمم الاجل ونفذ سهم القدر » ولكن الدكتور فطن الى ان المريض لم يجد ثمن العلاج ..!

وقد علم الاقوام لو أن حاتماً   أراد ثراء المال كان له وفر

شرع في حياته القلقة المضطربة بتآليف أدبية لم يجد في المعترك السياسي الذي كان يخوضه هدنة تتسع للتفرغ لانجازها فخلفها وراءه مخدجةً ناقصة . منها (تاريخ حياة المتوكل على الله العباسي) وقد كتب فيه فصولا كانت آية في الأدب العالي ومعجزة من النثر الفني الرفيع وذلك عام ١٩٣٦ وكان يطلعني على ما يكتب منها شيئا فشيئا . وكنا آنذاك في سامراء فكان يتتبع آثار المتوكل فيزور آخر خرائب قصوره ودوارس أبنيته يستوحي منها الالهام فيما يكتبه عنه .

ومن تآليفه التي لم يكملها ترجمة (تقي الدين) الذي تولى ولاية بغداد مرتين على العهد العثماني أولاهما بين ولايتي (نامق ـ مدحة) والاخرى بعد مصطفى عاصم . وكانت جريدة (الاستقلال) قد نشرت فصولاً متتابعة من هذه الترجمة البديعة عام ١٩٣٤ أيام كانت غرة في جبهة الصحافة الوطنية في العراق على عهد صاحبها المجاهد العربي الحر عبدالغفور البدري رحمه الله .

وقد رأينا أن نثبت فيما يلي نص استقالة الفقيد من مديرية تحرير لـواء بغداد التي وجهها الى المتصرف في ٢٣ـ١ـ١٩٣١ والتي ألمعنا اليها آنفا لنعرض على القراء الكرام نمطاً من أسلوبه في الكتابة ونموذجا مما كان يتحلى به مـــن اباء مترفع وشمم عزيز باذخ ولنجعل ذلك تحية منـــا للخليل ابراهيم في ذكـراه العشرين •

نص الاستقالة

منقولاً من العدد الاول الصادر في ٣٠ـ١ـ١٩٣١

من مجلة (الاماني) الاسبوعية التي كان يصدرها في بغداد

الاستاذ عبدالرزاق شبيب

صاحب السعادة المحترم متصرف لواء بغداد !
تحية واحتراماً •

وبعد فان عصامية وثبت من مكامن الكرامة في أروع صور الجلال وفي أنبل عواطف الاخلاص فكانت سراج الشمم ومصباح الاباء وما زالت ملتمعة على حواشي الايام وصفحات الحوادث منذ تنمر (الاتحـاديين) حتى استنسار (الجنـــدي الصغير)[1] •

هذه العصامية اللامعة الوضاءة لا تطفئها أكاذيب العصبة الغادرة ولا تمس بالكيد الخبيث الساقط ، وانما تظل مشعة ساطعة الشعاع ، فنورها مستمد من تقوى الوطن وايمان العقيدة المخلصة المطمئنـــة ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره « الخائنون » •

هذه العصامية المؤمنة المطمئنة ما زالت ولن تزال تغني أنشودة المجـــد في المواقف الخطرة ، وتنشر لحن الكرامة في أخطـــر الظروف الصعبة •

فاذا عبس الحظ وتكدر العيش وتجهمت الحياة راحت باسمة الوجـــه هانئة الضمير مطمئنة النفس ، فمهمتها في الحياة مقارعة الصعاب ومنـــازلة الكوارث والعمل على ما يرضى أمجاد البلاد وضمير الواجب الوطني •

---

(١) لقب كان ينبز به نوري السعيد •

هذه العصامية المخلصة الابية لاتسف الى المباءات الآهلة بالحشرات والجراثيم فتجاري أعداء البلاد وصنائع (العانس الشمطاء)[1] المترجلة بين أشباه الرجال ، وانما هي تمكث في العلياء المنيعة تجاري كبرياء الوطن وتصانع كرامة الشعب ، وتمهد للمبادىء السامية وتكافح في سبيلها غير آبهة لفحيح الصلال السامة ، وغير ملتفتة لعواء الذئاب المسعورة .

تلك عصامية أنعم الله عليَّ بها ، فاذا حدثت عنها فبنعمة الله أحدث ، فنحن انما نعيش في بلد يتطلب الافصاح من خدمته عما يكنون ويضمرون بعد أن أصبح الخائن يتبجح بخيانته ، وراح الآثم يفاخر بآثامه ، وبدت الرذيلة سافرة متبرجة . اذن فالغيارى معذورون اذا صدقوا بما أفاء الله عليهم من نعم وافرة وكرامة سابغة .

أما البؤس والشقاء ، أما الفقر والفاقة ، أما ذلك فلابد منه في الحياة ، وهو خير من الثروة المسروقة ، والمال الحرام ، والجاه الزائف ، والمكانة الكاذبة . ثم ان الجوع خير من التدني لالتقاط الفتات المتساقطة من مائدة الاستعمار . اذن فاني غني رغم الفقر المدقع والفاقة الساحقة .

لست أملك مالاً ، ولست أملك نسباً . وقد ترك لي أبي دارين اثنتين ، ملك الاولى بكد يمينه وورث الثانية عن أبيه ، فبعتهما وعشت بالثمن ، فأنا الآن أسكن بالاجرة دارا صغيرة متهدمة ، هي خير عندي من القصور التي أقامها السحت ، وشادتها الخيانة ، وسكن اليها الفجار .

وقد ألفت العيش الشريف من الخدمة الشريفة في الصحافة الشريفة ، ولكن حكومة (الوضع الشاذ) عطلت جريدة الناشئة منذ سبع سنوات ولما تزل معطلة ، ثم عطلت جريدة الزمان سنتين كاملتين ، ثم عطلت المستقبل واليقظة والتجدد ، ثم علمت انها واقفة بالمرصاد لأية صحيفة أصدرها ما لم أجنح الى مهادنة السياسة الاستعمارية الغاشمة ، او السكوت عن مطاياها من المحسوبين على هذه الديار وهم ألد الخصوم .

والوزارات المتتابعة في هذه البلاد انما تضافرت على تعطيل الصحف التي أصدرتها بعد ان جربت وسائل الاغراء ، وبسطت لي كفها بما عليها من كد الفلاح

(١) المس بل السكرتيرة الشرقية في السفارة البريطانية .

ونصب العامل لاهادنها فقط ، فخابت في أساليبها المغرية • واني في هذا الموطن ولهذه المناسبة أتحدى الوزارات ، الوزارة تلو الوزارة ، والوزير بعد الوزير ، وأفخر بهذا التحدي ما دمت اعيش بين أناس يتعبدون المال ويهملون الكرامة •

وهذا نوري السعيد الوزير الدائم في الوزارات المتتالية ورئيس الوزاره الان كان يلوح لي بالنيابة اذا هادنت وزارته ، فكنت ألوح بها عن طريق الشعب اذا جاءت • ولما عطلت صحفي الواحدة بعد الاخرى • ولما سدوا في وجهي سبل الارتزاق النبيل ، ولما لم يبق في يدي من أوراق الحياة الا ورقة واحدة ، هي (ورقة التوظيف) أمسكتها لامسح بها جبين الطفل المعصوم ، ودمعة الصبية البريئة والزوجة المخلصة الصبور •

لايكفي الانسان ان يكون غنياً صاحب مال وعقار ، او وزيراً يتمتع بألقاب الفخامة والمعالي ، وانما ينبغي له أن يضم الى الثروة والألقاب نفساً أبية ، ورأياً فاضلا ، وخلقا شريفا ، لاينحط الى المساوىء الساقطة ، ولا يتخبط في البؤر الآسنة •

ان أوكار المجد انما وجدت لتحتضن نسور البؤس وافراخ الفقر ، وان أعواد الكرامة النابتة في حقل الشمم لاتحصد بمناجل الصنائع السفلة ، ولاتشذب بآلات الانذال الاخسة ، وان صوت الحق لن يتبدد في الهواء •

أما اللهفة الأليمة فتعود في قرارة النفس سخطا متململا ، والسخط يحفز الحقد ، والحقد يثير الشر ، ويدفع الى الانتقام ، ومسفوح الدم خير من مسفوح ماء الوجه •

لقد توظفت في هذه البلاد ، ولست قائلاً بالابتعاد عن التوظيف ، وانما انا من القائلين باسناد الوظائف الى الخلص من ابناء البلاد وانقاذ الدواوين الحكومية من عناصر الدخلاء وأشخاص السوء • وما كانت وظيفتي ذات رأي مسموع في ادارة البلاد وسياسة الشعب ، وانما هي وظيفة كتابية ضئيلة الراتب ، كثيرة العناء ، وقد فضلتها على غيرها من الوظائف التي عرضت عليّ لئلا أحشر وتلك الزمرة الضالة الحقيرة التي لوحوا لها بالكرسي الناعم والراتب الضخم ، فهرعت اليها غير ملتفتة الى ايمان الشرف ، واعلان الملأ بالوطنية الصارخة ، والتصريحات الخطيرة • وما توظفت لاني هائم بالتوظف أو مطمئن الى العيش من راتبه ، وانما

توظفت بعد ان استحكمت حلقات الشقاء ، وسد الظالمون في وجهي أبواب الحياة. فتأملت ملياً ، فرأيت النجاة في طريقين اثنين : الاول يوصل الى الحطة وسقوط الاخلاق وامتهان الضحايا المقدسة والمبادىء السامية ، ذلك هو طريق الصحافة المداجية والكتابة المنافقة ، وانني أحتقر سالكيه وأشهّر بالداعين اليه ، أما الطريق الثاني فانه على خموله وكثرة أتعابه أضمن للسلامة ، وادعى الى الراحة ، هـذا هو طريق التوظيف الذي اخترته مكرها وسلكته مضطرا ، وقد سلكته لارضي به بعض الواجب الذي قضت عليّ به الاقدار الساحقة ، واني صابر غير جـزع مما صرت اليه ، وغير ملام عليه من العصبة الطيبة والملأ الصالح .

أما أن يعمد الانذال وسماسرة الوزارة الحاضرة . فيتخذوا من وظيفتي هذه وسيلة للتنديد بالمبادىء الوطنية ، أو انهم يحاولون ان يتخذوا من وظيفتي وسيلة لافهام السذج باني أصبحت منهم ، واتسمت بالعار الذي وسمتهم به الحـوادث المتتالية والايام المتتابعة ، فذلك ما لا يستطيعه الانذال وسـادة السماسرة ، وأي سيد هذه البلاد مهما كانت شخصيته ، ومهما كانت مكانته ، ومهما تكن صفته ، وان قلامة من ظفر في أصبع من قدمي لأضن بهـا أن تكون تاجا لتلك العصبة الضئيلة في نفسها واخلاقها وشرفها .

والوظيفة التي يستطيع الأخسة أن يوسوسوا بها حـولي ، من الواجب طرحها ونفض يدي منها . فأنا أقدم اليكم هذه الاستقالة ، وأرجو ابلاغها الى وزير الداخلية ليطلع عليها ، وليعلم منها ان صنائعه وخدمة رغباته لا يستطيعـون مس الكرامة اذا تغلغلت في اعماق النفس الأبية الجبارة .

وسوف أجنح الى العزلة اليائسة زاهدا في الحياة ، وسأترك هذه الحياة كريماً خـالداً .

خواطر في الادب والحياة

ترجمة

ابراهيم صالح شكر

هذه خواطر في الادب والحياة اعتاد الاديب الكبير ان يكتبها ويسلك فيها نظراته الى شؤون المجتمع والناس في هذا البلد • وفيما يلي بعض هذه اللمحات الادبية :

ليس من العدل ان تلطم شخصا وتمنعه من لذة الصياح والعويل •

● ●

مجابهة الحقائق وعدم التهرب منها ضرورة من ضرورات الرجولة

● ●

هذا النور الساطع الذي كشف عن اسرار الطبيعة كل غامض وخفي ترك ركنا واحدا شديد الظلمة •• هو روح الانسان !

● ●

كل امريء في وسعه أن يكون فيلسوفا في نظره الى الحياة •

● ●

ان الانسان ليكون أشبه بالقرد اذا سجن في قفص مملوء بالعصافير •

● ●

أننا نلاعب الحياة أو نغامر معها ولكن الحياة لا تعدل في لعبها وانما هي دائما تميل الى الغش والخداع •

● ●

انني غريب عن هذا المكان وعبثا احاول الاندماج فيه والرجوع اليه .

أن الاهوال يمكن احتمالها اذا طرحها الانسان من ذاكرته .

ان أحلام المستقبل وبسمات الخيال قد توارت في ظلمات اليأس والقنوط .

● ●

الذي يؤدي واجبه وهو نقي الضمير نظيف اليدين طاهر الروح هو أسمى من أن يمسه قول قائل أو رأي زنيم .

● ●

العقيدة لا المعرفة هي أساس الأخلاق .

● ●

انني أنظر الآن الى الدنيا من ثنايا الكتب فأرى كل شيء ولا أرى شيئا .

● ●

ان الدستور هو الذي يقوم على حقيقة حية هي (ضمير الشعب) .

● ●

كتب في ١٢ نيسان ١٩٢٩ :

(بلغني أن وزيرا من وزراء الدولة يتهامس عن صلتي بالمدفعي بك ويتململ منها . ومن المستحيل أن اجحد هذه الصلة أو أتهاون في أسبابها فهي اخلاص ولست ولله الحمد أملك في الحياة غيرها ولكنني أجل من أن أتخذ من وظيفتي وسيلة للقيام بواجبات هذه الصلة) .

● ●

في الازمات الحادة انما يستطيع الحياد أو السكوت (على الأقل) من كان على شيء من القدرة على العيش والاستغناء عن وظائف الدولة .

● ●

ان تجار الاشاعات يعمدون الى البضاعة الرخيصة فيغمرون بها الأسواق .

● ●

الذي يخاطبك بلهجة صريحة وصادقة يحترمك أكثر جدا ممن يخادعك بنعومة وظرف •

● ●

•• وبعد فان الفضيلة متى بلغ بها اليأس وجدت في الثورة حافزا الى الرجاء، والرجاء مادة التفكير في الحياة •

● ●

ان الجماد الكثيف فيه قابلية التطور فكيف بالانسان وهو يحس ويشعر •

● ●

أأحس الى الحياة أم أحلم بالموت أم أتخيل المستحيل •

● ●

الحقيقة تصل الى كل مكان وتنتصر في النهاية ولكن الأخلاق تأبى الوسائل الوضيعة في محاربة الخصوم ثم ان الخلاف أو هذه الخصومة يجب أن لا تمحو ذكريات الصداقة أو تؤثر فيها •

● ●

رجل •• ولكنه فقد ميراثه الطبيعي من الرجولة فاستحال حثالة قذرة لو رآها الخالق لأنكر ما خلق •

● ●

التأريخ يدور في حلقات وينتهي حيث ابتدأ •

● ●

أي سخرية دامية ؟ في أن نرى هذا (الشخص) يحتفل بزفاف امه الى زوجها الجديد في يوم (الاربعين) من وفاة أبيه !

كذلك هي حفلة أمانة العاصمة للسفير البريطاني فهي تكريم الاحتلال في فترة الحداد العام •

● ●

نستطيع أن نكذب على الله وعلى الناس فنزعم ان الوزارة أنقذت البلاد من الاحتلال • ولكن لن نستطيع أن نكذب على الله والناس والضمير العام فنزعم ان الاحتلال لم يتم حتى الان وهذه جنوده ملء العين وملء السمع وملء البلاد !

◉ ◉

قال عن احدى الوزارات في العهد البائد :

هذه هي الوزارة جيدة جدا ولكن بالنسبة الى الانكليز !

◉ ◉

قد تدل الابتسامة على الرضى أما القهقهة فهي احتجاج صارخ •

◉ ◉

البليد الراكد هو الذي يتجنب الشطط ويجانب الجموح •

◉ ◉

ينزل الستار على الفصول الاولى من الرواية ثم يأتي الفصل المضحك •

◉ ◉

من يدافع عن الحق انما يدافع عن قدس الرحمن •

◉ ◉

اني أختنق

وأريد أن اغادر هذه الديار قبل أن تفنى نفسي فأقذف ما في جوفي على وجوه هؤلاء الذين تركوا الفريسة بين أنياب الذئاب وفروا منهزمين لا يلوون على شيء •

◉ ◉

بغداد...



مهداة للدكتور يوسف عزالدين مع التقدير
للشاعر السعودي : حسين سرحان

من لي ببغـداد أو ما لي ببغـداد ؟ ... لولا الحفـاظ .. لقد همت بارعاد
دار تصـفى رقيقات الفنون بهـا ... يشدو بها الطير أو يحدو لها الحادي
فيهـا النفيسان من جد ومن هزل ... كما تصـفى كؤوس الراح كالجادي
الأنجم الزهر تبهـى في مناكبهـا ... وذو العـوابق من نـد ومن ناد
من عصب ذي يمن أو مجد ذي يزن ... - لا في السماء - على مخضوضر الوادي
كأن دجلتهـا .. والنخل يكلؤها ... سـحابة أي اعطـاف وابـراد
أشيم بارقهـا الوماض عن شحط ... غمامة فوق أغـوار وأنجـاد

أحب زورتهـا لولا الزويل بهـا ... مثل « المعرى » أمسى حلف تسهاد
أقام عاما ونصـفا ثم كال لـه ... زند النوائب من عدوانه العـادي
يا أخت «هارون والمأمون» كم غرضت ... نفس اليـك على تطـوال آماد
والارض يذرعها من لا يقيـم لهـا ... وزنا وتنبـو عن الطماح ذي الآد
كم اعتسفت الموامى في البـلاد وكم ... هتكت أشداق اصلال وآسـاد
من مصر حتى دمشق الشام مثل ضحى ... رآد ومثل شعاع السـدفة الهـادي
وللجزيرة عنـدي أيما نبـأ ... ما ارتادها ذو حيـازيم كمرتادي
الا العـراق أخا النهرين ما نقعت ... من ضفتيه لماما غلـة الصـادي
أصبو اليه ، واعيا عنـه لا لمـدى ... ناء ولا قصـر في مـاء ولا زاد
لـكن في النفس أوطارا أعالجهـا ... عـلاج ذي هنوات رب أقيـاد
والمرء في هذه الدنيـا أخو محن ... لا حاضر وائل منهـا ولا بادي
اذا قضـى الدهر يوما أن يصـاولنا ... فانه الدهر .. ضـراب باسـداد

نظام الادارة في الجسم

كرمية

الدكتور محمد طلعة

في الساعة السابعة من مساء يوم الجمعة المصادف ١٠ـ٤ـ١٩٦٤ ألقى الدكتور محمد طلعة الاستاذ بكلية طب القاهرة محاضرة بعنوان (نظام الحكم في جسم الانسان) في مقر الجمعية ، حضرها عدد كبير من المستمعين .

(١)

يسعدني حقا أن أتحدث هذا المساء الى صفوة من قادة الفكر والعلم والأدب عن موضوع ، لعله أهم الموضوعات الطبية قاطبة ، وأكثرها نموا وتطورا في وقتنا الحاضر : وانني أتقدم بأعمق الشكر للاستاذ الدكتور يوسف عزالدين سكرتير جمعية الكتاب والمؤلفين ، اذ أتاح لي هذه الفرصة .

وقبل أن أبدأ حديثي ، أرى لزاما علي أن أعتذر عن العنوان الذي رسمته لهذه المحاضرة ، فانني أخشى أن يكون البعض قد سعى اليها ، وفكره يراوده ، أنني سوف أتناول في حديثي نظم الحكم المختلفة ، وسوف أقارن بينهـــا وبين ما يسري في أجسامنا من نظم ، ولعله تساءل عن ذلك المـــذهب السياسي الذي سوف أضم اليه جسم الانسان أو عن تلك الكتلة التي سوف ألحقه بها ... ومما لا جدال فيه أن بحثا ، هذا موضوعه ، لابد أن يكون بحثا ممتعا ، غزير الفائدة الا أنه لم يسبق لي أن درست نظم الحكم المختلفة ، كما وأنني أجهــل شئون السياسة ، أصولها وفروعها ، هذا ان كان للسياسة أصول أو فروع ...

ولكنني سأحاول في حديثي أن أصف بعض الأسس التي تنظم الحياة فينا ، تاركا لمن هو أقدر مني أن يقارن بينها وبين النظم المعمول بها في الدول المختلفة ، وكل ما يمكنني أن أدلى به في هذا الأمر أن النظام في أجسامنا ، أعرق أصلا من

من أي نظام آخر ، فقد أودعه الله سبحانه وتعالى جسم الانسان منذ بدء الخليقة ، وقد بقيت قواعده الأساسية دون تغيير أو تعديل على تعاقب الأزمان ومر الدهور .

وتمهيدا للبحث في نظام الحكم في دولة الانسان ، أرى أنه من الصواب ، أن نقوم بجولة قصيرة فيها ، نتعرف عن مائها وترابها وسكانها ، وعن علاقتهـــا وتفاعلها مع الكون الذي يشملها .

(٢)

فالانسان كائن حي ...

وهبه الله ، عز وجل ، أسمى مرتبة بين الأحياء . وسبحان الله لم يكن له أن يختص الانسان بضخامة في الجسم أو قوة في الفصل ، فقد خلق من الحيوان والنبات ما هو أعظم بنيانا ، وأصلب عودا ، وانما ميز الله الانسان بسمو في الادراك، واصالة في الرأي ، وهما أرقى المهام كحكومة جسمه .

ونحن نعلم عن كينونة الانسان أكثر مما نعلم عن حياته :

فجسم الانسان يتكون من العناصر نفسها التي تملأ الكون ، وهو في ذلك لا يختلف عن غيره من الكائنات ، سواءً أكانت حية أو غير ذات حياة .

فمثلا اذا تسنى لنا أن نجمع في وعاء واحد :

٣٩ كيلوجراما من الاكسيجين
١٠ر٨ كيلوجراما من الكربون
٦ كيلوجراما من الايدروجين
١ر٨ كيلوجراما من الأزوت
١ر٢ كيلوجراما من الكالسيوم

ثم مقادير تقل كل منها الكيلوجرام في كل من :

٠ر٦٦ كيلوجراما من الفوسفور
٠ر٢١ كيلوجراما من البوتاسيوم
٠ر١٥ كيلوجراما من الكبريت
٠ر٠٩ كيلوجراما من الصوديوم
٠ر٠٩ كيلوجراما من الكلورين

ثم أضفنا اليها مقادير أخرى قليلة من كل من المغسيوم والحديد والمنجنيز والنحاس واليود والكوبالت والزنك ... اذا نحن جمعنا كل اولئـــك العناصر في وعاء واحد :

ثم أراد الله سبحانه وتعالى أن يبعث الحياة في هذا الخليط لتكونت منه فتاة زنتها ستون كيلوجراما :

وقد تكون تلك الفتـــاة ربة حسن وجمال ، أو ذات قلب عطوف ، ونفس صافية شفافة ، أو ذات صوت حريري ، وقد لا تكون أيا من ذلك ، اذ أن مثل هذه الصفات لايدخل من قريب أو بعيـــد في التركيب العنصري لدولة الانسان وربما شاء الله لذلك الخليط أن يصير رجلا ... أو حيوانا آخر ، اذ لا يعـدو الاختلاف العنصري بين بعض فصائل الحيوان والبعض الآخر ، ذلك التباين الذي قد يوجد بين أفراد الفصيلة الواحدة .

ولا توجد هذه العناصر فينا منفردة الا بمقادير ضئيلة جدا ولكنها تتحد مع بعضها مكونة جزيئات ، متنوعة في أوزانها وخواصها الاخرى ، فمثلا يتحد معظم الاوكسجين مع الايدروجين ، ويؤلف اتحادهما الماء ، وهو يكون حوالي ٦٥٪ وزن الجسم يؤلف ترابيته ، وهي مواد عضوية وأخرى غير عضوية .

والمواد العضوية مركبات معقدة يدخل فيهـــا عنصر الكربون وتنقسم الى بروتينات ومائيات الكربون ودهون ، وأما المواد غير العضوية فهي أملاح معدنية جلها في العظام ، وتكسبها صلابتها .

وللبروتينات شأن خاص في تكوين الأحيـــاء ، فمعظم البروتوبلازم يتألف منها ، وتتوقف الظواهر التي تبديها الكائنات الحية على الخواص الطبيعيةالكيميائية لمحاليل البروتينات ، وتتكون البروتينات من وحدات أصغر منها تسمى بالأحماض الأمينية ، يوجد منها بالجسم ما يزيد على العشـرين نوعا : وقد يحتوي الجزيء الواحد من البروتين آلافا من الأحماض الأمينية ، تتحد مع بعضها بنسب وطرائق متباينة في الأنواع المختلفة من البروتين .

وتعتبر البروتينات الحلقة الاولى في تخليق أجسام يتسنى لها أن تنبض بالحياة باذن الله ، ولعل الكشف عن الڤيروسات كان ذا أثر عميق في تأييـــــد ذلك ، فالڤيروسات كائنات ضئيلة ، غاية الضآلة ، وليس الفيروس الا جزيئاً كبـيرا من البروتين ، أمكن تحضير بعض أنواعه على شكل بللورات نقية :

ويبدي الڤيروس الكثير من ظواهر الأحياء ، فهو يتكاثر ولكنه لا يستطيع ذلك الا اذا وجد سبيله الى أجسام الأحيــاء ، وقد يؤدي وجوده الى اضطراب شديد في دولة المضيف ، كذلك الاضطراب الذي أصاب فلسطين حين حل بها آل صهيون وأما خارج الأحياء فلا يعدو الڤيروس أن يكون مادة كيميائية جامدة .

ولذلك فقد اختلف العلماء في أمر هذا الڤيروس ، فمنهم من اعتبره كالجراثيم ضمن الكائنات الحية ، ومنهم من أنكر عليه الحياة ، واعتبره كاسـرائيل أحط شأنا من الجراثيم ـ اذ أن كليهما : اسرائيل والڤيروس ، لايبديان أياً من ظواهر الحياة الا على سواعد الأحياء .

وكان لابد للشيطان الرجيم أن يستغل هذا الكشف العلمي ويوسوس في أفئدة نفر من العلماء ـ أستغفر الله بل نفر من أشباه العلماء ، فانما يخشى الله من عباده العلماء ، وسوس لهم أن ظهور الحياة لايحتم وجود الخالق ، وأنها انما ظهرت نتيجة لتفاعل عناصر الكون وتطورها الى جزيئات من شتى أنواع البروتين، وأن ما صلح منها قد تطور الى كائنات حية .

ولم يكن عسيرا على العلماء تكذيب هذه الفرية ، فمن حروف الهجاء يتألف عدد من الكلمات لا حصر له ، مع أن أيا من هذه الكلمات لا يزيد حروفه عن عدد أصابع اليدين ، في حين أن جزيء البروتين المتوسط الحجم يحتوي عـــدة مئات من الأحماض الأمينية التي لأنواعها المختلفة من العدد مثل ما لحروف الهجاء فلو كان لنا أن نجمع في صعيد واحد جزيئا واحدا فقط من كل نوع من أنواع البروتين الممكنة نظريا لكان وزنها جميعا يعادل وزن الكوكب الذي نعيش فيـه عدة ملايين من المرات .

وهكذا لم يبق أمام أدعياء العلم الا أن يتمسكوا بأهداب المصادفة لعلها تنقذهم مما قد ورطوا أنفسهم فيه ولكن قواعد المصادفة نفسها تجعل التخليق التلقـــائي

لبروتينات الأحياء دون غيرها أمرا أبعد ما يكون عن الاحتمال ، بل هو ضرب من ضروب الخيال ، ولعلـــه كان من الأفضـــل لو أنني اكتفيت من هذا الجدل بالآية الكريمة :

« قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » .

(٣)

وما زالت أمامنا مرحلة طويلة بين هذه الجزيئات التي تؤلف ترابية الحياة وبين أصغر وحدة من وحدات الحياة ، وهي الخلية .

والخلايا جسيمات صغيرة لا ترى الا بالمجهر فمثلا كرات الـــدم الحمر متوسطة الحجم ومع ذلك فان كل عشرة آلاف مليون منها لا تتجاوز زنتـــــه جراما واحدا .

والبعد بين الجزيء والخلية كالبعد بين الأرض والسماء فكل كرة حمراء تحتوي على :

مليون مليون جزيء من الماء

٢٨٨ مليون جزيء من الهيموجلوبين

٣٠٠ مليون جزيء من كل من الجلوكوز والبولينا

هذا عدا ملايين الجزيئات من مواد أخرى متنوعة

وهذه الملايين العديدة من الجزيئات المتنوعة تجعل من التفاعلات الكيميائية الحيوية أمرا معقدا ، وليس هناك في الوجود ، على ما ندري ما هو أكثر تعقدا في آليته من الكائنات الحية ، مما يجعل دراستها مهمة شاقة وعسيرة ، ونحن لازلنا نجهل الكثير من شئونها ، ولا يعلم أســـرار الحياة جميعا الا الله ، الذي يهب مخلوقاته الحياة ثم يستردها بعد حين ، فاذا بكل ما يميز الكائن الحي عما حوله من جماد سائر الى زوال .

وأعتقد أن التوفيق خانني حين اتخذت من الكرات الحمر مثلا ، اذ أنهـا تختلف اختلافا جوهريا عن باقي الخلايا ، فهي لا تحتوي على نواة . والنواة

أساسية لعدد من الوظائف الحيوية ، فبدونها لا يتسنى للخليقة أن تنقسم وتتكاثر أو أن تعمر طويلا ، ولعل الكرة الحمراء قد ارتضت لنفسها هذا التشويه دون سائر الخلايا ، كي تستطيع أن تحمل بين طياتها أكبر كمية من مادة الهيموجلوبين، ذات الأهمية القصوى في عملية التنفس .

ودولة الانسان مليئة بمثل هذه التضحيات .

وتتكون نواة الخلية من جسيمات صغيرة تسمى كروموسومات ، تختلف عدداً في فصائل الأحياء المتنوعة ، ولو أنها قد تتساوى في فصائل تبعد كل البعد في عالم الأحياء ، فهي مثلا تتساوى في خلايا البصلة والبقرة .

وتحتوي نواة الخلية الآدمية ثلاثة وعشرين زوجا من الكروموسومات فيما عدا الحيوانات المنوية والبويضات ، فكل منها يحوي نصف هذا العدد ، حتى اذا ما تم التلقيح كان لخلايا المولود نفس العدد الذي يوجد في خلايا أبويه .

ويتكون الكروموسوم من عدد من الجينات ، أي المورثات ينقل كل منها احدى الخواص من جيل الى جيل ، ويقدر عدد المورثات في نواة كل خلية بشرية بعشرين ألفا ، ويتسبب عن نقص أي منها ، أو عن خلل في تركيبه ، نوع من المرض كعمى الألوان أو الهيموفيليا ، ونحن لا نعلم من أنواع الأمراض الخلقية الا عددا قليلا جدا بالنسبة لما يتسنى له أن يحدث نظريا .

ويسمح نظام الوراثة للوليد أن ينتخب من صفات أمه وأبيه أحسنها ، وقد ترث الفتاة فتنتها وسواد عينيها عن أمها وطول قامتها عن أبيها ـ ولكن شيئا واحدا لا يستطيع أن يورثه الفرد أو الفردة منا ذريته ، وهو المعرفة بجميع أنواعها من آداب وعلوم :

(اذا ورث الجهال أبناءهم غنى وجاها فما أشقى بني العلماء)

واذا نحن شاهدنا خلية حية في فيلم سينمائي ، أخرج لها بعد تكبيرها بعدسات المجهر ، نجدها ذات نشاط شديد ، وكأنها تحوي الكثير من القنابل المتفجرة ، فهي لا تستقر على حال ، وانما تغير شكلها وتركيبها باستمرار .

ويتسبب ذلك النشاط الحيوي عن تفاعلات كيميائية ، قوامها احتراق المواد العضوية ، وتؤدي الى ظهور أنواع مختلفة من الطاقة ، تتمثل فيما تقوم به الخلايا من وظائف كحركة العضلات وافراز الغدد .

ومصدر هذه الطاقات الحيوية جميعا هو الغذاء ، فالكائن الحي لا يستطيع أن يبني أنسجته أو يولد طاقاته من عدم وانما هو يعتمد كل الاعتماد على البيئة التي يعيش فيها يستمد منها كل حاجته من هواء وماء وغذاء .

وتتغير حدة النشاط الحيوي ، زيادة أو نقصانا ، استجابة للتغييرات التي تحدث في بيئة الكائن الحي ، أو التي تحدث داخل جسمه ، وبذلك يكيف وظائفه وفقا للمؤثرات الخارجية والداخلية ، فيستطيع أن يفيد من هذه التغييرات ان كانت ذات فائدة ، أو أن يتقي شرها ان كانت ذات ضرر وهذا التكييف الاستجابي من المقومات الاساسية لاستمرار الحياة .

والكائن الحي لا يعنيه ان كانت الفائدة آتية من يمين أو يسار فهو يسعى اليها أياً كان مصدرها ، وهو أيضا لا يعنيه مصدر الشر ، ولكنه يتقي الشر بكل وسيلة لديه .

ويشمل التمثيل الغذائي عمليتين متلازمتين وهما البناء والهدم ، وفي الصغار يزيد البناء سرعة عن الهدم ، فاذا اكتمل نموهم تساوت العمليتان : وهذا التوازن الديناميكي بين العمليتين عجيب حقاً ، فقد لايزيد عمر بعض الخلايا الدموية البيضاء عن عدة ساعات ، ومع ذلك فان عددها فينا يظل ثابتــا ، وجل ما في أجسامنا من مواد يستبدل بغيره عدة مرات في العام الواحد ولكن أشكالنا تبقى على حالهــا (لحسن حظ البعض وسوء حظ البعض الآخر) . وعظامنا أيضا وقد كنا نعتقد فيما مضى أنها في نوع من الاستقرار ثبت لنا أنها لا تفتأ تتبادل ما بها من مواد مع البيئة الخارجية ، ولقد أصابت الأغريق اذ قالت « الحركة قرين الحياة والسكون قرين الموت » .

ويبدأ نشاط الحياة شديدا في صغار السن ، ثم تخف حدته تدريجيا كلما تقدم بهم العمر ، ويهبط كثيرا في الشيخوخة الى أن يتوقف تماما ايذانا بانتهــاء الحياة ، وما من شك في أن الموت نفسه أحد مميزات الأحياء ، فان الميت لايموت .

وعندما يكتمل نمو الكائن الحي ينفصل جزء من جسمه باحدى طرائق التناسل ، ثم يتحور ذلك الجزء وينمو مشابها من أنجبه ، يعيد سيرته ، وبذلك تستمر الحياة من جيل الى جيل •

وهكذا نرى أن بنيان الحياة يرتكز على ثلاث دعائم رئيسية وهي :

التغذية ، والتكييف الاستجابي ، والتناسل •

وتشترك الأحياء جميعا في هذه الظواهر ، سواء ما كان منها دقيقا ، ويتركب جسمه من خلية واحدة كالأميبا أو ما احتوى جسمه ملايين البلايين من الخلايا كالانسان •

فالانسان والأميبا كلاهما يتغذى ويتنفس وينمو ويتحرك ويفرز ويتوالد ويموت ، لا فرق بين هذا وتلك الا من حيث التفاصيل •

ففي الأميبا تقوم خلية واحدة بكل وظائف الحياة ، في حين أن خلايانا قد تحورت واختلفت فيما بينها في التركيب والوظائف ، وأصبح لكل مجموعة منها وظيفة خاصة •

(٤)

وخلايانا وقد اختص كل منها بوظيفة معينة تسنى لها أن تؤدي تلك الوظيفة على وجه أكمل مما يسري في الأميبا فالتخصص سبيل الاتقان ، وأصبح الانسان أقدر على التفاعل مع بيئته ، وأشد احتمالا لما يحدث حوله من تغييرات طبيعية وكيميائية •

ونحن لم نجن مزايا هذا التخصص دون مقابل ، اذ أن خلايا أجسامنا أصبحت لا تستطيع أن تعيش على انفراد كما تعيش الأميبا ، بل أصبح كل منها يعتمد على الآخر كل الاعتماد • أصبح كل منها لا يعمل لنفسه فقط ، وانما يسعى جاهدا في سبيل توفير السعادة للآخرين •• لقد سما كل منها بنفسه فوق مصلحته الذاتية وكان يدرك أن رفاهية ذاته لا يتسنى لها أن تتحقق الا في ظل الرفاهية العامة للمجتمع بأكمله ، وكأنه يدرك أيضا أن أي مأساة تقع لفئة من مواطنيه قد تودي بكيان دولته كله •

أظن أنني ، سيداتي وسادتي ، لن أكون مخطئا حين أصف مثل هذا النظام بأنه نظام اجتماعي تعاوني •

والنظام التعاوني في دولة الجسم نظام مثالي ، مليء بالمعاني السامية ••
فهو مجرد تماما من حب الذات والأنانية •

وليس بين أفراده متكاسل ، أو من يؤجل عمل يومه الى غده أو من يحلو له أن يعيش عالة على غيره •

وليس بين أفراده شكاءاً أو بكاءاً الا لو كانت الشكوى أو البكاء في سبيل مصلحة عامة ، وكأنها انذار لخطر داهم •

وليس بين أفراده من لا يقدس حقوق الآخرين ويحترم رغباتهم أو من يتقاعس عن التضحية في سبيلهم •

وليس بين أفراده ذلك المتعالي ، المنتفخ الأوداج نظرا لما يقوم به من وظيفة رئيسية •

وليس بين أفراده من يعرف الحقد أو النفاق أو النميمة أو غيرها من ذميم الصفات •

وأخيرا وليس آخرا ليس بين أفراده من يعصي أمرا لأولي الأمر منه ••• حتى وان كان في تنفيذ ذلك الأمر فناؤه •

لا شك سيداتي وسادتي أن مجتمعا يتمتع أفراده بمثل هذه الصفات ، لابد وأن ترفرف عليه السعادة الحقة المليئة بالمحبة والوئام ، ولا شك أيضا أن مجتمعا، هذا شأنه ، ليس في حاجة الى لائحة للعقاب أو للثواب •

واسمحوا لي أن أتخذ دليلا على قولي أحد أفراد هذا المجتمع وهو القلب ، فكلنا نعلم الأهمية القصوى لهذا العضو في دولة الجسم ، بحيث لم يكتف الناس من قديم الزمن بوظيفته الحيوية في دوران الدم ، بل نسبوا اليه أنه مركز الايمان والحب وغيرهما من المقدسات والأحاسيس والمشاعر •• لا شك أن بعض هذا القول قد أطلق مجازا ، فالايمان يوصف بأنه صادر من القلب بمعنى أنه ايمان عميق ينبع من داخل الجسم وليس ايمانا سطحيا كذلك الذي نراه أحيانا في طول اللحى والتلاعب بحبات المسبحة ، والحب اذ يوصف أنه صادر من القلب ، حب

عميق أصيل ، يسري في الشرايين والأوردة حتى يعم الجسم بأكمله ، ويتملك كل ما به ، وليس كذلك الحب الزائف الذي تشهر به أم كلثوم في أغنيتها المعروفة (حب ايه اللي انت جاي تقول عليه) • جزاها الله عنا كل خير • فالفن والأدب أسمى ظواهر الحياة •

والقلب لم يدع لنفسه أبدا مثل تلك الوظائف السامية وانما هو يؤدي عمله في تواضع جم ، ويعتبر نفسه خادما مطيعا لكل خلية من خلايا الجسم ، مهما كانت ضآلة أهميتها بالنسبة لأهميته •

وتسبب دقات القلب دوران الدم ، حاملا لكل خلية أسباب العمل والحياة ، وحاملا عنها أسباب الكسل والفناء •

والقلب يعمل ليل نهار ، لايرتاح الا فيما بين دقتين ، ويخيل الي أنه لولا علمه أن راحته أساسية للدوران كي يمتلىء ثانيـــة بالدم لاستمر منقبضا دون انبساط •

وفي مدة السبعين عاما التي قد يعيشها الانسان يدق القلب حوالي ٢٥٠٠ مليون دقة وهو في خلال كل ذلك لا يتوقف بعض دقيقة ، ولا يستعمل حقه في اجازة عرضية ، ولا يقارن بين عمله وعمل غيره من العضلات ، التي تعمل فترة وتستريح فترات •

ويقذف القلب في الدقيقة حوالي خمسة لترات من الدم توزع على أعضاء الجسم بما فيها القلب نفسه ، والقلب في هذا التوزيع أبعد ما يكون عن الأنانية ، فبينما تحصل كل أنسجة الجسم على معظم حاجاتها من الدم وقت انقباض القلب ، نجد أن القلب يحصل على معظم نصيبه بعد باقي الاعضاء ، أي وقت انبساطه ، وهذا النصيب لايزيد على ٦٠ في المائة مما يجب أن يحصل عليه تبعا لنشـــاطه بالنسبة لباقي الجسم •

ولعل أروع دليل على اخلاص القلب في عمله قدرته الفائقة أن يكيف جهده حسب احتياجات الجسم بأكمله ويتم هذا التكييف بسرعة وفي دقة متناهية ، ففي المجهود الرياضي الشديد قد يضاعف جهده عشر مرات بناءاً على رغبة العضلات، وهو لايخذلها أبدا الا اذا استنفد كل طاقة ممكنة لديه ، أو الا لعلـــة لا قدرة له عليهـا •

سيداتي وسادتي

ترى كم من الأفراد في العالم الكبير يمكن أن نعتبره مواطنا صالحا بالقياس الى القلب أو غيره من أعضاء دولة الفرد الواحد •

(٥)

ولما كان لابد لأي نظام تعاوني من هيئة رئيسية تنظم الأعمال المختلفة بما يتلاءم مع ظروف الحياة التي لا تفتأ تتغير فقد انتخبت خلايا الجسم من بينها الجهاز العصبي ، كي يؤدى لها ومن أجلها ، مهام الحكم •

فدولة الجسم ، كغيرها من الدول تبدأ صغيرة ، كبويضة ملقحة ، ثم تتكاثر الى عدد من الأفراد يكادون يتشابهون ، فاذا ما وصلت الى حجم معين ، بدأت عملية الانتخاب فيما بينها ، فيتحور كل فرد منها ويكتسب المؤهلات التي تمكنه من اداء الوظيفة التي أوكلت اليه على أتم وجه •

وتتكون حكومة الجسم من المخ والنخاع الشوكي وهما يستقران داخل الجمجمة والعمود الفقري •

وحكومة الجسم لم تستقر خلف أسوار من العظام ، تعاليا منها عن باقي الأعضاء ، اذ أن الأعصاب التي تجاور كل خلية وتنتشر في كل أعضاء الجسم ، ما هي الا فروع لخلايا المخ والنخاع الشوكي •

وحكومة الجسم لم تستقر خلف أسوار من العظام اتقاء فتنة داخلية ، فهي تؤدي وظائفها خير ما يكون الأداء ، وهي قد عدلت فاطمأنت ، وشعبها يقدسها ، وعلى أتم استعداد للتضحية في سبيلها •

وكيف يمكن لحكومة الجسم أن تخشى مواطنيها ، وهي دائبة دائما أبدا على العناية بمرافقهم العامة ، وعلى توفير أسباب السعادة للجميع ، وعلى وقايتهم شر القوى الطبيعية في البيئة التي تحيط بهم ، والتي لو لم تقاوم لزلزلت كيانهم ، وهي أيضا حكومة شعبية بمعنى الكلمة ، نشأت وباقي أعضاء الجسم من أصل واحد ، فهي ليست دخيلة عليه ، وهي تعمل وفقا لرغباته أو في سبيل مصلحته ، لا تبعا لمشورة أو وصاية تصدر عن خارجه •

وانما كانت حماية حكومة الجسم ، ضرورة لها ، لان طبيعة عملها ، استدعت حرمانها من الأنسجة الضامة كباقي أعضاء الجسم ، فأصبح بنيانها هشاً ، يتمزق في يسر ، ولذلك نرى المخ والنخاع الشوكي عائمين في سائل خاص داخل عظامهما حتى لا يتلفهما ثقل ذاتهما •

وحكومة الجسم تخدمه أكثر مما ترأسه ، فهي في جميع تصرفاتها لا تهدف الا مصلحة الجسم بأجمعه كوحدة متكاملة •

وحكومة الجسم في جميع مهامها لاتعرف المحاباة ، ولا تسمح بالحزبية أو التفرقة أو التعصب أيا كان نوعها ، وليس أدل على المساواة التامة والعدالة الاجتماعية المطلقة من أن جميع أفراد الدولة ، حاكماً ومحكوماً ، ذو وظيفة رئيسية أو ذو وظيفة ثانوية ، ملوناً أو أبيض • كل اولئك يتغذى ويتنفس ويسقى من معين واحد ، وهو الدم ، والكل يغترف حاجته من هذا المعين ولكنه لا يزيد عنها، ومع ذلك فانه نظرا للأهمية الحيوية لوظائف بعض الأعضاء ، كالجهاز العصبي والقلب ، فان هناك من الاجراءات ما يضمن وصول هذا المعين اليها في أوقات الشدة ، كما في حالة النزيف ، حتى ان أدى ذلك الى حرمان مؤقت لبعض أعضاء الجسم •

والجهاز العصبي لا يميز نفسه بذلك ، اذ يكفي أن يمتنع عنه الدم بضع ثوان لتصير الدولة كلها في غيبوبة شاملة ، وبضع دقائق كي لا تفيق الدولة من هذه الغيبوبة أبدا •

وحكومة الجسم اذ تحرم بعض الأعضاء من مرور الدم فيها بصفة مؤقتة لا تتطلب منها عملا وقت الحرمان •

وهي أيضا تضمن لأي عضو من أعضاء الجسم مزيدا من الدم أثناء عمله ، وهي تسمح لأي من أعضاء الجسم أن يتضخم نتيجة كثرة العمل ، فيكتسب القوة، ولكنها وهي أكثر الأعضاء عملا لا تسمح لنفسها بذلك ، اذ أنها قد أحاطت نفسها بعظام لا تسمح لها بالتضخم •

ان المواطنين في دولة الجسم ، حكومة وشعبا ، وهذه صفاتهم وشئونهم يشتركون معا في تكوين وحدة متماسكة متحابة ، الكل يعمل من أجلها لا يحيد عنها ويؤمن ايمانا عميقا بأن مصدر القوة والحياة فيه وفي دولته كلها يعتمد كل الاعتماد على متانة هذه الوحدة •

ان كانت هذه المشاركة في العمل نحو هدف واحد ، الكل مجد في ميدان تخصصه ، وهذه المشاركة في حق الحصول على أسباب الحياة السعيدة في عدالة مطلقة ، ان كانت هذه المشاركة في الواجبات والحقوق هي ما تسمى في عرف رجال الاجتماع والقانون بالاشتراكية فان النظام في دولة الانسان نظام تعاوني اشتراكي •

(٦)

وتسترشد حكومة الجسم في تأدية رسالتها بعدة أنواع من أعضاء الاحساس تنبئها بما يحدث في البيئة التي تحيط بالدولة ، كما تنبئها بكل ما يحدث داخل الدولة نفسها •

وكلنا يعلم الكثير عن أعضاء الاحساس الخارجية التي تنتشر في الجلد وعن أهمية حواس السمع والابصار والشم والتذوق ، ولكن كثيرا من الناس لا يعلم الا النزر اليسير عن أعضاء الاحساس الداخلية التي تنتشر في كل أنسجة الجسم وتلاصق خلاياها بحيث تسمح لكل منها أن يتصل بحكومة الجسم اتصالا مباشرا ويدلي اليها بما يريد •

وبهذه الوسيلة تحاط الحكومة علما بكل ما يتعلق بحركات العضلات من حيث قوتها وسرعتها ومدتها واتجاهها وعما اذا كان ما يصلها من الدم كافياً لحاجتها أو يقصر دونها ، كما تحاط بعمل القلب ومدى أثره على ضغط الدم في الشرايين والأوردة وكذلك بالتنفس من حيث عمقه وسرعته وهكذا بالنسبة لوظائف باقي أعضاء الجسم •

وفضلا عن ذلك فتقوم أعضاء الاحساس الداخلية بتسجيل أي تغير في الخواص الطبيعية أو التركيب الكيميائي للدم كدرجة حرارته ونسب الاوكسجين

وثاني اكسيد الكربون والجلوكوز والأملاح والماء وغيرها من المواد •

وتقوم أعضاء الاحساس بعملها بدقـــة وأمانة متناهية وتبرق بحصيلتها من المعلومات فورا الى المراكز الحكومية ، وتمر هذه المعلومات في الأعصاب الواردة على شكل تيارات كهربية دقيقة بسرعة قد تصل الى ١٢٠ مترا في الثانية أي أنها تصل الى ادارات الحكم من أبعد المناطق عنها في جزء من المائة من الثانية •

ولعل من أروع ما أثبته العلم الحديث أن للجهاز العصبي القدرة أن يؤثر في فزازة أعضاء الاحساس فاذا ورد من أي منها معلومات ذات أهمية خاصة طلب منها مزيدا من الايضاح في حين أنه قد يكبح ما سواها من أعضاءالاحساس الاخرى وكأن الجهاز العصبي حينئذ يرى أن يركز السمع على ما تذيعه محطة ارسال واحدة بدلا من الاستماع الى عدد كبير منها في وقت واحد •

وهكذا نرى أن حكومة الجسم لا تؤدي عملهـــا ارتجالا وانما هي تعي ما يجرى حول دولتها من أحداث وهي أيضا تستمع الى كل عضو من أعضـــاء الجسم كما تستوعب ما لديها في مرافقها العامة من أسباب النشاط ثم هي تتصرف تبعا لحصيلة كل تلك المعرفة •

ويتكون الجهاز الحكومي من عدة مراكز يختص كل منها بمنطقة معينة من مناطق الجسم أو بتنظيم احدى العمليات الحيوية • وتقوم هذه الادارات المحلية بعمليات التنظيم التي تدخل في اختصاصها بطريقة تلقائية ، وفقا للوائح محدودة المعالم ، ولكنها تخضع لاشراف وتوجيه رئاسات تعلوها في القدرة على تصريف الامور فتنسق بينها بما يتمشى مع المصلحة العامة حسب مقتضيات الظروف •

وتفسيرا لذلك نرى أن النخاع الشوكي ينقسم الى واحد وثلاثين مركزا ، يخرج من كل منها زوج من الأعصاب ، واحد لكل ناحية ، ويتكون كل منهما من مئات الآلاف من الألياف العصبية التي تربط بين مركز الادارة المحلية وبـين منطقته التي يشرف عليها ، فبعض الأليـــاف يحمل الرسائل الى مركز الحكم والبعض الآخر يحمل التوجيهات الى أفراد المنطقة استجابة لما يتلقاه من رسائل ، فمثلا اذا لامست يد الانسان جسما ساخنا ، انقبض الذراع بسرعة مبعدا اليد عن الأذى ، ويقوم المركز المحلي بهذا الفعل المنعكس في أقل من عشر ثانية ، وهو

يفعل ذلك دون الرجوع الى ما يعلوه من رئاسات •• حقيقة تنبيء هذه الادارات المحلية رئاستها دون ابطاء بكل مايرد اليها من رسائل هامة ، وبكل ما قامت به من اجراءات بصددها ولكنها تؤدي الواجب أولا ، اذ أن أي انتظـــــار لتلقي التوجيهات قد يتلف الجسم بأكمله •

ومع أهمية هذه المنعكسات المحلية الا أن للرئاسة القـدرة على كبحها اذا استدعت الحال ذلك الكبح ، فقد تطلب الرئاسة الى اليـــد أن تلتقط شيئا ثمينا من النار •

ويوجد بجذع المخ عدة ادارات محلية تنظم عمل القلب والتنفس وضغط الدم وافراز عصارات الهضم وغيرها من الوظائف الحيوية وهي تقوم بعملها على نمط منعكسات النخاع الشوكي وبطريقة تلقائية •

واذا تركنا النخاع الشوكي وجذع المخ ويممنا شطر الرئاسة العليا مررنا في طريقنا بادارات تقوم بوظائفها على مستوى أعـــلى من مستوى ادارات الحكم المحلى ، اذ هي تعني بشئون المرافق العامة ، كما تعني بتنسيق خدمات الادارات المحلية في بعض الظروف •

وتعمل هذه المراكز أيضا بطريقة تلقائية ، الا أن منعكساتها أكثر تعقيدا اذ أنها قد تشتمل الجسم بأجمعه • وبالاضافة الى ذلك فهي لا تستخدم الأعصـاب وحدها في توجيه الوظائف المختلفة ولكنها تستخدم أيضا افرازات الغدد الصم ، أي الهرمونات التي تنتشر في الدم وتؤثر على كل أنسجة الجسم تأثيرا عميقا •

ولا تتبع ادارات المرافق والخدمات العامة لوائح جامدة لا مرونة فيها ، اذ أن لها حق اعطاء الأولوية لأمر من الأمور ، دون غيره • وتكون الأسبقية دائما لأكثر الامور أهمية ، فتنظيم درجة حرارة الجسم أكثر أهمية من تنظيم نسبة الماء والملح به ، اذ يكفي أن ترتفع الحرارة درجات معدودات كي تحدث في الخلايا تغييرات قاتلة ، ولذلك نرى انـــه في الطقس الحار يستمر افراز العرق غزيرا بالرغم مما قد يتسبب عن ذلك الافراز من نقص كبير في نسبة الماء والملح بالجسم • ولكن هذه المراكز لا تهمل هذا الأمر الذي دعت اليه ضرورة ملحة ، وانما تعمل على تعويض هذا النقص في أقرب فرصة •

فعند هذا المستوى من الجهاز الحكومي ينشأ نوع من الادراك البـدائي يسمى بالاحساسات العضوية ، كالعطش والجوع والرغبة الجنسية ، وهي تعلن عن رغبة معينة للجسم وتدعو الى اتخاذ اجراءات ايجابية لاشباعها ، وقد تحس هذه المراكز الألم ولكنه احساس غامض فهي لا تدري مصدره أو شدته .. وفي دولة الحيوان قد تستطيع هذه الادارات أن تشبع الغرائز وأن تهيء للجسم أسباب الحياة ، ولكن الأمر يختلف عن هذا في دولة الانسان التي لم يكن لها أن تقنع بالحياة على مستوى اشباع الغرائز .

وفي كل الظروف التي تتطلب جهدا عنيفا ، كما في حالة الحرب ، تستطيع هذه المراكز أن تعبىء كل امكانيات الدولة في لحظات معـدودات وذلك نظرا لسيطرتها على المرافق العامة ولاتصالها الوثيق بباقي الجهاز العصبي من جهـة وبالغدد الصم من الجهة الاخرى . وفي لمح البصر ، تتحول الدولة الوديعة المسالمة الى دولة ذات بطش شديد وكأنها حيوان مفترس ، فيزيد القلب ، سرعة وقوة ، ويزيد التنفس عمقا وعددا ، ويرتفع ضغط الدم ، وتوجه الدورة الدموية ناحية العضلات والقلب والجهاز العصبي ، ويحدد مرورها في القناة الهضمية وغيرها من الأعضاء التي لا تشترك اشتراكا مباشـرا في المعركة ، وتزيد نسبة الاوكسجين والجلوكوز بالدم ، وتتسع الحدقتان ، وتتوتر العضـلات وتزداد قوة ، وتزداد أعضاء الاحساس فزازة ويقظة ، ويمتلىء الدم بالهرمونات التي تزيد الجسم قوة واحتمالا .

وهذه التعبئة العامة لها تكاليفها الباهظة دون شك وقد تجهد بعض الأفراد فوق طاقاتهم ، وأحياناً لا تخلو من الضرر ، ولو ترك أمر هذه التعبئة بيد هـذه المراكز وحدها لقامت بها أحيانا كثيرة لأسباب لا تكاد تبررها ولذلك نجد أن الأمر بهذه التعبئة لا يصدر الا عن الرئيس الأعلى للدولة ، فهو وحـده الذي يملك الامكانيات التي تؤهله أن يزن الأمور ميزانا حكيما ، وما من شك في أن المقـدرة على كبت الغرائز ، أي ضبط النفس ، عنـدما يكون الكبت ضروريا ، من أهم وظائف الرئيس الأعلى لدولة الانسان .

وتتمثل رئاسة الحكم في القشرة السنجابية للمخ وهي أكبر حجما وأكثر تعقيدا وتلافيفا في الانسان منها في أي حيوان آخر •• وتتكون من آلاف الملايين من الخلايا العصبية التي تمتد فروعها في كل اتجاه ، تربط فيما بينها وتربطها وباقي المراكز العصبية •

حقيقة أن الكثير من الرسائل التي ترد من أعضاء الاحساس تتم الاستجابة عليه على مستوى الادارات المحلية ، ولا يستدعي اهتمام الرئاسة ، الا أنه يشترك مع غيره في تكوين نشاط عام تعلم به الرئاسة علما تاما •

فقد أثبت البحث في السنوات الأخيرة أن هناك وسيلتين تتبعهما الاشارات العصبية في وصولها الى القشرة السنجابية وليس وسيلة واحدة كما كنا نعتقد ، فالوسيلة الاولى عبارة عن مجموعات من الالياف العصبية محددة المعالم ولكل مجموعة منها وظيفة خاصة محددة وتصل الى منطقة محددة من القشرة السنجابية فمنها ما ينقل المرئيات الى منطقة الابصار ومنها ما ينقل الصوت الى منطقة السمع وهكذا •• أما الوسيلة الثانية التي كشفت حديثا فهي طريق عام تصل اليه الاشارات من جميع أعضاء الاحساس بلا استثناء ، وتسير فيه بشيء من البطء الى أن تصل الى كل القشرة السنجابية على السواء وليس الى منطقة معينة بالذات •

ولا تسبب الاشارات التي ترد عن هذا الطريق احساسا معينا ولكنها تنبيء الرئاسة بالنشاط العام وتدعوها الى اليقظة والانتباه • وأسمى ما يميز هذا النوع من الديموقراطية أن يقظة الرئاسة تعتمد على حصيلة رغبات الجسم بأكمله •

ولا يمكن للرئاسة أن تستريح ما ظل هناك نشاط عام في الجسم ، فاذا ما هدأت الأحوال فلا رؤية ولا سمع ولا توتر عضلي ، اطمأنت الرئاسةواستراحت•

والنوم فترة من الراحة للجهاز العصبي ولمعظم أجهزة الجسم يتسنى لها فيه البناء وتجديد النشاط ولعل ست ساعات منه تكفي البالغين وما زاد عن ذلك فهو عادة من الخمول •

وقد يكون هناك من الأمر ما يستدعي اهتمام القشرة السنجابية ، وتتوقع حدوثه خلال راحتها ، فهي لا تنام حتى تفتح له المسالك ، دون غيره ، فالأم قد لا يوقظها دوي القنابل في حين أن صرخة ضعيفة من رضيعها تكفي ليقظتها .

والقشرة السنجابية مركز الاحساسات الشعورية بجميع أنواعها كما أنها مصدر الحركات الارادية ويمكن تقسيمها الى عدة مناطق يختص كل منها بوظيفة معينة فتوجد مناطق لكل من الابصار والسمع وغيرهما من الأحاسيس كما توجد مناطق للحركات الارادية .

فمنطقة الابصار مثلا ترى ما في السماء وما في الأرض من كائنات تدخل في مدى رؤية العين وهي تميز لما تراه طولا وعرضا وعمقا ولونا ، وهي أيضا تميز الأبعاد النسبية بين كل ما يدخل في محيط رؤيتها وبين أجسامنا ، وتدرك مدلولها ـ فائدتها أو ضررها .

وتستطيع منطقة الحركة الارادية أن تحرك الجسم كله أو أي جزء منه في الاتجاه الذي تشاء وبالقوة وللمدة التي ترغب فيها وهي في عملها لا تنسى ما يلزم أي حركة من شئون ، بل تهيء لهذه الحركة أسباب النجاح والمهارة فحركة أصابع اليد يصحبها افراز للعرق يساعد الأصابع في القبض على ما تريد ويزيد حساسية اللمس فيها كما يصحبها زيادة في الدورة الدموية للأصابع ، وهكذا في جميع الحركات دقيقها وعنيفها .

(٨)

ولعل هذه المناطق تمثل الوزارات فلكل منها نشاطها الخاص ولكنها تعمل في تعاون تام ، ويقوم بعملية الربط بينها الرئيس الأعلى للدولة وهو يمثل العقل البشري ، وهو لا يربط بين الوزارات فقط ولكنه أيضا يوجهها ويشرف عليها .

فلا يمكن لأي حركة ارادية أن تصيب هدفها بمهارة الا اذا تسنى لوزارة الحركة أن تعلم الكثير عن مواقع الأطراف بالنسبة لباقي الجسم ، وعما قد يعوق الحركة من موانع وعن كل ما يتعلق بهذه الحركة أثناء تنفيذها وعما يلزم لها من حركات اضافية في أماكن أخرى حتى لا يفقد الجسم توازنه فتتغلب عليه جاذبية

الأرض ـ والقائد لا يمكن له أن يكسب معركة الا اذا كان على علم تام بمواقع جيوشه ، وقدرة كل منها ، وكل ما لديها من وسائل الكفاح ، ولابد أن تصل اليه كل تلك المعلومات أثناء المعركة أولا بأول ٠

ومناطق الاحساس والحركة لاتشغل من القشرة السنجابية الا ما بين الثلث والنصف ، والباقي للرئيس ، وهو يتوسط تلك المناطق بل وينتشر الى داخلها انتشارا عميقا وكأنه يقطن القشرة السنجابية كلها ٠

ويختلف العمل على هذا المستوى الرئاسي عنه في المراكز العصبية الأخرى اختلافا جوهريا فمنعكسات النخاع الشوكي ومنعكسات الغرائز كلها موروثة يقوم بها الطفل بعد ولادته مباشرة وهي لذلك لا تختلف بين شخص وآخر ، وأما وظائف القشرة السنجابية فكلها مكتسبة عن طريق الخبرة والمران ، ويولد الطفل وليس لديه شيئاً منها على الاطلاق ، وكل ما يرثه عن أبويه هو الامكانيات الهائلة التي لا حدود لها في نمو العقل البشري من حيث وظائفه ، والتي لابد له أن يفيد منها ، ان أراد لنفسه أن يكون شيئاً مذكورا ٠

ويجمع العقل كل هذه الأنواع من الاحساسات التي تنشأ عن الشيء الواحد أو الحدث الواحد ، وبذلك يتسنى له أن يربط بين الموصوف وكل ما له من صفات كما يربط بين ذلك الشيء ومدلوله بالنسبة للجسم :

هل هو مفيد وكيف يستعمل ؟

هل هو ضار ولماذا ؟

هل هو صديق أو عدو ؟ وهكذا

وليس ضروريا أن تصل جميع صفات الشيء الواحد في وقت واحد كي يتم الربط بينها ، اذ أن كل ما يصل العقل يترك فيه أثرا لا يفنى ، وكأنه نقش فيه نقشا ولا يفتأ العقل يضيف الى كل نقش فيه ما يستجد عليه من خبرة ، وكأن له ملفا خاصا لكل كائن أو حادث ٠

وهكذا أمكن للعقل أن يضيف الى الكائنات عامل الزمن فأصبح لها أربعة أبعاد بدلا من ثلاث ، طول وعرض وعمق وزمن ٠ كما أمكن له أن يربط بين الماضي والحاضر ويتخذ منهما عبرة للمستقبل ٠

والعقل لا يفتأ يرجع الى ملفاته كلما أراد ، ويستذكرها ، وهو في تفكيره يدرس أوجه الشبه والتناقض بين الكائنات والأحداث المختلفة وبذلك أمكن له أن يميز بينها حتى ان كانت من نوع واحد .

فجميع البقر متشابه في كثير من صفاته بحيث أنه لا يمكن لنا أن نخطىء بينه وبين غيره من الحيوان كما ادعى بنو اسرائيل عندما أمرهم الله أن يذبحوا بقرة فشدد عليهم الله ببقرة خاصة نادرة واضطرهم أن يجدوها بضعف مثل ثمنها .

« انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك »
« انها بقرة صفراء فاقع لونهـــا تسر الناظرين »
« انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها » .

ونحن في مجال التشبيه نقول عن شخص يمكن لنا أن نفيد منه دون عناء وبأقل مقابل ، أنه كالبقرة الحلوب ، ولا تتشابه كل العقول في ذلك اذ أن أفكار كل منها تتبلور عن تجاربه الخاصة ومشاعره الذاتية .

فعند ذكر البقرة الحلوب يتجه تفكيرنا الى عهد الاقطاع وما كان يلاقيـــه الفلاح المصري من استغلال ولا شك أن تحديد الملكية الزراعية خطوة موفقـــة في سبيل الرجوع بالامور الى اصولها ففي دولة الجسم لا يسمح بالاستغلال ، وانما هي منفعة متبادلة واشتراكية في العمل والحقوق .

والبقرة الحلوب عند المستعمرين تعني افريقيا مثلا ، والمستعمرون يعجبون كيف نفضت المستعمرات عنها ذلولها ، أولى بهم أن يعلموا ان استقلال الشعوب خطوة موفقة ولازمة في سبيل الرجوع بالأمور الى أصولها ، حتى يتم التعاون معها في محبة ومساواة كما يسري في دولة الانسان .

وانحراف العقول ، عن أصول الأمور ، مرض . كأمراض الكلى والكبد ، ولكنه لايدخل في نطاق هذا الحديث .

وتتجلى عظمة العقل البشري في ابتداعه رموزا مختلفة صوتية ثم مرئيـــة للدلالة على الكائنات والحوادث ، وكل ما يتعلق بها من صفات ، فقد استعمل هذه

الرموز كوسيلة لتفكيره ولنقل ما يعن له من الأفكار الى غيره من البشر وبذلك أمكن لكل منا أن يعلم عن خبرة الآخرين ، ولا جدال في أن الكلام أرقى الوظائف التي تدخل في اختصاص النقل ، فهو ما يميز الانسان عن غيره من الحيوان •

وتظل رموز الكائنات والحوادث تتفاعل مع بعضها ومع ما تسببه من أحاسيس منوعة تفاعلا شديدا الى أن تصل بالعقل الى أسمى مراتب الادراك والمشاعر ، اذ يشعر العقل بمعنويات ، ليست ذات أبعاد ، ومن أمثلـــة ذلك الايمان والحب والجمال والحرية والأخاء والمساواة والتضحية والبطولة ـ والعقل يميز بين هذه المعنويات ومضاداتها ، فالحرية ليست الفوضى ، والتواضع ليس الضعة والكرامة ليست التشبث بالباطل •

ويشمل الكلام جميع الوسائل التي تسمح بنقل الأفكار من شخص الى آخر فهو يشمل النطق مقرونا باستماع ، والكتابة تتلوها قراءة ، والحساب الذي يضيف الى التفكير عوامل المقارنة الكمية ومختلف أنواع الفنون كالرسم والموسيقى وما اليهما ولعل هذه الفنون من أسمى أنواع الكلام ، اذ أنها تصبغه بمسحة من الخيال •

وهكذا أصبحت امكانيات المعرفة أمام العقل البشري غير ذات حدود ، فهو لم يكتف بتجاربه الخاصة بل تركها تتفاعل مع تجارب غـــــيره من المعاصرين والسابقين ، فاستمرت وظائفه تنمو من جيل الى جيل ، وعلى هدى هذه المعرفـة أمكن للعقل البشري أن يقدم للانسان كل وسائل مدنيته الحديثة التي كان لابد أن تحقق له السعادة التامة لولا انحراف بعض العقول •

والناس يقولون من قديم « العقل السليم في الجسم السليم » وهذا صحيح لا غبار عليه ولكننا نقول أيضا « الجسم السليم في العقل السليم » •

فالعقل وهو الرئيس الأعلى للدولة يتفاعل تفاعلا تاما وعميقا معها •• مع وزرائها ، واداراتها المحلية ، وكل فرد من أفراد شعبها بلا استثناء •

الجميع يعيشون معا في اتحاد اشتراكي على قدم المساواة .

أليست هذه هي الديموقراطية الحقة .

لا شك أن جسم الانسان يتمتع بنظام تعاوني اشتراكي ديموقراطي ، ولا شك أنه في كل اولئك نظام مثالي .

سيداتي سادتي

لقد أطلت عليكم القول ، فاسمحوا لي أن أختتم باسمي وأصدق الكلام ، بآيتين من القرآن « وفي الأرض آيات للموقنين » ، « وفي أنفسكم أفلا تبصرون ».

والسلام عليكم ورحمة الله .

الاشتراكية والمجتمع العربي

بقلم

عزيز الحافظ

« في الساعة السابعـة من مساء يوم الجمعة المصادف ١ـ٥ـ١٩٦٤ ألقى الاستاذ عزيز الحافظ هذه المحاضرة في مقر الجمعية وبعد الانتهاء منها فتح باب الاسئلة والمناقشة وقد شارك في ذلك عدد كبير من الاســـاتذة المعنيين بمثل هذه الدراسة فكانت المحاضرة وما دار بعدها من حوار ذات نفع كبير وها نحن اولاء نثبت نص المحاضرة ... »

لماذا الاشتراكية ؟..

يبرر سلوك طريق الاشتراكية بأمرين : الاول التبرير الأخلاقي ، والثاني التبرير العلمي . فالفرد يصبح اشتراكياً عنــــدما يحكم على مجتمع معين حكماً أخلاقيا عندما يسود في ذلك المجتمع وضع اقتصادي واجتماعي تتركز فيه الثروة بأيدي القلة من الناس وما ينتج عن ذلك من فروق طبيعية هائلة . كما هو الحال فيما يسمى بالمجتمعات المتخلفة اقتصادياً التي يكون منها مجتمعنا العربي . والظاهرة الاقتصادية ـ الاجتماعية هذه وما تؤدي اليه من مساوىء في المجتمع قد تخلق في نفوس الأفراد ردّ فعل ضدها . ورد الفعل هذا وما يتبعه من حكم على ضرورة تبديل الأوضاع رد فعل أخلاقي (moral reaction) يكوّن نقطة انطلاق تدوع الأفراد دفعاً نحو السير في طريق الاشتراكية اذا ما فهمت هذه بكونهـــا الطريق لضمان العدالة الاجتماعية التي تدعو الى ازالة أو تقليل الفروق الطبقية الهائلة في المجتمع . الا أن هذا الحكم لا يزيد عن كونه نقطة انطـلاق تجعل الأفراد يؤمنون بضرورة الكشف عن السبل التي تؤدي الى تحسين الأوضـــاع وما يتبع ذلك من القيام بعمل سياسي أو غير سياسي للوصول الى الغاية المنشودة .

أما كيف تحسن الأوضاع وما هي طبيعة الاشتراكية فمسألة أخـــرى تتطلب بالاضافة الى الايمان بها ضرورة دراسة المجتمع دراسة علمية موضوعية للكشف عن السبل الصحيحة التي تعالج الأمر وتسير به نحو الأحسن وذلك لان سلوك الطريق الاشتراكي عملية ضخمة سوف لا تؤدي الى تبديل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية فحسب بل تؤثر تأثيراً كبيراً وأساسياً على كافة مجالات الحيـــاة في المجتمع • أو ، بعبارة أخرى ، ان الايمان بالاشتراكية وحده لا يكفي بالرغم من أهميته القصوى ، انه من الضروري أن يكمل بفهم صحيح ودقيق لظروف ومتطلبات المجتمع في جميع المجالات لتجنب المخاطر التي قد تحدث عند سلوك هذا الطريق • ولعله من المناسب أن أذكر هنا بأن الفـــكر الاشتراكي العربي (غير الشيوعي) المتمثل في الحركات السياسية الاشتراكية أو في كتابات الاشتراكيين العرب لا زال في مرحلة الانطلاق التي ذكرناها وهي مرحلة رد الفعل الأخلاقي على أوضاع المجتمع العربي والاحتجاج على مساوئه ولم يرتفع بعـــد برأيي الى مستوى تكوين نظام نظري متكامل للاشتراكية العربية لعدم اهتمامه في السابق في تفهم المجتمع العربي كمجتمع له ميزاته الخاصة من ناحيـــة ولتأثره بالـكتابات الاشتراكية الغربية الماركسية منها وغير الماركسية من ناحية أخرى ولهـذا نرى كيف ان العمل والتطبيق سبق الفكر والتحليل في التجربة الاشتراكية الـكبرى التي تجرى الآن في الجمهورية العربية المتحدة •

أما التبرير الآخر للاشتراكية ، وهو التبرير العلمي ، فيتركز بالاعتقاد بأن تنظيم المجتمع (أي مجتمع) على أساس اشتراكي هو ضرورة علمية • فالاشتراكية تعني أساساً النظرة العلمية للمجتمع على اعتبار ان الظواهر الاجتماعية والاقتصادية السيئة التي تعم المجتمعات لابد وأن تكون وراءها عوامل وأسباب معينة وانه من الضروري الكشف عن هذه الأســـباب والعلل التي تختفي وراء هذه الظواهر السيئة ومعالجة هذه بالطرق السليمة التي تؤدي الى خـــير الجميع • الا أن الاشتراكية تهتم بالدرجة الاولى بالناحية الاقتصادية (ماينعكس عنهـا من ظواهر اجتماعية) ونرى ان معالجة علل المجتمع تأتي عن طريق معالجة وضعه الاقتصادي وهي على هذا الأساس تهتم بأمرين : الاول كيفية زيادة ثروة البلد عن طريق التنمية الاقتصادية التي تأتي حصيلة للتخطيط الاقتصادي المركزي الذي يجب

أن تقوم به الدولة ، والثاني عدالة توزيع هذه الثروة المتزايدة (أي الدخل القومي) بين العناصر التي تشترك في انتاج هذه الثروة عن طريق منع الاستغلال ، وكلا الأمرين يؤديان الى ما نسميه بالكفاية والعدل .

الاشتراكية والمجتمع العربي

ان سلوك طريق الاشتراكية في مجتمعنا العربي ضروري للأسباب التالية :

١- كون ان الاقتصاد العربي اقتصاد متخلف يجعل من الضروري تدخل الدولة للاسراع في التنمية الاقتصادية عن طريق الاستثمارات الكبيرة التي يعجز رأس المال الخاص عن توفيرها أو المجازفة في الشروع بها .

٢- وجود امكانيات وموارد اقتصادية مادية وبشرية هائلة عجز الاقتصاد الحر المحلي والأجنبي لأسباب متعددة من استغلالها بالطريقة التي تضمن التقدم الاقتصادي السريع مما جعل تدخل الدولة في الميدان الاقتصادي (الذي يؤلف وجهاً أساسيا من أوجه الاشتراكية) أمراً ضروريا وملحا للقيام بمهمة التقدم الاقتصادي المنشود وما يتبع ذلك من زيادة في الدخل القومي والرفاه الاقتصادي .

٣- ضرورة اشراف الدولة على عدالة توزيع الزيادة في الثروة القومية اذ أن زيادة الثروة في اقتصاد متنامي كالاقتصاد العربي قد تتركز أكثر فأكثر فيأيدي قليلة اذا ما ترك الاقتصاد بدون تدخل .

٤- تركيز الثروة في أيدي قليلة لا تحسن التصرف بها (على الأخص في القطاع الزراعي) مع أن الغالبية العظمى من الناس لا تمتلك من ثروة البلاد شيئاً بل ان أكثرها لا يعيش عيشا كريما الأمر الذي ترك عواقب اقتصادية واجتماعية وسياسية في غاية الخطورة في المجتمع العربي .

٥ ـ ان سلوك طريق الاشتراكية سيكون خير وسيلة للقضاء على الاستعمار القديم والحديث في الوطن العربي .

٦- ان الاشتراكية في بحثها عن السبل التي توصل الى العدالة الاجتماعية تلتقي مع القيم والمثل العربية التي زخر بها التاريخ العربي والاسلامي .

مع أن الاشتراكية تهتم بالدرجة الاولى بالجانب الاقتصادي فان تنظيم المجتمع على أساس اشتراكي سيكون له نتائج بعيدة الأثر في ميادين الحياة الاخرى وعلى الأخص في الميدان السياسي والميدان الفكري • ومما هو معروف ان الجمع بين الاشتراكية والحرية مشكلة معقدة وقائمة في كل زمان ومكان فسيطرة الدولة الكاملة على الاقتصاد في أي بلد عن طريق تأميم كافة وسائل الانتاج والتوزيع قد يجلب معه المساوىء التالية :

١ـ ان السيطرة الاقتصادية هذه لابـــد وأن تؤدي الى تقوية السيطرة السياسية للدولة وتؤدي بالتالي الى طغيانها وبذا تكون الرغبة في التقدم الاقتصادي على حساب الحرية •

٢ـ ان سيطرة الدولة على جميع مصادر الرزق للناس قد يؤدي أيضاً الى طغيان الدولـة والى نشـــوء **دكتاتوريـة كليـــة** (tatalitarian Siptem) والقضاء التام على الحرية في كافة أشكالها •

٣ـ ان هذه السيطرة قد تؤدي أيضا الى اســـتفحال داء البيوروقراطية اذ تصبح حياة الناس مسيّرة بصورة رسمية روتينية ويصبح الحكام الحقيقيون للبلد هم البيورقراطيون (موظفو الدولة) الذين ينفذون أوامر تأتيهم من الأعلى •

٤ـ القضاء على روح المبادرة الفردية (Personal initiatine) وحـافز (incentive) حب التملك والتقدم الاقتصادي الموجود في الطبيعة البشرية والذي يعمل مع عوامل أخرى على الزيادة في الثروة العامة •

لا تتم الا في نظام تسود فيه الحرية الفكرية ويسود فيه القانون (rule of law)

ولتجنب هذه المخاطر أو التخفيف منها الى حد كبير أصبح من الضروري أن تسير الاشتراكية في الطريق الديمقراطي التجريبي • فالحرية كما هو معلوم والاشتراكية الديمقراطية التجريبية لا تؤمن بضرورة وجود حقائق نظرية مسبقة عن المجتمع لا جدال فيها تطبق عن طريق الاكراه والاحتكار السياسي كما انها لا تؤمن ، من الناحية الاخرى ، بأن مساوىء المجتمع وما فيه من فروق طبيعية

هائلة أمور طبيعية من الأفضل تركها تحل نفسها بنفسها • ان الاشتراكية هذه تؤمن بضرورة اتخاذ اجراءات ايجابية من قبل الدولة للقضاء على هذه المساوىء وعليه فهي تؤمن بتدخل الدولة في ادارة امور المجتمع وايجاد العلاجات لهذه المساوىء عندما يتطلب الأمر ذلك •

أما الأسس الاقتصادية العامة للاشتراكية هذه فهي وجود قطاع عام في الاقتصاد الوطني يكون تحت سيطرة الدولة يضم بين جنبيه أهم المراكز الاقتصادية في البلد كالصناعات الثقيلة والمصالح الكبرى بكل ما تقوم به الدولة من استثمارات في خططها الاقتصادية وقطاع خاص يترك بأيدي حرة تحت اشراف الدولة بحيث لا يترك فيه أي مجال للاستغلال • ووجود القطاع الخاص هذا بالاضافة الى ضرورته الاقتصادية سيكون ، برأيي ، ضرورياً لضمان الحرية الفردية والفكرية الا أنه سيكون ملاذاً لمن لا يريد أن يكون جزءاً من ماكنة الدولة الضخمة ومسيرا بأنظمة الدولة بشكلها الرسمي والبيوروقراطي • وهو ضروري اقتصاديا ليكون محل اختبار لروح المبادرة الفردية ومنافسا للقطاع العام في ميدان الكفاءالاقتصادية• الا ان وجود القطاع الخاص هذا يجب أن ينسجم مع أهداف الخطة الاقتصادية العامة للبلد ويتوقف وجوده على مدى تعاون العاملين فيه مع متطلبات الاقتصاد القومي العام وبشرط أن تبقى المبادءة الاقتصادية دائما في يد الدولة وفي القطاع العام الذي تسيطر عليه •



لعينك ...

عفـــو من صلى وصـــاما
وغازل برعماً ، وسقى ندامى
لمحتك في حديد القيد فجـراً
يلون فجري الدامي ســلاما
وشمتك في ذرى نيسان بدراً
ينث النور في ثغـر الخزامى
وصفقت الخيـــام ممـزقاتٍ
فصفق جنحك الزاهي وحامـا
ولاح الكــرم اطيافاً لعيني
فرق المجد في قلبـي وناما
ورف النبـع رقـراقاً كأنـي
سقيت بك الهنـاءة والمـداما

□

على اسمك ..

- عفو من صـلى - سأحيـا
سأجترع الضنى موتاً زؤامـا
احسك في دمي ، دفئاً مرجى
وفي اعماق اعمـاقي ضراما

وفي الخلجات دامية ظمـاء
احسك ملغماً وهوىً مضامـا
فأنت سنى الوجود ، وأي معنى
لنجم يذرع الدنيـا ظـلاما ؟
تباركت الشموس بك ابتداءً
وعفرت النجوم لديـك هاما
وأنى لحت فالدنيـا أمـانٍ
كبارٌ لحن في مقل اليتــامى
أطلي ، فالصباح هنـا أسير
وافق الشرق ممتلىء قتـــاما
أطلي .. فالخيام السمر تأبى
هوىً يخزي المروءة والخيـاما
سجايا الرمل : عاصفة وحب
وبركان وفجـر لن يضـاما
فزورينا ، فما زلنـا نغنـي :
غداً نسقى ونشرب يا ندامى

محمد جميل شلش

الفكر السياسي العربي الاسلامي واصل الدولة

بقلم : الدكتور فاضل زكي محمد
رئيس قسم العلوم السياسية
بجامعة بغداد

تستحق الدراسات السياسية العربية الاسلامية في نواحي الدولة المختلفة عناية واهتماماً جدياً ، خاصة حين نعلم ان مفكرين سياسيين عديدين في العصر الحديث يحملون افكاراً سياسية تمتد جذورها الى الفكر السياسي العربي الاسلامي .

واحدى النواحي التي شملها الفكر السياسي الاسلامي بعنايته هي ناحية أصل الدولة . فها نحن مع الفارابي (٨٧٠-٩٥٠م) احد اعلام الفلسفة السياسية العربية الاسلامية وقد اشغل نفسه ، من بين بحوثه المتعددة ، في دراسة أصل الدولة . وما يستحق الاشارة اليه من هذه الدراسات « نظرية أو عقد التنازل عن الحقوق » . ففي هذه النظرية يشبه الفارابي حالة الانسان قبل قيام الدولة بعقد البيع والشراء غير العادل حيث يتغلب فيه القوي على الضعيف . ومثل هذه الحال تشبه برأي الفارابي حالة الانسان العامة قبل قيام الدولة . فالانسان في الاحوال التي يفتقد فيها العدل يعيش في حالة من النزاع والخوف الدائم . وهذا النوع من الحياة ، هو الذي سبب عجز الفرد عن تولي شئونه وحمله على الاحتماء بغيره . فحالة الخوف هذه اذاً هي التي حملت جميع الافراد الخائفين الى التجمع مع بعضهم والى الاتفاق فيما بينهم بالتنازل عن حقوقهم وسلطانهم واناطتها وكالة بيد فرد منهم يكون حامياً لهم وصاحب سيادة عليهم . ومثل هذا العمل

الذي أقسم فيه الافراد ووعدوا أنفسهم فيه الى اختيار من يمثلهم ويحميهم قد شكل بحد ذاته تعاقداً بين الافراد جميعا من جهة وبين القائد صاحب السيادة من جهة أخرى .

ثم يناقش الفارابي بعد ذلك فيقول ان ما يساعد على الجمع بين الافراد وتأليف مجموعة واحدة تعيش حياة سلمية فى اطار مجتمع سياسي هو رباطهم الثقافي والجغرافي . ومثل هذا النوع من التفكير يجعل من الفارابى الموجد الاول لنظرية العقد السياسي والاجتماعي فى منشأ الدولة . ذلك ان ما يستحق الملاحظة ويستلفت النظر هو ان الفارابي على الرغم من تشبيهه العقد السياسي بعقد البيع والشراء ، فان الخطوات التى يؤكد عليها هى نفس الخطوات التى أكد عليها المفكرون المحدثون بعد ما يقارب الالف سنة من موته[1] . والاهم من ذلك هو ان هذه النظرية لم تسبق النظرية التي نسبت بعد سبقه قرون الى المفكر الانكليزي هوبز (Hobbes) فحسب ، وانما كانت نظرية أقرب الى الواقع باعتمادها على أمثلة ملموسة فى الحياة من تلك التى أتى بها هوبز نفسه .

ويمثل لنا الغزالي (١٠٥٨-١١١١م) في نظرية التطور التي قدمها لنا ، علماً آخر من أعلام الفكر السياسي العربى الاسلامي . فقد بيّن فى كتابه « احياء العلوم » بأن الانسان قد خلق بطريقة بحيث يظل فيها بحاجة الى تعاون الآخرين . وانه من طبيعة الاشياء أن يكون التعاون قائما بين عدد كبير من الافراد الذين لابد وان يختّص كل منهم بحرفة أو صناعة ما[2] . وان هذا التعاون بين الجماعات لابد وان يؤدي الى التطور والى قيام الفنون والصناعات الجديدة . فكما ان سنن بقاء المجتمعات تستدعي قيام تنظيمات حرفية وفنيّة وحربية جديدة ، فكذلك الحاجة الى تنظيم حياة المجتمع تستدعي قيام القانون والحكومة[3] ، والى ظهور من تودع بيده مسؤولية القيادة والادارة : أي القائد

---

(١) انظر H. Sherwani فى كتابه "Studies in Moslem political Thought & Adminstration"، ص ٢٥٢) .

(٢) المصدر السابق ، (ص ٢٥٢) .

(٣) للحصول على التفاصيل الاخرى راجع الغزالي فى كتابه « احياء العلوم » ؛ كذلك الشيرواني ، المصدر السابق (ص ١٥٨) .

صاحب السيادة .

ان نظرية التطور هذه التي أتى بها الغزالي ، هي نظرية تقوم على الحقيقة والواقع . وبالاضافة فان تحليل الغزالي لنشوء الدولة يرينا كيف ان علاقات الأفراد بعضهم ببعض من الامور الطبيعية ، وكيف انها تعمل على قيام القانون والحكومة من جهة ، والى قيام القيادة السياسية ذات السيادة من جهة أخرى . وما هو جدير بالذكر هنا هو ان أفكار الغزالي هذه في الفلسفة السياسية قد سبقت آراء كل من تحدث في هذا الموضوع من المفكرين الغربيين المحدثين . ولهذا فمن المستطاع القول ان الغزالي يمكن ان يعتبر ايضاً أول فيلسوف سياسي ، أو على الاقل من الفلاسفة الاوائل الذين طبقوا هذه النظرية على السياسة وفي زمن تقدم على بحوث سبنسر (Spencr) وهكسلي (Huxley) المشابهة لها بنحو ثمانية قرون[٤] .

ومن بين لاعلام الآخرين الذين بحثوا موضوع أصل الدولة المفكر العربي ابن جماعة (١٢٤١-١٣٢١م) . فيرينا ابن جماعة في كتابه « تحرير الاحكام » ان الدولة كانت قد ظهرت في البداية نتيجة لاستخدام القوة[٥] . ويسمى ابن جماعة نظريته في منشأ الدولة بنظرية القوة . ويوضح ابن جماعة نظريته هذه فيقول ان الدولة كانت قد ظهرت « عندما استطاع فرد ذو سلطان من اخضاع الناس من حوله بالقوة والسيطرة عليهم شخصيا »[٦] .

وحينما نحلل آراء ابن جماعة في منشأ الدولة نجده يختلف عن سابقيه وخاصة الفارابي ونظريته في التعاقد . ذلك ان ابن جماعة لم يكن ليقتنع بان الانسان في بداية عهوده كان له قابلية التفكير البعيد بحيث يتنازل عن بعض حقوقه الى قائد يتولى ادارة شئونه . على العكس ، فانه رأى ان عدم استطاعة الانسان للتوافق مع الآخرين وتنظيم حياته السياسية كان عاملا مهما لتمهيد الطريق أمام شخصية قوية ذات سيادة للظهور وتمكنها من اخضاع الآخرين . وهكذا

---

(٤) المصدر السابق ، (ص ٢٥٤) .
(٥) انظر ابن جماعة في : تحرير الاحكام ، دراسة باشراف هانز كوفر ، (ص ٣٣٥-٤١٣) .
(٦) انظر Sherwani مصدر سبق ذكره ، (٢٥٣) .

فان قوة شخصية القائد القهرية وخوف المقودين ، هى التى مهدت الى قيـام اولى أشكال الدولة .

ولقـــد ظلّت آراء ابن جماعـــة كـــذلك الى ان أتى ابن خلـــدون (١٣٣٢-١٤٠٦م) الفيلسوف والمفكر العربي المشهور لبحث موضوع اصـــل الدولة على أسس اجتماعية سياسية . وبدرجة اكثر عمقاً واقناعاً . فابن خلدون يربط بين منشأ الدولة والمجتمع . وعلى هذا الاساس فانه يبني نظريته فيقول ان حاجة الفرد الى المجتمع ليست انها طبيعية فحسب وانما هي ضرورية أيضاً فالانسان لا يتمكن من البقاء الا بالعيش مع الآخرين وهذا ما يكوّن المجتمع[٧] . وبتكوّن المجتمع تظهر الحاجة الى التنظيم والاستقرار : « اى الحاجة الى قوة ضابطة تمنع دوافع الانسان الحيوانية من الاعتداء على الآخرين »[٨] . وتتمثل هذه القوة الضابطة بظهور شخصية لها من القوة الخارقة ومن الشجاعة والحكمة ما يجعلها تمسك بزمام الامور بيد حازمة وبذلك يمنع اعتـــداء أي فرد على الآخرين ... »[٩] ويسمى ابن خلدون هذه الشخصية المسيطرة بشخصية ذات سيادة .

فعلاقة الدولة بالمجتمع بناء على ما تقدم كتلك التي تقوم بين المادة وهيئاتها . ذلك ان هيئة المادة تحفظ بطبيعتها تلك المادة وان كليهما غير ممكن الفصـــل بينهما . وعلى نفس الشاكلة لا يمكن ان توجد الدولة من دون مجتمـــع ، إما المجتمع فلا يمكن له ان يستقيم البتة من دون دولة بناء على ما يبدر من دوافع عدائية من قبل الافراد والتى تحتاج الى قوة ضابطة[١٠] .

ويرى ابن خلدون ايضاً ان قوة القائد السياسي صاحب السيادة لا تستند دوماً على سند ديني ذلك ان السند الديني يوجد حيث توجد الدولة القائمة على

---

(٧) ابن خلدون : المقدمة : مختـــارات ، ترجمـــة وتبويب شـــارلس عيساوى ، (ص ٩٩) .

(٨) المصدر السابق ، (ص ٧١) .

(٩) المصدر السابق .

(١٠) عيساوى ، (ص ٢-١) .

شريعة دينية يبشر بها رسول • ومن الجهة الاخرى ، فقد تقـــوم قوة القائـــد السياسي صاحب السيادة على العصبيّة • ومعنى ذلك ان الروابط المشتركة ووحدة الرأي لمجموعة ما تساعد القائد على قيادته وتمكنه من تأمين النظام والاستقرار • ومثل هذا النوع الاول يطلق عليه ابن خلدون بالدولة الدينية ، اما النـــوع الثانى فانه يطلق عليه بالدولة الملكية •

وهكذا يتضح لنا ان المفكرين العرب والمسلمين كانوا سباقين فى دراساتهم المتنوعة ومنها نظرياتهم وافكارهم الفنية فى الدولة ونشأتها •

« المراجع المهمـــة »

(١) الغزالي : احياء العلوم •

(٢) ابن جماعة : تحرير الاحكام •

(٣) ابن خلدون •

(٤) حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن : النظم الاسلامية •

(٥) H. Sherwani: Studies in Moslem Politicol Thought & Adminstration.

(٦) R. Hammond: The Philosophy of Al - Farabi & its influence on Midieval Thought.

رثاء الامام الاكبر

في ليلة الاسراء والمعراج من عام ١٣٨٣ هجرية الموافقـــة مســاء الخميس ١٢ ديسمبر ١٩٦٣ انتقل الى جوار ربه الامام الاكبر الاستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الازهـــر كان ذلك في الوقت الذى يذاع له في الراديو حديث ديني في ذكرى تلك الليلة المجيدة ٠

فى موعد الاســراء والمعــراج ... والليل للذكرى الجليلة ســـاج
والرسل تهفو والملائـك حــوم ... وبراق مشتاق الى الاســـراج
وتألقت للمســـــجدين مآذن ... حتى بدت من فضـــة أو عـــاج
وسرى الى السبع الطباق تـوهج ... من يثرب ، فمحا ظلام دياجي
والمسلمون الى الســماء تطلعوا ... ما بين رافع راحتيـــــه وراج
وامامهم عبر الأثير محـــــدث ... عن سر ذاك يذيع في ابـــلاج
صعدت الى أعلى رفيق روحـــه ... وهوى من الاســـلام خير سراج

□ □

يا شيخ أزهرنا وناشـــر نوره ... في ضيق منعطف ورحب فجاج
كم طفت أرجاء الممالـك هاديـــا ... كالشمس في فلك لها وهـــاج
وقعدت لاستقبال كــل ميمـم ... ففرغت من فوج الى أفـــواج
ما ضقت من مرض ولا شيخوخة ... عن كل قاصد حاجة أو لاجـــى
يسرت دين الله وهو لفطـــرة ... أحبب بدربك فيه من منهـــاج
تلك الأحاديث التي قـــد بينت ... رشدا لصاحب مأرب أو حـــاج
فيها تعاليم الشـــريعة فصلت ... ما كان أبدعها لدى الاخـــراج
لو طبقت في العالمين نجوا بهـــا ... مما تقاذفهـــم من الأمـــواج
وسقوا بها عذبا فراتا بعـــدما ... ذاقوا من الألـــوان كل أجـــاج

□ □

نم في جوار الله أهنـــأ ضجعة ... من غير ما سقم ولا ازعـــاج
لولا الذي ما أنت فيه منعـــم ... فاضت عليك العين بالثجـــاج

دكتور
عمر الجـــارم

التخطيط والحضارة

ترجمة

الدكتور محمد مكية

يجمع اهل الاقتصاد والمعنيين بشئونه من اساتذة وخبراء في هذا الحقل من المعرفة الانسانية والحكمة الاقتصادية في علم التخطيط •

وان موضوع حديثي في هذا الاجتماع قد لا يكون وافيا بمفهوم محاضرة جامعة بل ما اتمناه أن يكون اثارةً لمحاورة تهدف للمزيد من اتعرف على معنى التخطيط ومقاصده وما يمكن ان يحققه في عالمنا المتطور •

ولست أقصد انني قد أتيت باكتشاف لمفهوم وتعريف جديد للتخطيط أنه على مجمع من علمائه المعنيين ولكن الذي ارجو أن أوفق اليه هو أن أؤكد أنَ طبيعة موضوع التخطيط يتطلب المزيدَ من التعريف من اجل التعرف على مدى شموله ولأن هذا المفهوم لابد أن يصبح متغيراً ومتطوراً بالنسبة لحداثة نشوئه وبالنسبة للتطور المجتمعي من السنين الاخيرة •

واني اعتذر لما قد يضجر مسامعكم من تكرار والحاح وتأكيدات لبعض الاعتبارات والقيم التي بحكم نظرتي التصميمية في مهام التخطيط تحتم علَي ضرورة التكامل في مفهوم التصميم ومقوماته ، والتخطيط بالنسبة لي عملية نصيحة لا تختلف عن هذا المفهوم •

ان من اسباب اختياري لهذا الموضوع هو اعتقادي باننا نشكو وضعا متخلفاً في فترة هامة من تاريخ تطورنا وان المزيد من مثل هذه المناسبات والندات ضروري جدا في سبيل صنع كياننا وان ظاهرة تقارب المهندس المخطط والاقتصادي في ندوات هو استجابة لوعيٍ وادراكٍ لاهمية الموضوع ، وقد سبق لنا في أحد مؤتمرات الهندسة أن ساهم مزلاء وأخوة لنا من طليعة الاقتصاديين لبحث بعض مشاكل التخطيط في هذا البلد ، وانني ارجو ألا أكون مسيئاً اذا ما قلت بان الكيان الاسمي للتخطيط في مؤسساته الحالية لم يظهر

طموحاً في تحقيق الاهداف الحضارية والنظرة الواعية الشاملة التي تتطلبها فكرة التخطيط ، وهو بتخلفه الحالي قد تدهور الى حد تخصيص ميزانية ارقام مشاريع عمرانية باسم التخطيط .

ان التخطيط عملية حضارية انسانية سامية تسعى من اجل متطلبات حاضر ومستقبل انسانية عالمنا الجديد ، وهو يكاد يكون وضعاً جديداً تتطلبه طبيعة التطور البشري اليوم والاحوال التى آلت اليه الانسانية ، وهو حسبما يراه الكثير من المعنيين علم وفن جديد من علوم تجمع بين الانسانيات والحقل العلمي التجريبي .

ويسرني في هذه المناسبة ، وانا بصدد تعريف علم التخطيط ونشأته كعلم جديد أن اشير الى ان هذا العلم مدين بأسبق فضل وأجله لعالمنا الاجتماعي الكبير ابن خلدون ، فقد جاء في مقدمته المعروفة عرضاً واسعاً لمفهوم التخطط للمدن والامصار والاقاليم وخاصة ما يتصل بالدولة والعمران وارتباطه بمصالح الناس ما يسر القارىء المخطط فيرى اسبقية واولوية التفكير المتسع لجهاز التخطيط في وقت لا يكاد يكون مقصوداً لهذا اللفظ وهو بهذا قد يتجاوب من مفهوم التخطيط في ضوء الواقع للبيئة والخصائص العربية التي بحكم مواصفاتها الجغرافية ونزعاتها الأجتماعية تتطلب كيانا تخطيطيا قد يختلف عن غيره من مواقع سطح الارض ، يقول عالمنا :

ان الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها ، وقد تقرر في علوم الحكمة ان لا يمكن انفكاك احدهما عن الآخر . فالدولة دون العمران لا تتطور والعمرا ن دون الدولة متعذر وفي مجال آخر يقول ان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امدها وكذلك يقول « ان آثار الدولة على نسبة قوتها في اصلها وان تشييد المدن انما يؤمن باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم حين يتم الاستقرار » .

وارجو ان لا أكون منساقاً خارج صدد البحث في عرضي لهذه الآراء التي تترآى لي مقتبسة من واقع جغرافي ومحلى يستحق الاستمرار فيه ، فان علم البلدان والامصار والعمران الاجتماعى وما يتردد من الفاظ نحو مفهوم بناء الكيان الاجتماعي وتخطيط المدن والذى هو مدار بحث الاوساط العالمية اليوم قد تطرق

له ابن خلدون فكتب عن دور الدولة فى التخطيط والتعاونيات بهذه العبارات •

المدن والامصار ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير ، وهى موضوعة للعموم لا للخصوص فتحتاج الى اجتماع الايدى وكثرة التعاون • ويقول : « ولابد في تمصير الامصار واختطاط المدن من الدولة والملك » وفى تعريفه لهدف التخطيط يتضح لنا من هذه العبارة فيقول علامتنا •

« اعلم ان المدن قرار تتخذه الامم عند حصول الغاية المطلوبة » •

ـ انه بحكم هذا التخطيط الذى يتوخى التوجيه المقصود لاسعاد الانسان وكونه هذا المخلوق هدفاً ، فهو من اجل هذا المسعى عملية شاملة تتكامل في سر كونها انسانية المرمى ، وبذا فانسانية الهدف تطمح فى أن يتصف التخطيط بفلسفة الانسان وقيمه المادية والروحية ، وهذا معناه حضارة تتوخى مقومتها من ارتباط الانسان بالمجتمع ، ورابطة الانسان بالارض ، ورابطته مع الزمن وان القيم المتأتية لمثل هذه الروابط الاجتماعية ورابطة الهيئة الجغرافية والتاريخية تميز عالم الانسان كعالم حضاري يتميز عن باقى المخلوقات • ان التخلى عن هذه القيم بدافع الواقعية والتي تأتي لا بنتيجة التعمد بل العكس ولكن نتيجة الجهل أو التجاهل ما هو الا اعتراف ضمنى بفشل التخطيط أو سذاجته وعدم امكانية الاستيعاب في اطار شامل للصورة الكاملة للقوى البشرية ، وكما يظهر ان القضية ليست بسهلة لمثل هذه المتطلبات •

ان الحلول المتكاملة هى لا شك أوفر اقتصاديا ، ان المفهوم السائد لصلب فكرة التخطيط ولدى الكثير من لمعنيين وحتى الاوساط العلمية والمختصة بانها عملية اقتصادية تستعين في تحقيق هذا المفهوم بالارقام والحسابات والجداول ، التي بدورها ولا شك تعكس استعدادا علميا وكفاءة مختصة لا يمكن للتخطيط ان يعمل بدونها ولكن الاعتراف بتحديد التخطيط انه كيان اقتصادى وليس من اختصاصه التدخل فى الشئون الحضارية والامور الاخرى التى تعود الى مراجع مختصة هى نظرة قاصرة ، وان من الضرورى فى تكوين الخطة التصميمية تجنب هيمنة الاخصاصيين الذين يقاسون بحكم اختصاصاتهم في التأكيد على نواحي خاصة تكون على حساب قيم أخرى • وهذا ما يجعل هذا العلم الجديد علم تنسيق وتنظيم

وتوفيق فالمخطط يصبح اقرب الى قائد الاوركسترا فى هيمنته على جميع الآلات الموسيقية والاصوات من أجل التكامل والتوازن والانسجام .

التخطيط عملية مستمرة :

يتضح من بحثنا على نطاق تنظيم المجتمع الشامل المتجاوب بين الدولة واجهزتها التخطيطية وافراد الاسرة المجتمعية ان الكفاءة الانتاجية للقطاع العام أو الخاص لا يمكن ان تتوفق ما لم تذلل كافة المشاكل التي يتحراها جهاز التخطيط باعتباره الطبيب المدمن والتى تعيق روح التجارب وجهود الطاقات البشرية للمجتمع ، وهذا يتم فى دراسات وتحريات عميقة للامراض التي ابتلى بها المجتمع أو جهازه المنظم . ما دعى الى الدولة كجهاز غريب . ان اول انتصار لعملية التخطيط هو خلق جو المحبة بتذليل الصعاب التى تتأتى من عواطف مكبوتة أو اقتحام حقوق انسانية فكما يجب اذ نخلص من آفات المرض والفقر والجهل فان التخلص من الكراهية والحقد هو سر نجاح التخطيط باعتباره نوعاً واسعاً من التعاون البشري ، ان في مثال بسيط قد تتضح لنا علة اجتماعية الشعور بالمسئولية والتجارب دائمة فان مقومات هذا التعاون المجتمعي يشمل النواحى الاقتصادية والفكرية . ان قيمة الشعور بتجاوب مجتمعي يذلل العقد هو أمر رئيسى وهام ورصيد انسانى لا يمكن أن يعالج بالتغطية السطحية ويتطلب العلاج التغلغل الى الصميم من اجل تقارب بين المجتمع والدولة يكفل لانبثاق نشاط شامل فى كافة مناحى الحياة ، وهذه ليست عملية دعائية بل هى دراسة تتطلب الامانة والنزاهة والعقيدة الانسانية السامية التى لها وحدها الحق ان تتبوأ هذه المكانة فتخلق انجذاباً اصيلاً ورصيدا عالياً .

ان سلطة الحاكم المنفرد وتأمين ارادته بجهاز تخطيط قد حل محلها جهاز كامل في دولة التخطيط بحكم ما سميته طبيعة التطور البشري ووسائل الاستثمار والعلوم التي عبرت في تفاقل البشر وطاقاتها . فاصبح الجهاز التخطيطى يتولى كافة مراحل العمل المشروع من دراسة اولية وتحرى الى تصميم وتنفيذ ولم يبق لسلطة الحاكم تحمل كثير من مثل هذه المسئوليات . فالتخطيط أصبح وكأنه دولة العلم والمعرفة في الحقل التشريعى والتنفيذى ، كما تستمر دولة جامعة العلم في تهيئة

هذه الدولة الجديدة بمصادر ومراجع واشخاص هذا الجهاز فيكمل احدهما الآخر هذه هي حقيقة ثورة العلم والمعرفة الانسانية التى فرضها وسيفرضها فى المستقبل تطور البشرية •

التخطيط وعالم الكرة الارضية :

ان عملية التخطيط لا تنهى بوضع خطة معينة تنهي مفعولها فتحل محلها خطة أخرى ، انما هى عملية داينميكية في استمرارها واجهزتها ومعداتها تنبض بالفعالية طيلة الوقت • ان الاكتشافات الجديدة والمتطلبات المستمرة من زيادة السكان وتفاعل البشرية فى مواقع سكناها ومن حركة التطوير لوسائل الانتاج وما يتطلبه الدلالات بعد عملية العلاج ما يجعل جهاز التخطيط وكفاءته المطلوبة أن يكون جهازا مستمراً بتوخى التوجيه المقصود ، ويحاول أن يعالج ما قد يظهر من مشاكل فى نشاط المجتمع وقد يتضح ان التخطيط يحدث وعياً اجتماعيا وان البدء بمراحل الخطط اولدت طيلة استمرارها نموا وقابلية في تحقيق خطط أخرى واختصاص كانت له آثاره المستمرة في اقطار متعددة • اذ يكون التخطيط وهو باعتباره اعلى مراحل التنظيم وتساميه ، وان عنيت بالتنظيم فهو التنظيم الحسي الانساني اذ قد يكره الكثير منها الانقياد الى روح عسكرية التنظيم والانقياد والتقيد لحرية وذاتية الفرد ، وان عكس التخطيط يصبح التخطيط فلسفة •

التخطيط والعمل :

العمل وهو الانتاج المادى والفنى والفكرى هو حق من حقوق البشر تتطلبه عضوية الخلق والكيان الوجودى للفرد وكيان رابطة الجماعات في المشاركة والمساهمة • ففى طريق العمل يتم التعاون الاجتماعى والذى بواسطته تشيد المدنية والحضارات • ان هذه الالفاظ البديهية على السمع يظهر انها منسية فى التطبيق ، ومع الاسف ان كثيرا من البديهيات التى هى قواعد أساسية قد تنسى وحتى لدى الطبقة المعينة نتيجة تجاهل الامور الاساسية ، ان العمل هو حق قبل أن يكون واجباً • انه اكثر من ان يكون توفيراً للاجور ومالاً للعيش انه يوفر للانسان الكرامة وعضوية الانتماء للاسرة المجمعية ولذا فانه بفلسفة مفهومه لا يعني ان

الفرد مجرد وحدة اقتصادية ينظر اليه في ضوء ارقام متوجه والانسان له ان يطلب العمل بغض النظر عن العائد وفي قول الحكيم الفيلسوف غاندي ما يدعو للاستغراب ولكن بروح فلسفة تصوفية قد يفهم منها على ضوء فلسفة العمل كحق من حق الحياة ويغض النظر لادراك القيمة • يقول غاندى ان الانسان له ان يطلب العمل ولكن ليس له ان يطلب العائد منه •

ان التطور البشري والتقدم العلمي قد قارب مسافات العالم تقاربا مذهلا بالنسبة لجيلنا الحاضر • ولذا فان مفهوم التخطيط لعملية مترامية ومتسقة لا يمكن أن تنشط في درس مناهجها وخططها بمعزل عن باقى انحاء العالم • فمن نواحي الاستثمار والتخصص من اجل المنافسة في النوعية لسوق انتاج مدينة الكرة الارضية يتطلب توجيها جديداً يتحرى طبيعة المشكلة التخطيطية ويحاول تنظيم الاستثمار للمستقبل ، وفعاليات المجمع ليس في الحقل المادى فقط بل في الحقول الحضارية الاخرى فالسياحة العالمية تجعل للتخطيط الحضاري أهمية في الصعيد المادي ، على ان روح التخطيط في هذا الحال يجب أن لا تهيمن عليها هذه الروح بالدرجة الاولى بل انها بروح حضارية وتسامى من القيم ورصيد قومي حضاري سوف يعكس ثروة سياحية تأتي بالدرجة الثانية •

ان الظاهرة الكبرى في عالمنا اليوم هي انتقالنا من عالم الآلة والميكانيك الذي هو امتداد لاستعمال طاقة الانسان الجسمية الى عالم المواصلات الالكترونية الذي يظهر فيه حدث جديد فهو يصير الانسان في امتداد الكتروني جديد فشبكة المواصلات بين الجهاز العقلي الانسانى والالكترونى حدث اجتماعى عالمى يجعل من الكرة الارضية تقارباً جديداً وعصراجديداً ومقاييس جديدة تتطلب التهيؤ والدرس في مستقبل الانسانية •

ان الظاهرة الاخرى في جيلنا الحاضر وجود جزء من العالم الصناعي المتفوق وعالم آخر في دور النمو والتطوير وان فعالية جهاز التخطيط في العالم الذي بدور التطور لا شك له فعاليات وادوار تختلف عن العالم الآخر وانه لمن الضروري في هذه الفترة الهامة في التنمية والتطوير ان لا تساق هذه الدول في تطويرها لمواصفات أو علاجات مستخلصة تمليها المصادر المتوفرة في البلاد المتقدمة ، ان

النظرة التخطيطية الشاملة التي تحدثت عنها كفيلة في ان تستوعب التنمية مقوماتها على ضوء الخصائص المحلية والدراسات المستفيضة وليس بمجرد أخذ الفكرة ومحاولة جعلها أكثر ملائمة فالحل الآخر وهو الاوفق ان بثها نشاطات متسعة في حقل البحوث والتحري والدراسات ويستغني من الجانب المنعوت بالاحاديث الفكرية والتخطيط لا لاعطاء المواصفات والعلاج بل للاستعانة في طرق البحث والكشف والدراسات الموقعية هذا التعاون البشري ضروري لسرعة انجاز مهمات جهاز التخطيط ، لقلة ما تملكه من مخططات ، وان هنالك بوادر تشير الى الاعتراف بهذا الواقع ولو يتباين للكثير بانها لطيفة الحركة ولا تتناسب ومتطلبات التنمية التي يتطلبها مجتمعنا •

ولعل عن طريق البحوث وذخيرة جمع المسوح والمعلومات لدائرة معارف جهاز التخطيط ان تتخلص من وصفات جاهزة وادعاءات اقتصادية قد تكشف بعدها من المفهوم الانساني وابعاده المتكاملة •

ان مشاريع الرى والسدود وغيرها تكون متكاملة متى ما تنظر اليها في تخطيط متكامل في برامج الاسكان الريفي والقرية العراقية ان الجدال في ان تفوق حصيلة الاستعمار الصناعي تفوق حصيلة المنتوج الزراعي أو ان زيادة رأس المال اساس التطور وغير ذلك من اراء اقتصادية قد تجد الحكمة التخطيطية في اجهزة التخطيط ألنيرة وفي ضوء الواقع والهدف الانساني لتفهم صفة التكامل في اطار التخطيط القومي الشامل •

هذه لمحة خاطفة لبعض الاعتبارات التي لها مساس في التخطيط باعتباره عجلة « حضارية » • واختتم ما قد يبدو من تأكيد بديهى في هذا العرض قائلا « قل ربي زدني علماً » •

الوحدة بين المؤيدين والمناوئين

الدكتور عبد الرزاق محيي الدين

ان وحدة الهدف قائمة فعلاً بين الجمهوريتين ، والايمان بضرورة الانتهاء الى وحدة دستورية حاصل منذ الآن بين المسؤولين في الجمهوريتين ، وكل ما في الامر ان موقعي الاتفاقية أثروا أن يبلغوا الغاية المرسومة على مراحل ، وبعد تعبيد الطريق اليها وتمهيده .

ان حصيلة غنية من التجارب والعبر دلت العاملين على اقامة وحدة دستورية ان بلوغها لابد أن يمهد له بدراسات وان يخطى اليها بمراحل ، حتى اذا انتهينا من مرحلة ووضعنا اقدامنا على أرض راسخة منها خطونا الى مرحلة ثانية .

انه لابد من مسح الطريق الى الوحدة الدستورية ، ومن ردم الفجــوات القائمة فى الطريق وعلى جوانبه ، ولابد من اكتساح الالغام التي نشـــرها الاستعمار اثناء عهود الانفصال والتجزئة ، ولابد من اقامة الصوى والمنائر على الجانبين حتى يمضى القطران الى وحدتهما فى طريق معبد مضىء .

ان برنامجاً موحداً للتوعية لابد من وضعه وتنفيذه فى القطرين ، وان فهما واعيا مستنيرا لابد من اشاعته في ذهن جماهير القطرين ، وان مضمونا قوميا محددا لابد من ادراكه من شعب القطرين .

لو أرد موقعو ميثاق السادس والعشرين أن يوقعوا وحدة بين حكومتين لا قدموا على اعلان على اعلان الوحدة الدستورية أو لو أريد أن يوقع ميثاق بين حزبين لاعلنوا الوحدة الدستورية . ولكن موقعي الميثاق يبتغون وحـــدة

(١) اذيعت في ندوة تلفزيونية عقدت مساء ١٠ـ٦ـ١٩٦٤ .

دستورية للشعبين ، بين جماهير القطرين وحدة الفكر القومية بينهما ، ووحدة الادراك ووحدة الشعور بالمسؤولية لمضمون المصلحة القومية ، وحدة الدفاع عن المصلحة القومية ، وحدة الانتفاع بمزايا وفوائد الوحدة الدستورية لذلك آثروا أن يخطو الى الوحدة الدستورية مرحلة فمرحلة .

يقول الرسول صلى الله عليه وآله : ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق ، فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهراً ابقى . ونحن اعتباراً بنصيحة الرسول نمشي الى الوحدة برفق ، فقد جربنا ان المنبت لا ارضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

هل في البلاد العربية أو في العراق بخاصة من لا يرضى الوحدة بين الاقطار العربية .

هذا سؤال محرج ، ولكني مضطر الى الاجابة عنه . انني أسأل السائل المحترم ، هل هناك اجماع تام بيننا أو بين الناس جميعا على قضية أو نظرية أو فلسفة انه لابد لكل رأى من مؤيدين عاملين ومن مناهضين مخالفين ، ولكن العبرة في عدد المؤمنين بالرأى والداعين له والعاملين عليه .

ان الوحدة بين الاقطار العربية فكرة تؤمن بها الجمهرة الغالبة في العراق وفي غيره من الاقطار العربية ، والاجماع عليها يكاد يكون تاما بين الفئات والهيئات العربية العاملة في حقول السياسة ، والواضعة لنظريات الحكم فيها ، وربما اختلف الطريق اليها ، أو وقع الاختلاف في مضامين الحكم عند قيامها ، ولكن ذلك لا يعني الاختلاف في قدسية الوحدة أملا وغاية للامة العربية في شتى أقطارها .

والاجماع الرائع الذى استقبلت به اتفاقية السادس والعشرين من قبل النقابات والجمعيات أمثال نقابة المعلمين ونقابة المهندسين ونقابة الاطباء واساتذة الجامعات وجمعيتا لاقتصاديين وجمعية الكتاب والمؤلفين ، وغيرها من المنظمات الشعبية يكشف عما لقيته الاتفاقية من تأييد .

ولابد من أن نلاحظ في أن هذه المنظمات وهي قائمة من سنين ومنتخبة هيئاتها الادارية في فترات زمنية مختلفة لم يسبق لها أن استقبلت حدثا قوميا بمثل ما استقبلت به هذه الاتفاقية من تأييد ودعم ، وكذلك فان استقبال الاتفاقية

من المنظمات القومية فى خارج القطر العراقى ومن ملوك ورؤساء الحكومات العربية وغيرها ، الامر الذى يكشف عن قدسية فكرة الوحدة لدى الجماهير العربية بهيئاتها المثقفة والعاملة ، وقبول اتفاقية السادس والعشرين .

أما الذين لم تقنعهم هذه الاتفاقية فيعود ذلك اما الى تطلعهم الى أكثر مما حققته من خطوات ، ورغبتهم فى ان يندفع الركب العربى الى وحدته بأقوى من هذا الاندفاع .

كما ان من الناس من لم ترقه الاتفاقية لمجرد أنها تحققت على يد حكومة لم يرتض سيرتها ، أو لم يرتض أشخاصها ، وهذا لا يعني في نظرى مساسا بقدسية الوحدة ، أو كراهية لها ، وانما يعنى أنها لم تتحقق في نظر هؤلاء على أيد جديرة بتنفيذ هذه الاتفاقية ، وهى وجهة نظر لا أناقشها لانها لا تمس صميم الوحدة .

أما خصوم الوحدة الحقيقيون بين العرب ، فهم آحاد من صنائع الاستعمار وهؤلاء في الغرب والشرق لا يرون بأسا في وحدة العراق مع الكومنولث البريطانى أو ضرورة الحاقه بالمعسكر الشيوعي ، أو حماية جبرية فى الافلاك التابعة لهذا أو ذاك وهؤلاء ليسوا أعداء الوحدة فحسب ، انما هم اعداء أنفسهم وابناءهم . ان قاعدة الوحدة العربية فى العراق هذه الملايين النازلة على ضفاف دجلة والفرات من اعالى النهرين حتى الخليج العربى .

أولئك المنتشرون فى الريف عربا أقحاحا ، والنازلون فى القرى والمدن عمالا وتجارا . واما الرافعون لهذه القاعدة والبالغون لكيان الوحدة فهى الطبقة المثقفة الواعية من محامين واطباء ومهندسين وضباط وجنود أصحاب المصلحة فى قيام هذه الوحدة .

نعم هناك جمهرة من الناس شغلتها ضرورات الحياة وتكاليف العيش عن ان تتبين ما فى الوحدة من مزايا للعراق وللامة العربية . هذه الفئة البريئة المخلصة على المقثفين أن ينشروا بينها الحقائق لتخلص الى الوحدة عن وعي وعن ادراك .

مقومات القومية العربية

الدكتور ابراهيم شوكة

للقومية العربية أسس تستند اليها هي مقوماتها منها المعنوية وفيها المادية قد تداخلت ببعضها بحيث يصعب الفصل بينها ولا ندرى اين تبدأ هذه أو تنتهي تلك ، فكلها تتظافر لبلوغ هدف واحد بأن تجعل من الشعوب العربية وحدة تسعى لغاية واحدة هي بنيان كيان موحد على أرضها •

واول المقومات اللغة وهى ليست كلمات أو اصوات انما وسيط لنقل الفكر والشعور وهى التى تقرر حدود الوطن العربى ووحدته الواقعية على خريطة العالم • هى فكر وهى عمل هى موطن جمال ووسط حس وناقلة احساس بالآلام والآمال وهى اداة للعمل والتعاون واداة تحديد للمفاهيم المشتركة التي تقارب ما بين الناس • فتحس أنت بواسطتها كما أحس أنا وتشعر بها أنت ما أشعر به أناه فهناك تماثل وانسجام وهناك فهم وهناك حس تتماثل كلها بين افراد الناس فتتقارب مشاعرهم وتتاآلف ارواحهم •

وثانيها التاريخ وقد يشبهه بعضهم بشعور الامة العربية واقول انه به ادركت الذات العربية ووجدت بواسطته مكانتها بين العالمين ومركزها من تطور الحضارة البشرية ومقدار اسهامها فى هذا التطور وهذا التكامل القائم اليوم • والتاريخ شعور يوحى بالثقة بالنفس يعطى الامة زخما قويا يدفعها للابداع ان كانت قد ابدعت فى الماضى وقد فعلنا ذلك •

والتاريخ خبر وعبر مادية ومعنوية وركاما هائلا من التجارب وحلولها هى متعددة الوجوه متباينة الاشكال • وجدت واثمرت فى ظروف مختلفة وادوار

متعددة فحلت بطرق وانماط وأساليب تنير لنا الطريق اليوم لنستوعب عظم مشاكلنا وتفتق امامنا حيل لحلولها .

ووجود هذه الخميرة الغنية هي التي تسرع دائما في انبعاث النهوض بالامم فالعريقة منها تسرع خطاها دائما لانها تستند الى ثروة تدعمها من التجارب والخبر فلا تكون مشاكلها القائمة جديدة ولا حلولها مستعصية فلقد دخلت الامة في هذا الامر طرق ودروب في ماضيها .

والتاريخ سلسلة من تفاعل الانسان بالزمان وبالمكان وفي الامة العربية المكان ثابت (هو الوطن العربي) الا ان المتغير الانسان والزمان وقد استمر التغير مسلسلا بحلقات نحن وارثو هذه السلسلة وصانعو آخر حلقة فيها ربطت في الماضي القريب واستعدت لتتلقى حلقة جديدة هي ما سيقوم به الجيل الطالع .

اى اننا نحن الآن - ابناء الامة العربية - نساهم بصنع تاريخنا القائم (والقادم القريب) فكل عمل وفكرة وكتاب ومحاضرة وحس في ألم وأمل يخرج الى حيز التأثير على الآخرين يعتبر اشراك الكل في صنع هذا التاريخ .

والمساهمة القائمة الفعالة في صنع التاريخ القائم يعتبر المقوم الثالث من مقومات قوميتنا العربية . ان كل فكرة أو عمل أو حدث يشرك ابناء الامة العربية الآن يعتبر من ناحيتهم مساهمة في صنع هذا التاريخ القائم .

وحدة الالم والامل والطموح دعامة رابعة من المقومات - فلا يحدث أمر أو يستجد شيء يؤثر سلباً أو ايجابا بأى جزء من وطننا الا ورأيت الاجزاء الاخرى تشعر نحو هذا الامر وكأنها قد نزل بها فلسطين ، بورسعيد ، الجزائر ، عمان ، عدن ...

يشعر كل عربي ما يشعر به أخوه في كل أمر مهما صغر كأنه قد صب في قالب موحد فهو يبكي ان ألمت به نازلة وينجدها ان استنجدت ويغنيها ان اصابها العسر . لقد تألم الناس في الوطن العربي لبورسعيد ومات منهم من مات وسقط من سقط برصاص والله يعلم ان اكثرهم لا يدري اين تقع بورسعيد ولكن

يعلم أن نازلة حلت ببنى قومه حسب ولذا فعليه الالزام أن يظهر ألمه ويجاهر بالحفاظ عليها وعلى أملها فى الحياة فيدفع الثمن راضيا وهو لا يجنى ثمرا فى الآن واللحظة . ولا يرتضى فى سبيل ذلك جزاءاً ولا حمداً .

الولاء خامس الاسس والمقومات . فالولاء للقوم والولاء للوطن والاستعداد للتضحية لهما لا لسواهما ـ من أهم ما يدعم المبدأ القومى واخطر الامور تشعب الولاء والشرك بالامة التى يجب أن ينصب عليها حب الفرد لوحدها . والولاء للامة لا يعنى ان لا يعطف على الآخرين أو يتجرد الانسان من شعوره الانسانى اى ان الحب للامة والولاء لها لا يعنى مقت الاخرين وكره العالمين .

الولاء للامة مسؤولية الحب لها تترتب عليها التضحيات باوسع معانيها وهذا يكسبها منعة فتصبح لا خوف عليها ولا يصيبها مكروه الا وتجد من يذود عنها بكل اسلحته ومعداته .

وللقومية العربية ميزة خاصـة لا ككل القوميـات ، فالاسـلام (دين الاكثرية) من مقوماتها ـ فالقرآن حفظ لها اول مقوم من مقوماتها ـ اللغة ـ وتأريخ الامة العربية يستحيل علينا فى اكثر ادواره ان نفصله عن الاسـلام ، وخلق العربى وما نشأ وشب عليه فى مجتمعه مستمد مما تعلمه من الاسلام وكذا قيمه الانسانية وقيمه الروحية فالمجتمعات العربيـة مجتمعات اسـلامية جعلت ممن لم يتعلم مثقفا له موازينه للفضيلة والرذيلة والخير والشر وله طرقـه فى التعامل مع الناس وسلوكه الفردي معهم كلها أوحت بها هذه التعاليم وكذا حدث عن آدابه ضمن هذا المجتمع . وهذا هو الواقع القائم .

هذه كلها هى مقومات القومية العربية قد تجمعت وتظافرت ونسجت للعرب ظروفهم لتدفع بهم نحو وحدتهم وجعلت من الوحدة حتمية تأريخية كنهر زاخر لابد له من ا يصل البحر ورسالة النهر أن يصله مهما وضعت من سدود وحواجز وعراقيل ولك من الفرات والنيل حقيقة .

العـــلاء بن الحضرمي

فاتح البَحَرْين[1] وجزيرة دَارِين[2]

الحاج محمود شيت خطاب

أهلـــه :

هو العلاء بن الحضرمي ، واسم الحضرمي والد العلاء هو عبدالله بن عماد ابن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عويف الحضرمي[3] ، لا يختلفون أن أباه من حضرموت[4] فنسب اليها : (الحضرمى) . سكن أبوه مكة المكرمـة وحالف حرب بن أمية والد أبي سفيان بن حرب[5] .

وكان للعلاء عدة أخوة : منهم ميمون الحضرمي صاحب البئر التي بأعلى مكة (بالآبْطَح)[6] يقال لها : بئر ميمون[7] مشهورة على طريق أهل العراق

---

(١) البحرين : هكذا يتلفظ بها في حالة الرفع والنصب والجر ، وهو اسم جامع لبلاد على ساحل الخليج العربي بين البصرة وعُمان ، قيل هي قصبة هَجَر ، وقيل هجَر قصبة البحرين . وسمي البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الاحساء وقرى هجر ، بينها وبين الخليج العربي عشرة فراسخ ، وسعتها : ثلاثة أميال في مثلها ، ولا يغيض ماؤها وماؤها راكد زعاق . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٧٢) .

(٢) الدارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند ، والنسبة اليها : داري . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢٥) .

(٣) الاصابة (٤/٢٥٩) وفي نسبة بعض الاختلافات . انظر أســـد الغابـــة (٤/٧) وطبقات ابن سعد (٤/٣٥٩) والاستيعاب (٣/١٠٨٥) .

(٤) الاستيعاب (٣/١٠٨٦) .

(٥) أسد الغابة (٤/٧) .

(٦) الأبطح : كل مسيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح . والابطح يضاف الى مكة والى (مِنى) لأن المسافة بينه وبينهما واحدة ، وربما كان الى (منى) أقرب . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٨٥) .

(٧) بئر ميمون : بئر بالأبطح قرب مكة حفرها بأعلى مكة في الجاهلية ميمـون الحضرمي ، وعندها قبر أبي جعفر المنصور . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٨) .

الى الحج ، وكان حفرها في الجاهلية[٨] . ومنهم عمرو بن الحضرمي ، وهو أول قتيل من المشركين وماله أول مال خمّس في الاسلام[٩] ، وقد قتله المسلمون في غزوة (نَخْلَة) . ومنهم عامر بن الحضرمي الذى قتل يوم (بدر) كافرا[١٠] . وأختهم : الصعبة بنت الحضرمي كانت تحت أبي سفيان بن حرب فطلقها ، فخلف عليها عبيدالله بن عثمان التيمي فولدت له طلحة بن عبيدالله[١١] أحد العشرة المبشرة بالجنة .

لقد كان العلاء من عائلة عربية عريقة ، سكنت مكة المكرمة وحالفت بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف[١٢] .

أسلامه :

أسلم العلاء قبل فتح مكة[١٣] ، فشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة ويوم (حُنين) . وقد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم منصرفة من (الجِعْرانة)[١٤] الى المنذر بن ساوَى العبدي بالبحرين ومعه كتاب يدعوه الى الاسلام[١٥] . وفي رواية : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلاء الى المنذر بن ساوَى العبدى قبل فتح مكة ، فأسلم المنذر وحسن اسلامه[١٦] ، وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه فرائض الصدقة في الابل والبقر والغنم والثمار

---

(٨) طبقات ابن سعد (٤/٣٥٩) والمعارف ص (٢٨٣) .
(٩) الاصابة (٤/٢٥٩) .
(١٠) أسد الغابة (٤/٧) .
(١١) الاستيعاب (٣/١٠٨٦) .
(١٢) طبقات ابن سعد (٤/٣٥٩) .
(١٣) طبقات ابن سعد (٤/٣٥٩) .
(١٤) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/١٠٩) ، وأنظر ما جاء حول ارسال العلاء الى المنذر في طبقات ابن سعد (٤/٣٦٠) .
(١٥) سيرة ابن هشام (٤/٢٧١) ، والبدء والتاريخ (٥/١٠٢) .
(١٦) سيرة ابن هشام (٤/٢٤٥) ٥

والاموال ، وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم فيردها على فقرائهم ، وبعث معه نفراً من المسلمين منهم أبو هريرة وأوصاه به خيراً(١٧) . وقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على (البحرين) ؛ فحمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة الف وثمانين ألف درهم من مال (البحرين)(١٨) .

لقد كان العلاء موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وقد نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهـــاده :

١ ـ في حرب الردة :

عقد الصديق أبو بكر لواء للعلاء وأمره بالبحرين(١٩) ، فقد مرض النبي صلى الله عليه وسلم والمنذر بن ساوى ملك البحرين في شهر واحد ، ومات النبي صلى الله عليه وسلم ومات بعده بقليل المنذر بن ساوى ، فارتد أهل البحرين(٢٠) كما ارتد غيرهم في سائر أنحاء شبه الجزيرة العربية ، فعاد العلاء الى أبي بكر وقد سبقته أنباء ردّة أهل البحرين .

وأرسل أبو بكر قادته لمحاربة المرتدين ، فعقد لواء البحرين للعلاء ، فسار اليها على طريق (الدهناء) وهي صحراء مخوفة خالية من الماء والمرعى ، فلاقى العلاء ورجاله مشقات كثيرة عند قطعها ، حتى أصبحت حياتهم في خطر عظيم(٢١) .

ولكن العلاء وصحبه تحملوا تلك المشقات بايمـــان وصبر عجيبين حتى أدركوا الجارود بن المعلى العبدى(٢٢) وقومه بنى عبد القيس الذين ثبتوا على

---

(١٧) طبقات ابن سعد (٤/٣٦٠) .
(١٨) اسد الغابة (٤/٧) . وانظر البدء والتاريخ (٥/١٠٢) حول المبلغ الذى حمله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين .
(١٩) الطبري (٢/٤٨٠) .
(٢٠) الطبري (٢/٥١٩) .
(٢١) ابن الأثير (٢/١٤١) .
(٢٢) الجارود بن المعلى العبدي : سيد بنى عبد القيس . قدم سنة عشر في وفد بنى عبد القيس الاخير فسر النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه . وكان حسن الاسلام صليباً على دينه . وقد قتل بأرض فارس سنة احدى وعشرين ، انظر التفاصيل في الاصابة (١/٢٢٦) .

الاسلام فحصرهم لذلك المرتدون وضيقوا عليهم الحصار .

واستنقذ العلاء المسلمين من بني عبد القيس ، فاجتمع المسلمون الى العلاء وخندق على قواته كما خندق المرتدون على أنفسهم أيضا ، فكانوا يباشـرون القتال في فتـرات استمرت شهرا ... وبينمـا كان الطـرفين على ذلك سمع المسلمون ضوضاء في معسكر المرتدين ، فأرسل العلاء رجلا يستطلع له خبرهم ، فعاد الرجل ليخبر العلاء : أن المرتدين سكارى ، فانتهز العلاء فرصة ذهبية سانحة وهاجم عدوّه ، فجعل المسلمون يقتلون ويأسرون المرتدين وفر بعضهـم الى (دَارِين) فهاجمها العلاء أيضا وفتحها بعد قتال شديد[٢٣] .

لقد كان للعلاء أثر كبير في قتال المرتدين من أهل البحرين[٢٤] .

٢ ـ بعد الردة :

فاز العلاء في قتال أهل الردة بالفضل ، فلما ظفر سعد بن أبي وقاص بأهل القادسية وأزاح الأكاسرة ، جاء بأعظم مما فعله العلاء ، فأراد العـلاء أن يحرز نصرا جديدا على الفرس لا يقلّ عن نصر سعد بن أبي وقاص عليهم دون أن يفكر في مغبة المعصية وأهمية الطاعة ، اذ كان عمر بن الخطاب ينهاه عن الغزو في البحر .

ولكن العلاء ندب الناس الى فارس فأجابوه ، ففرقهم أجنادا وحملهم في البحر بدون اذن عمر بن الخطاب .

وعبرت الجنود من البحرين الى فارس وتوجهوا الى (إِصْطَخر)[٢٥] ، فقطع الفرس عليهم طريق رجعتهم الى السفن واشتبكوا معهم في قتال شديد .

---

(٢٣) ابن الاثير (١٤٢/٢) ، وقد ذكر البلاذري ص (٩٦) : أن رجلا دلّ العلاء على المخاضة الى دارين . والظاهر أن المسلمين خاضوا اليها وقت الجزر ففتحوها. وهناك رواية أن دارين فتحت أيام عمر بن الخطاب .

(٢٤) أسد الغابة(٧/٤) .

(٢٥) اصطخر : بلدة بفارس ، سعتها مقدار ميل ، وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٦/١) .

ولما أراد العلاء الرجوع لم يجد الى الرجوع في البحر سبيلا ، لذلك عسكر العلاء بجيشه وأخذ يدافع دفاعا مسميتا !

وبلغ عمر بن الخطاب صنيع العلاء ، فارسل الى عُتْبة بن غزوان أمير البصرة يأمره بانقاذ جيش كثيف لانقاذ جيش العلاء بفارس قبل أن يهلك ، فأرسل عتبة جيشاً كثيفاً من اثنى عشر الفاً عليهم أبو سَبْرة بن أبى رُهْم ، فاستطاع انقاذ جيش العلاء من الفناء بعد قتال مرير[٢٦] .

لقد فتح العلاء بالرغم من فشله فى هذه الغزوة أسيافاً[٢٧] من فارس[٢٨] .

الانســـان :

استعمل النبي صلى الله عليه وسلم العلاء على البحرين ، وأقرّه أبو بكر خلافته كلها ، ثم أقره عمر بن الخطاب حتى توفى والياً على البحرين[٢٩] . وفي رواية أخرى ، أن عمر كتب الى العلاء يعزله ويتوعده لمخالفته في العبور الى فارس ، ويأمره بأثقل الاشياء عليه وأبغض الوجوه اليه : بتأمير سعد بن أبي وقاص عليه وقال : « الحق بسعد بن أبى وقاص فيمن قبلك » ، فخرج بمن معه الى سعد[٣٠] . وفي رواية : أن عمر ولاه البصرة بعد وفاة عتبة بن غزوان فمات قبل أن يصل اليها[٣١] . وأرجح الرواية الاخيرة ، لان عمر لم يكن ليبقيه في البحرين بعد فشله في غزوه لأرض فارس ، فلابد من عقابه على مخالفته الصريحة في ركوب البحر ، ولكن هذا العقاب لم يكن ليصل الى حد كسر عزة العلاء وتحميله من الأمر ما لا يطيق ، وذلك بجعله تحت امرة سعد بن أبي وقاص الذي كان العلاء ينافسه في خدمة الاسلام عن طريق الفتح ، فمن المعقول اذاً نقله من البحرين الى ولاية أخرى قريبة من البحرين هي البصرة ، فيكون ذلك عقاباً لا

---

(٢٦) الطبري (٣/١٧٦-١٧٩) وابن الاثير ٢/٢٠٨) .
(٢٧) اسيافاً : جمع سيف ، وهو ساحل البحر .
(٢٨) المعارف ص (٢٨٤) .
(٢٩) اسد الغابة (٤/٧) .
(٣٠) الطبري (٣/١٧٨) .
(٣١) الاستيعاب (٣/١٠٨٦) .

يرقى الى درجة الاذلال والانتقام اللذين كانا بعيدين عن خلق السلف الصالح من أمثال عمر بن الخطاب .

وكانت وفاة العلاء سنة احدى وعشرين للهجرة[٣٢] (٦٤١م) في طريقه الى البصرة بماء من مياه بني تميم[٣٣] يدعى (تِياس)[٣٤] .

لقد كان العلاء تقياً ورعاً ، ويقال انه كان مستجاب الدعوة[٣٥] ، وكان شهماً غيوراً صادقا وفيا ، روى أربعة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣٦] ، وكان أحد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم[٣٧] .

القائد :

لم يكن العلاء مضيباً في قراره الخاص بعبور البحر الى فارس ، لان اطاعة الأوامر أساس من أقوى أسس الجندية في كل زمان ومكان .

ولست أشك بتاتاً ، في أن العلاء أجتهد فأخطأ ، وأن نيته سليمة تتجه بكل طاقاتها لخدمة الاسلام والمسلمين – ومن طاقاتها سلوك طريق التنافس الشريف في الفتح ؛ الا أن ذلك كله لا يبرر مطلقاً مخالفته للأوامر الصريحة الصادرة اليه من عمر بن الخطاب بعدم ركوب البحر .

---

(٣٢) جاء في الاصابة (٢٥٩/٤) وأسد الغابة (٧/٤) والاستيعاب (١٠٨٦/٤) ، بأنه توفى سنة أربع عشرة ، وقيل سنة احدى وعشرين . وانني أقطع بأن وفاته كانت سنة احدى وعشرين للهجرة ، لان عبوره الى فارس جرى سنة سبع عشرة للهجرة . راجع الطبري (١٣٦/٣) .

(٣٣) الاستيعاب (١٠٨٦/٣) .

(٣٤) تياس : ماء للعرب بين الحجاز والبصرة . وقيل : جبل بين البصرة واليمامة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٨/٢) . وانظر المعارف حول موت العلاء بهذا المكان ص (٢٨٤) .

(٣٥) الاستيعاب (١٠٨٧/٢) والمعارف ص (٢٨٤) .

(٣٦) أسماء الرواة – ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٩٠) .

(٣٧) ابن الاثير (١١٩/٢) والسيرة الحلبية (٣٦٤/٣) .

ولكن هذه المخالفة بالذات ، تدل على حب العلاء للمسؤولية واقدامه على تحملها كاملة حتى تجاه قائد قوى غاية القوة مثل عمر بن الخطاب •

لقد كان العلاء ينافس سعداً فى ميدان الفتح ، فاين ينافسه اذا لم يعبر البحر الى فارس ؟ ان العراق قد فتحه سعد فذهب بفخره وأجره ، والبلاد العربية في جنوب البحرين تدين بالاسلام ؛ فليس للعلاء مجال يظهر فيه جهاده وجهوده غير بلاد فارس ؛ ولكن كان عليه أن يحصل على موافقة قائده الأعلى عمر ابن الخطاب الذى كان أعرف بالظروف المناسبة لخوض المعركة في فارس ، والذى كان يحرص على اعداد كافة متطلباتها المادية والمعنوية قبل الاقدام على خوضها ، وبذلك يضمن لجيوشه النصر المبين •

لقد كان العلاء مقداماً شجاعاً ذا ارادة نافذة وشخصية قوية ، يثق بقطعاته ويحبهم ويثقون به ويحبونه ، له ماض مشرف مجيد •

وكان في معاركه يطبق مبدأ (المباغتة) أهم مبادىء الحرب على الاطلاق : مباغتة بالمكان كما فعل بعبور صحراء الدهناء ليصل البحرين باسرع وقت ممكن من اتجاه لا يتوقعه المرتدون ـ بالرغم من أخطار عبور الصحراء ؛ ومباغتة في الزمان ، كما فعل في مهاجمة المرتدين من أهل البحرين في وقت لا يتوقعونه •

العلاء في التاريخ :

يذكر التاريخ للعلاء سفارته بين النبي صلى الله عليه وسلم وملك البحرين المنذر بن ساوى ونجاحه في سفارته ، مما أدى الى اسلام ملك البحرين وأهل البحرين •

ويذكر له انتصاراته الحاسمة على أهل الردة في البحرين على الرغم من رصانة قوتهم لاعتمادها على معاونة الفرس الذين ساعدوا المرتدين مادياً ومعنوياً

وشجعوهم على الردة ، وبذلك حرم الفرس من موطىء قدم مهم لهم في الخليج العربي يعتبر الخط الدفاعي الامامي عن العراق وبلاد فارس .

ويذكر له أنه كان أول قائد مسلم بعث قائدا مسلماً في البحر للفتح(٣٨) ، فعرف العرب السفن وركوب البحر وكانوا لا يعرفون غير الابل سفن الصحراء .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، العلاء بن الحضرمي بن الحضرمي .

---

(٣٨) أرسل العلاء عرفجة بن هرثمة البارقي بحراً لفتح بعض جزر الخليج العربي وبعض مناطق خوزستان . انظر التفاصيل في ترجمة عرفجة بن هرثمة البارقي في الجزء الاول من قادة الفتح الاسلامي عن : قادة فتح العراق والجزيرة.

مكتبة الكتاب

باشراف عبدالله الجبوري

مع الشعر العراقي

ثلاثة دواوين لهلال ناجي

هلال ناجي شاعر عراقي ثائر ، عرفته بيئاتنا الأدبية في مصر منذ ثلاثة أعوام • والذي يقرأ دواوينه الثلاثة « أغنية حزينة الى كركوك » و « ساق على الدانوب » و « الفجر آت يا عراق » يستطيع بسهولة أن يحس الثورة الحادة تجتاح كل شعره ، وتستغرق أكثر الدواوين الثلاثة • ثورة الشاعر على الأوضاع الطبقية في الوطن العربي ، وثورة الشاعر الشاب على الاستكانة التي كانت تخيم على الوطن العربي أيضا •

ولكن هل تكفي الثورة بالهام الشاعر أم لابد من الصناعة الشعرية المتأنية للابداع ؟ لا شك أن صدق الاحساس عامل أصيل من عوامل التأثير في نفس القارىء ، ولكن عمق التجربة ونضجها هي سر الابداع • ومن هنا كانت القصائد الناجحة في الديوان ، وكانت أيضا القصائد غير الموفقة ، لأن الفترة بين صدور الديوانين الأولين عام ١٩٥٩ ، وبين صدور الديوان الثالث عام ١٩٦٢ ، فترة قصيرة لم يتهيأ للشاعر فيها أن يطوّر صناعته الشعرية •

ظاهرة ثانية في الديوان تستدعي الوقوف أمامها ، وهي حيرة الشاعر بين الاطار الشعري الجديد أو ما يسمى بالشعر الحر وبين الاطار المحافظ الموروث • والشاعر ثائر على القيود ـ كل القيود ـ كما قلنا ، يحس بانطلاقة

مع النغم الحر ، ويحس بقيده مع البحور العروضية فيضطر للتنويع في الاوزان بالنسبة للقصيدة الواحدة ، وكان نجاحه في هذه المحاولة لا يزيد عن نجاح من سبقوه •

ومن القصائد الرائعة التي أتخذت الاطار الحر والبناء الدرامي وسيلة للتعبير ، قصيدة « بطاقة عيد الى أخي » • والقصيدة رسالة أرسلها الشاعر الى أخيه في العراق وتنقسم الى ثلاثة أقسام • يبدأ القسم الأول متدفقا بأحاسيس الشاعر الذي يتحرق شوقا الى لقاء الأحباب في العراق ، وتسقط دمعة على كلمات الرسالة ثم تنداح حتى لا تبين الكلمات • ثم ينتقل الشاعر الى القسم الثاني من رسالته وهو يعلم أن الاطفال هناك لابد سائلة عنه ملحة في السؤال ، فليقل لهم أخوه أنه سافر وسيعود « عندما يأتي الربيع » فيزيح عن الوطن ثقل الشتاء الكئيب • فاذا ما أتى الربيع وتخلف الشاعر وقلقت العيون الصغيرة فليقل لهم انه سيعود « عندما يأتي الشتاء » فتهب العواصف قوية ، عندئذ سيعود مع ليالى السمر • وينتقل الشاعر بنا بعد ذلك الى الجزء الثالث من الرسالة ، عندما تمر الايام ولا يعود ويلوح على وجه الصغار احساس حزين باليتم ، تنم عن عيون لم تعرف الذل من قبل ، فان وصيته ألا يدع أخوه عبراتهم ـ عبرات أبناء الشاعر الصغار ـ تنحدر الى الأرض ذلة وانكساراً •

والتجربة ناضجة عاشها الشاعر واختمرت في حنايا نفسه فانطلق معبرا عنها في صورة هذه الرسالة ، انطلق كما أقول متخذا الشعر الحر الذي يعد الاطار الصالح للرسائل ، ولا يدفعه قلقه الدائم ولا تدفعه ثورته الى الانتهاء من رسالته في عجلة واسراع ، ولكنه يتخذ البناء الدرامي الذي تتكامل به مشاهد القصيدة لتعبر عن تكامل في تجربته الناضجة • وينبغي ألا تحسب أن الاطار الحر وحده هو العامل المهم في نجاح قصائد الشاعر ، ولكنه نضج التجربة كما قلت هو سر الابداع • فمن قصائد الشاعر التي اتخذت الاطار الحر واندفع اليها مع حماسة دون أن يتأنى قصيدته « تحية الثورة » التي نحس فيها الشاعر يحاول جاهدا أن يتخلص من التقريرية ولكن حماسته الغلابة تقوده اليها ، بل يحاول جاهدا أن يتخلص من الخطابة فيتخذ الاطار الحر ، ولكنه لا يلبث أن يعود خطيبا في نفس القصيدة فنسمع الألفاظ التي تملأ الفم ونجد

التفصيلات متساوية في كلا الشطرين والقافية واحدة في كثير من الأحيان • ثم لا تخرج القصيدة في النهاية عن كونها تجربة لم تكتمل حتى في اطارها ، أشبه بمزق من جريدة تتحدث عن النبأ الذي تفجر في اصطخاب ، وعن قصر حماسة شاعرنا اذن ، وعدم صبره على التجربة حتى تنتج في بعض الأحيان ، الرحاب الذي اندك ، وعن الشعب الذي أذله الطغاة فاذا بجبينهم تحت النعال• النفس ، مترابط الأحداث ، بل قد ألجأته أحيانا الى أن يلتقط كلمة ناشزة واعتماده على الالهام وحده ، هي التي أوقعته في الخطابة والتقريرية ، وألجأته الى ضرورات شعرية كنا في غنى عنها ، وجعلت حروف العطف عنده حروفا ميتة ، تتتابع معها مترادفات بدلا من أن تعكس صوراً أشبه بشريط متصل يكمل بها البيت ، أو الى أن يستعمل تشبيها بلفظة مرت على خاطره لحينها مثلما نلمح ذلك في « ساق كالغدير » أو « اسم يفوح كعذب أسمارى » أو غيرهما مما يكاد يستحيل معه وجه الشبه •

والواقع أن الشاعر محتاج الى التأني في اخراج تجاربه ، أكثر من حاجته الى غنى التجارب نفسها ، فقد أثبت لنا أن أدواته الشعرية ، حتى حين يستخدمها لبناء قصيدة لم تكتمل تجربتها ، يستطيع بهذه الصناعة أن يتفوق على عنصر الالهام ، مثلما نجد ذلك في قصيدته « بغداد » التي تدور حول حب الشاعر لموطنه الجميل • ولا يتعدى هذا الجمال أمواج دجلة التي تستحم فيها النجوم والورود على الحوافي تنثر العبير على طول الدرب ، ومناظر طبيعية حُرم من رؤاها الشاعر ، ومع ذلك فصور القصيدة الفنية ، قد ارتفعت بقيمتها الفنية ارتفاعا كبيرا •

ومن خلال هذه الزاوية أيضا نستطيع أن ننظر الى كثير من القصائد الغزلية ، فحماسة الشاعر الثائر تلون تلك القصائد بألوان صاخبة ، فحبيبة « غيمة صخابة الرعود » ، وهو لا يستطيع أن يمنح فؤاده لحساب الغرب ، بل « ليس يهوى الخلد ان لم تحو دنيا عربية » كأنما استحالت المرأة عنده رمزا للأمل العربي الذي يلوح للشاعر حينا ثم لا يستطيع أن يناله في بعض الأحيان ، كما فعل الشعراء الرومانتيكيون مع الفارق الشديد بين نظرتهم المسرفة في الخيال ، ونظرة شاعرنا المسرفة في الواقع •

وهناك ظاهرة أخرى لابد من الاشارة اليها ، ففي ديوانيه الأولين ، كتب الشاعر قصائد لها دلالات رمزية ، وان كان الرمز هنا غير الرمز المعروف عند الأوربيين ، ولكن المقصود أن لها ايماءاتها الخاصة مثل قصيدة « جمل » التي يتحدث فيها عن محبسه الرهيب وحده في حدائق الحيوان « بفيينا » ، وعن مقلته المغرورقة بدموع الغربة ، أو مثل قصيدته « قرية التسعين » بلدة الكروم والطيور والينابيع المتدفقة ، التي يسير بها « مالك الحزين يخوض في الجدول ، يبحث عن فتات خلّفه معول » • ولكن الرياح العاصفة لا تذرو الا الرماد • وهي انطباعات ثرية الايماءات ، فالشاعر في القصيدة الأولى يعبر عن غربته مع رفيقه العربي في الشمال ، وفي الثانية يتخذ « مالك الحزين » رمزا لشعب حزين يعيش في الأرض التي لم يخلف بها الطغاة الا الخراب ، ولكن هذا اللون اختفى تماما من ديوانه الثالث ، بعد أن استبدت الثورة بالشاعر ولم يعد يحس الا بها تطأ واقعه •

ولو تأنى الشاعر في بعض تجاربه ، فان له من قوة الالهام ، ووفرة التجارب وثراء اللغة وقدرة الصناعة ما يخلص شعره من كل الهنات الصغيرة ، ويرتفع به الى درجة كبيرة من الرقي الفني •

دكتور ماهر حسن فهمي
مدرس بجامعة عبد شمس ـ كلية البنات
مصر الجديدة ـ القاهرة

شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات

كتاب أصدرته دار المعارف في سلسلة ذخائر العرب العدد ـ ٣٥ ـ لأبن الانباري اللغوي النحوي المفسر المتوفى سنة ٣٠٤ هـ • ويعد ابن الانبارى من أبرز علماء عصره وأوسعهم معرفة بالعربية وأسرارها كما يعد رئيس نحاة الكوفة بعد استاذه ثعلب •

يقول أبو علي القالي (كان ابن الانباري يحفظ ثلاث مئة بيت شاهداً في القرآن ـ) هذه شهادة امام من أئمة اللغة تخرج على ابن الانباري وأخذ علمـــــه ـ •

وقال ابن النديم في كتابه الفهرست ١١٢ ـ (كان افضل من ابيه واعلم في نهاية الذكاء والفطنة وجودة القريحة وسرعة الحفظ وكان يضرب به المثل في حضور البديهة وسرعة الجواب واكثر ما يمليه من غير دفتر ولا كتاب) •

وقال الازهري في مقدمة معجمه تهذيب اللغة ان ابن الانبـــاري (كان واحد عصره واعلم من شاهدت بكتاب الله ومعانيه واعرابه ومعرفـة اختـــلاف أهل العلم في مشكله وله مؤلفات حسان في علم القرآن ، وكان صائناً لنفســـه مقدما في صناعته معروفاً بالصدق حافظاً حسن البيان عذب الألفاظ لم يذكـر الى هذه الغاية من الناشئين بالعراق وغيرها أحد يخلفه أو يسد حده) •

وله في اللغة والنحو والتفسير والادب كتب قيمة منها :

الأضداد في اللغة وقد طبعه هوتسما في ليدن ١٨٨١ ثم أعيد طبعه في القاهرة سنة ١٩٠٧ ثم قام بتحقيقه الاستاذ ابو الفضل ابراهيم وطبع في الكويت ١٩٦٠ طبعاً أنيقا على ورق صقيل ومشكولا شأنه شأن كل الكتب المطبوعـة في الكويت روعة في الطباعة واتقاناً في التحقيق ودقة في الشـــرح والضبـــط والفهارس •

وله : شرح الكافي في النحو وشرح المفضليات نشره كارلوس يعقوب لايل سنة ١٩٢٠ وله كتاب في غريب الحديث وقد ذكرت كتب التراجم ان لابن الانباري سبعة وعشرين كتابا لم يطبع منها الا القليل •

وكتاب شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات من أنفس الشروح لهذه القصائد المشهورات ، شرح النص وابرز معناه واعرب ما اشكل من اعرابه من غير اطالة ولا اسهاب ولا تعرض لاختلافات النحويين . وأوضح ما ورد في النص من أيام العرب وحروبها وشرح النواحي التأريخية والانساب والاماكن بحيث لا يترك فائدة توضع النص الا واثبتها - كما يعقد المقارنات الادبية والمعاني الواردة في الشاهد والآيات القرآنية اما الشواهد النادرة التي زخر بها الشرح واكمل نواقصها المحقق عبد السلام محمد هارون وعزاها لقائلها فهي وحدها تكون ثروة ادبية رائعة لا يعثر عليها قارىء في كتاب آخر ، فجاء هذا الشرح لهذه المذهبات أساساً ومرجعاً للشروح التي جاءت بعده ، **واشهر الشراح للمعلقات أو القصائد الطوال كما كان يلقبها شراحها - هم :**

١ - ابو بكر محمد بن القاسم الانباري سنة **٣٢٨**

٢ - ابو جعفر احمد بن محمد النحاس النحوي **٣٣٨**

٣ - ابو عبدالله الحسين بن احمد الزوزني **٤٨٦**

٤ - ابو زكريا يحيي بن على النبيريزى **٥٠٢**

٥ - الشيخ مصطفى الغلاييني في المعلقات العشر مع اخبار اصحابها نشره سنة **١٩١٣**م

٦ - واخرج الدكتور بدوي طبانة دراسة نقدية مع الشرح سنة **١٩٥٨**

مما تقدم يتضح للقارىء الكريم ان ابن الانباري كان أقدم الشراح لهذه المشهورات فيما وصل الينا وقد يظهر في المستقبل بين المخطوطات كتاب أو مؤلف أقدم منه .

والقصائد السبع الطوال عرفت عند بعضهم (بالمذهبات) وعند الآخرين (بالمشهورات) وسماها آخرون بـ (المعلقات) وعرفت عند بعضهم بـ (السموط) وسواء أصح تعليقها على جدر الكعبة كما يرى حماد الراوية وابن عبد ربه في العقد وابن رشيق في العمدة وابن خلدون في المقدمة والبغدادي في الخزانة أم لم يقع التعليق كما يرى ابو جعفر احمد بن محمد النحاس ولم يسمها شراحها القدامى بهذه التسمية (المعلقات) فهي المذهبات والمشهورات

والطوال التي رواها حماد الراوية وأقبل عليها طلاب الادب واللغة يتداولونها على أنها خير ما يمثل الشعر الجاهلي .

وهذا مثل من شرح ابن الانباري لبيت من مطولة امرىء القيس - أثبته ليستبين القارىء طريقة المؤلف في شرحه القيم .

٢٤ « تجاوَزْتُ أحْراساً اليها وَمعشَراً
علَيَّ حِراصاً لو يُشْرونَ مَقْتَلي

ويروى (يُشرون مقتلى) بالشين أى يظهرون يقال أشررت الشيء اذا أظهرته قال الشاعر يذكر أصحاب على رضي الله تبارك وتعالى عنه :

فما برحوا حتى رأى الله صبرهم
وحتى أُشْرِرَتْ بالاكف المصاحفُ

يريد حتى أظهرتُ . ويروى « تخطيت أبوابا اليها ومعشراً » والاحراس جمع الحرس . وقوله (ومعشراً) يريد قومها يقول : تجاوزت اليها اعداءً يتمنّون قتلى لو وصلوا اليه ، وقال ابن السكيت هذا مثل قولك هو حريص عليَّ لو يقتلني ، وقال غيره معنى قوله (لو يُسرّون مقتلى) هم حراص على اسرار قتلي وذلك غير كائن لشرفي ونباهتي وموضعى من قومى ويقال اسررت الثوب اذا شرّرته واظهرته ويسرون حرف من الأضداد يقال اسررت الشيء اذا اخفيته واسررته اذا اظهرته قال الله عزَّ وجل (واسروا النجوى الذين ظلموا) معناه واظهروا النجوى ذكر ذلك أبو عبيدة واحتج بقول الشاعر :

ولما رأى الحجاج جرَّد سيفه
اُسرَّ الحروريُّ الذي كان أظمرا

معناه أظهر الحروري . وقال ابو عبيدة في قول الله عزَّ ذكره (واسروا الندامة لما رأوا العذاب) معناه واظهروا الندامة وكان الفرار يذهب الى أن المعنى واخفوا الندامة من السِفلة الذين أضلوهم . والاحراس منصوب بتجاوزت

وواحدهم حرس • واليها صلة تجاوزت والمعشر منسوق على الاحرس والمعشر جمع لا واحد له من لفظه وكذلك النفر والقوم والرهط والغنم لا واحد لهذه الجموع من لفظها •

وحراصا نعت للمعشر وعليَّ صلة حِراص ومعنى لو يسرون ان يسروا ، وأن تضارع (تشابه) لو في مثل هذا الموضوع يقال وددت أن يقومَ عبدالله ووددت لو قام عبدالله الا أن لا يرتفع المستقبل بعدها بالزيادة التي في اوله وأَنْ تنصب الفعل المستقبل قال الله عزّوجل (ايود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل واعناب) فجاء بأن ومعنى (ودّوا لو تدهنُ فيدهنون) ودّوا ان تدهنَ فيدهنون ومقتلي موضعه نصبٌ بيسرون •

انها لعمري طريقة يفيد منها اللغوي والنحوى والأديب لما احتوى شرحه من اللغة والنحو والشواهد والمقارنات والمعاني بين الشواهد والقرآن والشعر ولا أعدو الحق حين أقول انه ثروة ضخمة أضيفت الى المكتبة العربية ولعلي في هذا التعريف المقتضب قد نبهت عشاق العربية الى هذا الكنز الثمين •

جمال الدين الآلوسي

● ●

شاعرية يوسف عزالدين

تأليف الاستاذ : خضر عباس الصالحي

(الكلمة التي ألقاها الاستاذ مصطفى السحرتي رئيس رابطة الأدب الحديث في الندوة التي أقامتها لمناقشة هذا الكتاب) .

تناول مؤلف هذا الكتاب شعر الدكتور يوسف عزالدين في دواوينه في ضمير الزمن ـ والحان ـ ولهات الحياة .

والدكتور يوسف عزالدين الذى عمل استاذا للادب الحديث في جامعة بغداد وأمينا عاما للمجمع العلمي العراقي ، ثم مديرا عاما للصحافة والارشاد في وزارة الارشاد العراقية بعد ثورة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ واعتذر عنها ليتفرغ لعمله الجامعي . وكان مدرسا في احدى قرى العراق ، ولكنه تمكن بعزيمته وتطلعه المحموم ، الى نيل ليسانس الاداب من جامعة الاسكندرية في عام ١٩٥٠ ونال الدكتوراه من جامعة لندن . وساح في كثير من بلاد اوربا ، فازداد تجربة وسعة أفق . وهو مثال للعربى الحر المجاهد المؤمن بالوحدة والعروبة . وقد زج من اجل ايمانه بالوحدة العربية في السجن ايام نورى السعيد .

وعاش هائما بحب مصر ، فهو خير سفير لبلاده بها ، واكثر غرامه بثغر الاسكندرية الساحر وفيه تغذى وجدانه واقتاتت عواطفه بأحلى زاد ، لقد سحر قلبه بالفاتنات الساحرات ، وما أدراك ما هن ، وبخاصة عيونهن المماثلة لمياه البحر الصافية . ففي الاسكندرية اصطدم قلبه بصاعقة الحب ، وكان أول حب له وقع مصادفة ، فعندما كان يمر تحت احدى الشرفات ، فى ليلة مقمرة أنس ثلاث فتيات ، وشدت نظره احداهن ، وكانت تلبس رداء أسود فسمعها تطلب الى اختيها ان تلقيه بالحصى ، فسرى فى قلبه نحو لابسة السواد شوق وسألهن وهن يتضاحكن ، عن سبب القاء الحصى عليه ، فقلن : لكي يكون الحديث تذكارا ، وسجل ذلك في قصيدته (تذكار الهوى) التي جاء فيها ، مشيرا الى لابسة السواد :

وبكفها نحوي أشارت بغتة — فكأنما ـ في الحب ـ تطلب ثارا
فأجبتها مسكين اني مغرم — لم أجن ، في هذى الدنا ـ أوزارا
فاذا بهن يقلن بعد تضاحك — ليكن لنا ضرب الحصى تذكارا

والدواوين الثلاثة التى تحدث عنها (الصالحى) كما بدا لنا من قراءة كتابه ، تدور قصائدها كلها ، حول الشعر الغزلى والوجداني ، وليس بها من الشعر الوطنى الا قصائد قليلة . وقد ذكر لنا المؤلف ان للدكتور عزالدين شعرا وطنيا لم ينشر ، وكنا نود ان نطلع عليه ليكون حكمنا على شعره حكما ادنى الى الدقة والشمول . وشعره الغزلى في هذه الدواوين ، شعر متطور ، بلغ نضجه في ديوانه الاخير (لهاث الحياة) .

واذا كان (الصالحي) قد اضفى على شعر الدواوين كلها الثناء ، وأعلى من شأن كل القصائد ، بل غالى في امتداحها فان هذه الظاهرة تدل دلالة أكيدة على ان الصالحى اديب يفسر نفسه الكريمة السمحة ، فليست القصائد في مستوى جيد كلها بل هى متفاوتة في الجودة ، والكثير منها لم يصل الى هذا المستوى . ولكن (الصالحي) سبح بحمدها ، وسبح في نعتها سبحات طويلة ، تذكرنا بأخينا عبدالمنعم خفاجى عندما تهزه الاريحية ، فيفيض ويفيض في الثناء على أعمال الشعراء .

واشهد ان أخانا الصالحي له قدرة باهرة فى الاعراب عن ثنائه ، وله قلم مطواع ، لا اعرف نظيرا لطواعية لغته في هذه الناحية .

فكتابه ، الذى بلغ المئة صفحة وسبع وعشرين ، هو تقدير لشاعرية الدكتور عزالدين ، تقدير بلغ حد الغلو ، ولم يجد في شعر الشاعر الا هفوتين ، بل ثلاثا ، ذكرها في آخر الكتاب .

منها ما جاء في ص ١٠٥ ، اذ قال :

(وهذا الرصيد الضخم من الابداع في الشاعرية لا يمنعنا من تسجيل بعض الهفوات التى مرت علينا من خلال مطالعاتنا للديوان فقد قال الشاعر :

وأرفقي في شاعر تؤلمه ذكريات ما مشت في خاطر

والصحيح وارفقى بشاعر . واذا جاوزنا هذه الهفوة . وجدنا المؤلف يقف عند البيت التالى وقفة خاطئة . والبيت هو :

فودعتني بعد يأس اللقا وعينها تهتف بى ياغبى

فيقول المؤلف :

(وأنا لا ارضى له ان يصف نفسه بالغباوة ، وهو الكاتب اللامع والشاعر الملهم الذي أحرز شهادة الدكتوراه في الادب ، وكان في سن مبكره ، وان الغبى لا يستطيع أن يؤلف كتبا قيمة من أمثال (الشعر العراقى في القرن التاسع عشر) والشعر العراقي الحديث ، وأثر التيارات السياسية والاجتماعية ، وثلاثة دواوين .

واراد المؤلف ان يتعالم ويصحح البيت ، فقال ، وكم هو جميل به لو قال :

فودعتني بعد ياس اللقا وعينها تهتف بي يا أبي

وهذا التصحيح يتنافى مع قصد الشاعر في هذه القصيدة الرائعة ، والتى تعد فى رأيى (أروع قصيدة له وتقف شامخة برأسها فى دواوينه كلها) ٠

مع ان المؤلف لم يحتف بها ، كما احتفى بأخوات لها ، تقف عند اقدامها ٠ والقصيدة بعنوان (انكليزية سكرى) وقد جرت في روعة وطلاقة كالآتي :

في غربتي بعد نضوب الهوى وبعد أن ماتت اغانينا
جاءت يفوح الوجد فى عطرها زوبعة غنت أمانينا

◉ ◉

ترف كالحلم بعين الرؤى ضاغطة رغبتها العارمة
تعربد الخمرة في عينها معلنة رغبتها الكاتمة

◉ ◉

اذهلني منها سعار الهوى ذهلت من أعصارها المرعب
فودعتني بعد يأس اللقا وعينها تهتف بى : يا غبي !

وتلحظون ان لفظة (يا غبي) هي الكلمة الواجبة المعبرة عن هذا الموقف ، ولن تقول المرأة فى سخطها ، على الرجل (يا ابى) ولعل المؤلف يقصد هنا الاباء ، فهذه الكلمة لن تطوف برأسها بتاتا في مثل هذا الموقف ٠

وقد وفق المؤلف في بعض حديثه عن مكانة الشاعر بين الشعراء ، فذكر في ص ١١١ ، ان شعره في الدواوين كان متفاوتا **وان شعره الغزلى فى بلدته بعقوبة وفى الاسكندرية كان عفيفا وعذريا وصادقا ٠ وانه يجنح فيه الى الحنان والهدوء والابتسام ٠** (ص ١١٣) ٠

ويقول : انه لما أتاحت له الظروف ، العيش فى اوربا ، لم يلبث ان تغيرت نظرته الى الحياة ، واصبح اكثر التصاقا بالواقع ، وصار شعره يتصف بالواقعية (ص ١١٥) وهذه أحكام موفقة وصائبة ، لمسناها من النماذج التى أختارها المؤلف ٠

فاذا عدنا الى ديوانه ـ فى ضمير الزمن ـ والحان ـ وجدنا قصائد مجنحة ووجدنا الشاعر يحتفي بالعيون والبسمات ، ديدن الرومانتيكي المدنف ففى قصيدته ـ فاتنة العيون ـ بالديوان الاول يقول :

ان في عينيك يا قاتلتي خمرة تلهب في الاحساس وجدا
كلما أمعنت في سحريهما خفق القلب جنونا وتردى

ثم يعود الى العينين مرة ثانية فيقول :

هدئي روعك يا فاتنتي وارفقي بالخافق المضطرم
ان في عينيك سحرا كامنا وسرى سحرك في قلبي الظمي

وفي قصيدته ـ العينان المسحورتان ـ بديوانه الثاني يقول :

رفقا بنا يا (ليل) رفقا بنا ما قلبنا غير حطام المنى
عيناك يا (ليلاي) مسحورة فليحفظ الله لنا الاعينا

وهو في احتفائه بالعينين ، يكرر الاحتفاء بالابتسامة ، شأن العذريين فيقول ، في قصيدته (رنمي لي) بديوانه الاولي :

رنمي لي من لذيذ النغم غنوة تجلو مرير الالم
رنمي لي من أغاريد الهوى نغمة واحدة وابتسمي
قد سمت انفسنا في صورة بعفيف الحب بين الانجم

وفي قصيدته (ابسمي) بديوانه الثاني يقول :

ابسمي لي ، فقد سئمت حياتي تتلظى بجاحم الزفرات
واملأى قلبي الحزين سرورا فسينسي الاحزان بالبسمات
تاه عني السرور في مفرق الفجر وولى في غصة الغصات
أنا لم أسأل الحياة هموما فعلام الهموم تملأ حياتي
ابسمي لي ، يا منية القلب يوما ، تمنحي القلب أجمل الامنيات

وفي ذلك يقول في قصيدته : (ضحكة وضحكة) :

ماتت الضحكة الطرية من فيك فلا تركني الى المستحيل
وذوى حسنك البهيج وولى لن يعود الشباب بالتجميل
لم يعد صوتك الحنون حنونا بل غدا بحة لكل عويل
يا سعار الآلام في الافق الباكي ويا دمعة الفؤاد الذليل
راح وحي القريض عنك وولى ليس يوحي القريض غير الجميل

ولكن الشاعر المحب الذي خاب في حبه ، لم يفعل المحب كما يفعل الخائب في حبه ، فيعود الى أمه الارض ، أو يشجع نفسه أو يلوذ بالانتقام ولكنه اعتصم بقوة ارادته وعلو همته ، واعتد ما وقع له تجربة من تجارب الحياة ، وارتفع على آلامه واحزانه ، وهذا مثال طيب للشباب وقد عبر عن ذلك في قصيدته (دع الاحزان) قال :

خليلي .. دع الاحزان والهم جانباً فان فؤاد الحر بالهم ينقد
لقد لج دمعي مذ تناءت ديارهم فلم يشف ، وجد النفس قربولا بعد
فهل مسعدي في الحب نغبة شارب وقد ولت الاحلام وانفرط العقد

ألم تدر أن القلب صدع بالنـــوى غداة رمتني بالنوى بغيتـي دعـــد
فدع عنك ذكرى الغيد والحب والهوى مخافة أن يؤذيك ـ ان تعشق الوجد
فلا تحسبن عهد الحسان مقدســـا فان فتاة العصر ليس لها عهــــد

وهكذا سار الشاعر فى طائفة من قصائده ، مترنما بحبه الذي اضفى عليه الفرحة والحنان والامن والسلام ، ولكن هذا الحب لم يستمر ، وقوبل بالجفاء ، مما بعث فى نفسه الحزن والاسى ، والضياع فى بعض الاوقات ، وقد عبر عن هذه الحالة النفسية في بعض قصائده ونذكر منها قصيدته (الاوتار الرعشاء) التي جاء فيها قوله :

أنـــا ..
من أنا .. لا تسألني من أنا !
قد كنت مثـــل الحب مثل شبابنا
الشـــعر يشـدو غنوتي نغمـــا يموج بحبنـــا
أنا همســــة الاحزان وقعها الضنى
وعلى رنـــين الحـــزن في أفق السـحابة ســـرنا

ولقد أحال حزنه ، الجمال قبحا وما كان يراه فى الحبيبة من حسن بهيج، وصوت حنون ، صار بعد الجفوة قبيحا ونشازا ، ولم يعد الحب يوحي اليــه بالشـــعر .

ومع هذا ، فلم تبارح جمرة الحب قلبه ، وعاد اليه ، كما عاد اليه جده الشاعر العربي ، الذى أبدع في الاعراب عن لهفات قلبه في قوله :

ألست وعدتني يا قلـب انـــى اذا ما تبت عن ليلى تتـــوب
فها أنا تائب عن حب ليـــلى فما لك كلما ذكرت تـــنوب

عاد الى مغامرات الغرام فى لندن ، ولكنه تعلم من التجربة الخيالية الاولى ، فوقع كما يقول الصالحي في شباك كثيرات من الغيد الحسان وقد سبر غورهن ، وفي ديوانه لهاث الحياة قصائد كثار تسبح بالحبائب ، وهي قصائد ليست مسرفة في العاطفة ، كقصائده الاولى ، بل هى واقعية في تعبيرها ، وجلها نامة على الحب العاطفي والفكرة ، اللذين سكنا قلب الشاعر ، **وليس فيها ما ينم على الحب الجنسي ، وعلامات ذلك ظاهرة من ترديد الشوق والمودة ، والخيـال ، وملامح الوجه** فها هو يقول فى المانية شقراء ، فتن بشعرها الذهبي وصوتها العذب ، وقوامها اللدن ، يقول

لم تبق غير الذكريات وطيبها ومرارة الآلام والحـرمان
يا قلب ويحك كل يوم واجف نضبت قواك وأنت بعدك حاني
يا ويح قلبي ما يتوب عن الهـوى قد اسكرته مفـاتن الغـزلان
كم ليلة غنت سعادة حبنـا طربا بسحر الصوت والالحان
حورية عذب لدي حديثهـا تجلو بحلـو حديثها احـزاني
خطرت فألهبت الحياة محاسنا وتمايلت غصنا من الاغصـان
وكأنما الذهب المصفى شعرها قد ماس في مرح وفي ريعان

ويتجلى شوقه في وداعه لاحدى حبائبه الانكليزيات ، فقال في طلاقة ، وسلامة ، وحنان :

مع السلامة تينـا أخذت قلبي رهينـا
ففي البعاد اذكرينـا ومن رضاك امنحينـا

مع السـلامة تينا

تينا ارفقي بفـؤاد أخذت منـه حيـاته
لم تتركي من هـواه الا جـوى وشـجونا

مـع السـلامة تينـا

هل تشعرين بشـوق؟ وأنت الهبت قلبـي
ألـم تحسـي بحـب أقلقت فيـه الشـجونا

مـع السـلامة تينـا

وهكذا لو فحصنا باقي قصائده ، **لوجدنا انها قصائد نامـة على الحب العاطفي ، بدليل هذا الشوق الحاد ، أو الحنان الهامس وليست للغريزة فيه دبيب ، ويؤكد ذلك في قصيدته (انكليزية سكرى) التى ذكرنا فى صـدر هذا البحث انها اروع قصائده على الاطلاق ، والتى أبان فيها ابتعاده عن الاتصال بهذه الثملة عندما ترامت عليه ، حيث يقول :**

كانت كحلم الحـب فـوارة ربيعها يهدد وهـج الشـعور
وارتسمت في عينهـا رغبـة معولة الاعصار عنـد الهجـير
اذهلني منها سعار الهـوى ذهلتت من اعصـارها المـرعب
فودعتني بعد يأس اللقـا وعينها تهتـف بي : يا غبـي !

وهكذا يتضح لنا من هذه القصائد ان حب الشاعر لم يكن حسـيا بل عاطفيا ، القلب الذي يدير الرأى ، واذا دار القلب الرأى ، فهو حب عاطفي .

ويؤيد ذلك قول الشاعر :

فودعتني بعـد يأس اللقـا وعينهـا تهتف بى : يا غبي !

وقـــوله :

لى نفس قد هذبتها الليـــالى وحصـــاة تشـع بين النجوم

ولهذا لم يعش هذا الحب العاطفي في البيئات التي استقر فيها ، لانه لا يجد تجاوبا ، من المرأة ، واضطر الشاعر الى أن يحول قلبه الى حب كبير ، حب الوطن وحب العروبة .

ومما يؤسف له ان الدواوين الثلاثة لم تشمل الا على قصائد قليلة كما قلنا آنفـا .

ونكتفي من هذه القصائد بقصيدته الحلوة الصافية التعبير ، التى دبجها فى لندن حنينا الى وطنه ، ومما جاء فيها :

قلب على سعف النخيـــل مرفـرف ويهزني نحو النخيل الموطـــن
أشـهى الاماني أن أزور مواطنـــي فهوى المواطن للمتيـــم ديـــن
حيث الشواطى الســـاحرات عبيرها من ليل دجلة بالصبابة يفتن
لم أنس أياما بدجلة والهـوى طلق المحيا في الحشاشة يسكن
ما مثل صفصـــاف العراق ونخلـه كلا فما باريس منـه ولنـــدن
حييت يا وطني العزيز تحيـة أنا ذلك الصب الغريب المؤمن

وبعد ، فنعود الى القول بأن كتاب خضر الصالحي على الرغم من غلوه فى التقدير ، كتاب كاشف عن شاعرية الدكتور يوسف عزالدين ، وقد استطعنا من النماذج التى اتى بهـــا ان نحلل تحليـــلا خفيفا موضوعـــه الرئيس وهو الشعر العاطفي الغزلي والشعر ، والشاعر ، جزء لا يتجزأ **فعزالدين ، الشاعر الابتداعي الحنون ، هو عزالدين المتأمل المفكر ، المحب لوطنـــه ، الثابت على عروبته . هو عزالدين النقي القلب ، الطاهر الوجدان ، القوى الايمان .**

وشعره ليس على استواء ، ولكنه يماثل حالاته النفسية الطيبة والسيئة ، فكثيرا ما يعلو ويزكو ويحلو ، وفى بعض الاحيان ينزل مستواه كالطيور المحلقة فى السماء ، والاسماك الغائصة فى الماء ، وهذا ديدن جميع الشعراء ، فليس شعرهم كله على مستوى رفيع ويكفينا من الشاعر موهبته واصالته ، وجدته فى النماذج التى اتينا بها ، شاهد على ذلك .

ونحن لا يسعنا الا الثناء على مؤلف هذا الكتاب الذى اثبت اريحيـــة العربى وتقديره للموهوبين العاملين فى الحقل الادبى ، فى جد وكفاية واخلاص .

رحلـة لأقصـى الفجر

تأليف الأستاذ محي‌الدين اسماعيل

٢٨٣ ص منشورات دار المعرفة بالقاهرة

الأستاذ محي‌الدين اسماعيل أديب مثقف ، وليس كل أديب مثقفاً ، ولا أعني بالثقافة ما يتوهمه كثيرون من اطلاقها على من يحملون شهادة جامعيـة أو لقباً علمياً فحسب ، انما أعني بها هذه العصامية الأدبية التي تذكرني كلمـا حدثت صديقي محي‌الدين أو قرأت له بعصامية العقاد في أول نشأته ، فكلاهما أخذ نفسه بعد انقطاعه عن التحصيل المدرسي مبكراً بالتحصيل الحر اذا جاز لنا أن نستعمل هذا الاصطلاح ، وكلاهما دأب على التزود من موائد المعرفـة بأغنى ألوانها وأدسم صنوفها ، وكلاهما برع في اللغة الانجليزية براعة أتاحت له الاطلاع على الآثار العالمية في الفكر والفن والأدب ، اضافة الى تمكن كل منهما من لغته العربية تمكناً أعانه على التعبير عما يريد التعبير عنه بأسـلوب سليم متـين .

عرفت محي‌الدين منذ أكثر من عشرين عاماً وكنا على مقاعد الدراسـة الثانوية ، وكنت أراه يتأبط كتباً انجليزيـة ويورد في أحاديثـه مصطلحـات غربية ، فحسبته بادىء الأمر من أولئك الذين يغطون نقصهم في العربيـة بهـذا المظهر من مظاهر الاطلاع ، ثم زادت معرفتي به فتبدد ظني ، وبعض الظن أثم ، فقد وجدته حريصاً كل الحرص على لغته العربية ، يعني بتعلمهـا واستيعـاب أصولها ، ويتملى من أروع ضروب أساليبها العالية قديمها وحديثها ، وقد تجلى ذلك في أسلوبه في الكتابة فيما بعد ، فأنت تجد له أسلوبا يأخـذك بفصاحتـه وجماله ، يعني بالمفردات عناية بالغة ، ويؤثر التركيب السليم ايثاراً لا حد له ، وأنت تقرأ له مترجماً فترى ترجمته تفصح عن روعة الأثر المترجم وتقرأ له ناقدا فتجد النقد الذي يؤكد على الأسلوب تأكيده على الموضوع ، وتقـرأ له خواطره فتحس أنك تقرأ شعراً .. ، ذلك ان صاحبنا ـ في مطلع حياتـه الأدبية ـ عالج الشعر .. ثم عاجله .. فقضى عليه ، موزوناً مقفّى ، حـين أدرك انه مرصود للنثر .. وانه لن يرقى الى ذرى البيان الا على أجنحـة

النثر .. ولكن روح الشعر كمنت في يراعه فهي تنسرب كلما كتب متأملاً أو مسترسلاً في خواطره أو متحدثاً عن ذات نفسه ..

وبعد ، فهل كتبت عن كتاب محي‌الدين أم عن الكاتب .. لا أعتقد أنني أغفلت الكتاب حين تحدثت عن كاتبه ، فالكاتب هو الكتـــاب ، والأسلوب هو الرجل كما يقال ، وما أشرت اليه في كلمتي من صفات الكاتب تجد أمثلتـــه واضحة في الكتاب كل الوضوح ، تقرأ فيه النقد والترجمة والخاطرة فتجـــد الأسلوب الذي ألمحت اليه ، وتجد بعد هذا وذاك روحاً عربية غيوراً على قوميتها ولغتها وتراثها في غير ما تعصب يسدل على باصرتها ستاراً من الأعضاء عن أروع ما أبدعه الفكر العالمي من آثار .

- خ -

محاضرات عن خليل بيدس
رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين

للدكتور ناصرالدين الاسد
منشورات معهد الدراسات العربيه العالية

أخذ الدكتور ناصر الدين الأسد ـ عميد كلية الآداب في الاردن ـ عهداً على نفسه بالتعريف بالأدب العربي في فلسطين ، فقد سبق له أن أصدر كتـــاب « الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والأردن » سنة ١٩٥٧م واليوم يلقـى « محاضرات عن خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين » .

والقصة ألصق الفنون الأدبية بطبيعة البشر فيلذ الحديث عن القصـــة وروادها النابهين ، فأخذ الدكتور الاسد يعرفنا بكاتب ترك للأدب العربي خمسة وثلاثين أثراً في اللغة والأدب والقصة والتاريخ ، وهذا الأديب عاش في أعسر مرحلة مرت بها فلسطين الحبيبة ، فقد ولد في عام ١٨٧٥م ـ وتوفى في ســـنة

١٩٤٩م ، ويتضمن هذا الكتاب أربعة فصول : « حياة خليل بيدس وآثاره ، وفن القصة عند بيدس ، وبيدس وتأليف القصة الطويلة ، وبيدس والقصة القصيرة . واستغرقت هذه الفصول تسعين صفحة من القطع الكبير » ، فحبذا لو واصل الدكتور الأسد دراساته ومباحثه في التعريف بمثل هذا الرائد الجليل ، والكشف عن مخابىء الكنوز الأدبية الرائعة في روابي « الفردوس الضائع » .. تحفيزاً للناشئة واضراماً للعزائم والهمم في استرداد القبلة الأولى ، قدس المسلمين والعرب ، فلسطين ... ! ونرجو الا تقف مهامه الجسام في تأسيس جامعة الأردن عن السير في البحث والتأليف .

وحــــدة الوجود العقلي

لعبد الجبار الوائلي

منشورات مكتبة النهضة ، ٢٠٨ صفحة

يبحث الكتاب في فلسفة وحدة الوجود العقلي ، وتعريف العقل وهو ثمرة مطالعات كثيرة لتثبيت المصادر الفلسفية قديمها وحديثها وكان قد نشر فصوله مؤلفة في مجلة « العلوم » البيروتية خلال عشر سنوات مبتدءا من عام ١٩٥٣ ، حتى ١٩٦٣ م — وقد احتجن هذا الكتاب خمسة عشر فصلاً ، هي : اثبات العقل وتعريفه ، مصدر العواطف والغرائز ، علاقة العقل بالعواطف والافكار ودفاع عن الميتافيزيقا ، والبديهيات العقلية والكليات والعقل والواقع والظواهر وأسباب الاخطاء الحسية ومبدأ العقل وعقلية المادة والعقول الجزئية والعقل العام وعلاقة العقل بالدماغ ومصدر العقول وموروثاتها ووحدة الوجود العقلية وعلاقة بعضها ببعض وصفات العقل العام والاختيار والجبر والخير والشر وامهات المسائل الدينية ، كل ذلك استغرق مئتين وثماني صفحات من القطع الكبير ، وقد ساعدت وزارة التربية على نشره ، والكتاب محاولة طيبة لدراسة العقل من الوجهة الفلسفية .

الطفولة المبكرة في السنوات الخمس الاولى

للدكتور نوري الحافظ

مطبعة المعارف ، ١٣٥ صفحة

عرف الدكتور نوري الحافظ مؤلفاً دائب العمل والنشاط فله البحوث والمقالات العديدة • وكتابه اليوم آخر الدراسات التي قدمها ولم تؤثر اعماله الادارية الكبيرة على انتاجه العلمي • والطفولة ما زالت موضع اهتمام الباحثين والمشتغلين في مجالات التربية والتعليم وعلماء النفس ، لما لها من خطورة شأن في بناء المجتمع فهي تستحق العناية والدراسة ، فالطفل رجل المستقبل وعماد الامة فيجب أن نعني بطفولته عناية كاملة ولا نعجب أن نجد هذه الطفولة قد استأثرت بجهود رجال التعليم والمربين ، وكتاب الدكتور نوري الحافظ أحد البحوث النضيجة الرائعة في مجال تربية الطفل ، وهو من رجالات التربية والتعليم المعروفين بغزارة ثقافتهم التربوية وتوجيههم الصائب في خلق الجيل العربي الصاعد ، والكتاب يقع في ١٣٥ صفحة من القطع الكبير ، وقد طبع بمساعدة جامعة بغداد ، وانطوى على سبعة فصول ومقدمة والفصول هي « الطفل في بيئته الجديدة ، والخوف عند الطفل ، مباهج الطفولة ومسراتها ، ومتاعب الطفولة ، والطفل والتربية الجنسية ، والطفل والدين ، وقد استغرقت المقدمة ثلاثاً وعشرين صفحة من صحائف الكتاب • واهداه الى أعز ما لديه في هذا الوجود •• ! » ولديه ، عبد السلام ، ووسام » • وهذه الدراسة تهدف الى تعريف طلاب التربية وعلم النفس بأهمية مرحلة الطفولة المبكرة باعتبارها الاساس الذي ستبنى عليه دراساتهم لحياة الطالب في مراحل نموه المختلفة • لتتم لهم عملية التوجيه والأشراف • ونحن حين ننوه اليوم بكتاب الاستاذ الفاضل نرجو أن ينال عناية زملائه في فنه وعلمه ويدرس دراسة مستفيضة تناقش فيه الآراء لا سيما وقد اتخذ أولاده حقلاً للتجربة وحبذا ما صنع •

نفائس المخطوطات

بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين

نفائس المخطوطات سلسلة جليلة أخرج جملة صالحة منها الشيخ محمد حسن آل ياسين ، وهذه الحلقة تضم :

١ ـ كتاب « الأمانة عن مذهب أهل العدل » للصاحب بن عباد « ٣٢٦ هـ ـ ٣٨٥ هـ » •

٢ ـ كتاب « عنوان المعارف وذكر الخلائف » للصاحب بن عباد •

٣ ـ كتاب « ايمان ابي طالب » للشيخ المفيد « ٣٣٨ هـ ـ ٤١٣ هـ » •

٤ ـ كتاب « الاضداد في اللغة » لابن الدهان النحوي «٤٩٤هـ ـ ٥٦٩ هـ»

وقد طبعت هذه الحلقة طبعتها الأولى في سنة ١٩٥٣ ، وأعيد طبعها ثانيه في سنة ١٩٦٣م وهي من منشورات مكتبة النهضة ، وتقع في مائة وثماني صفحات من القطع الكبير ، فقد دفع الحرصُ والغيرة العمليتان الشيخ آل ياسين على اخراج هذه السلسلة الرائعة ، اسهاماً منه في احياء كنوز تراث أمة العرب الخالد ، وقد أبان المحقق الفاضل منهجه في التحقيق بقوله « وكان هذا هو الدافع لي • وانا في أول عهدي بتحقيق المخطوطات ـ الى قصر العزم وايقاف الهمة على العناية بنفائس المخطوطات الصغيرة النادرة ، فأحققها باختصار يناسب الأصل ، وأقدمها ـ من ثَم ـ الا الادباء والباحثين مادة أدبية ذهبية رائعة » وتحقيق المحقق جاء صائباً ومقارباً لأصل النص الوارد •• وبعد فالكتاب جهد طيب •

قادة فتح العراق والجزيرة

اللواء الركن محمود شيت خطّاب

دار القلم ـ القاهرة ٥٠٠ صفحة

هذا الكتاب هو الحلقة الأولى من سلسلة قادة الفتح الأسلامي ، صدر حديثاً عن دار القلم في القاهرة ويحتوي على ترجمة حياة اربعة وعشرين قائداً ويقع في خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وهو طريف الموضوع جديده ، عميق البحث ، لم يكتب على طرازه كتاب منذ قبل ، ولا نعلم ان احداً من المؤرخين والمشتغلين في البحث والأدب أفرد كتاباً خاصاً بهؤلاء القادة العظام ،

صانعي التأريخ وحاملي راية محمد (ص) ، فكانوا أداة لنشر الاسلام في ربوع العالم ، لقد تظافرت جهود الشعوبيين والملاحدة والاستعمار على طمس آثار هؤلاء القادة الفاتحين ، وتراكمت على مآثرهم أتربة الأهمال والنسيان . فنهد المؤلف الفاضل الى التعريف بهم والكشف عن بطولاتهم واستجلاء ما انبهم من معالم حياتهم وقدم صفحات جهده أنموذجاً حياً للجيل العربي الصاعد ، ولتكون هذه الصحائف آيات تنطق بما كان عليه أجدادنا العظام الاقدمون من بطولة وفداء نادرة في سبيل ايمانهم الذي تغلغل في أعراقهم ومشاش عظامهم ..

وقد تناول المؤلف حياة كل قائد من هؤلاء القادة بالتحليل والبحث ، فتارة يعرّفه للقراء ، قائداً ، وأخرى ، انساناً ، وصحابياً جليلاً ، وشاعراً ، وشهيداً ، فما يخرج القارىء من صحائف أي بحث تناولت حياة قائد من القواد الا واطلع على أهم جوانب حياة هذا القائد ، وقد زيّن المؤلف كتابه الجليل هذا بخوارط لآلات الحرب والقتال في العصر الأسلامية المتقدمة ، فالكتاب ثمرة ناضجة من ثمار البحث العلمي الأصيل .

رسوم دار الخلافة

تأليف : هلال بن المحسن الصابىء

تحقيق : ميخائيل عواد

وضع هلال الصابىء كتابه « رسوم دار الخلافة » وهو يتولّى « ديوان الانشاء » ببغداد ، فتمكّن بسبب عمله هذا أن يقف على شؤون تلك الدار العظيمة الشامخة من رسوم ، وما كان داخل أسوارها من خبايا وخفايا وأسرار ، ويستقرىء أبنيتها ومجالسها ودُورها ومسالكها وصحونها وخزائنها ودواخلها وغوامضها ، فأتيحت له معرفة أحوال الخلفاء فوقف على عاداتهم وأخلاقهم ورسومهم في الملبس والمأكل والمشرب ونحو ذلك .

وُلد هلال الصابىء ببغداد سنة ٣٥٩هـ ، ونشأ بها ، وأسْلَم في حدود سنة ٤٠٣ هـ ، وحَسُن اسلامه .

كان من أعلام الأدباء المؤرخين ، عالماً بفنون الآداب ، حسن المعرفة بآداب الملوك والخلفاء ، حاذقاً بتصنيف الكتب ، جَمَع بين متانة التعبير وسهولة

الكلام . وقد نوّه بالرجل كثيرون وترجموا له بما يستحق من اجلال المكانة .

وله تآليف جليلة تناولت بحوثاً منوّعة ، ضاع بعضها وسلم بعض منها . وكتاب « رسوم دار الخلافة » ممّا سلم من مؤلفاته .

تناول فيه موضوعات جليلة الشأن ، منها أحوال دار الخلافة العباسية ببغداد ، فوصفها خير وصف لم يسبقه اليه مؤرخ أو بلداني آخر . ثم تناول قوانين الحجابة ورسومها وكتب فصلاً بعنوان : ومن الرسم أن يلزم الناس فلا يسمع لهم صوت ولا لغط . وبعده كتب عن جلوس الخلفاء وما يلبسونه في المواكب ويلبسه الداخلون عليهم من الخواص وجميع الطوائف . ثم خلع التقليد والولاية والتشريف والمنادمة . وكذلك ما يُخْدَم به الخليفة عند التقليد والتشريف بالتكنية واللقب . وتناول باسهاب رسوم المكاتبات عن الخلفاء في صدورها وعنواناتها والأدعية فيها وما يُعاد منها في أواخرها . ويليه خطاب الخلفاء في الكتب والأدعية لهم . ثمّ رسوم الكتب عن الخلفاء . وبعده الدُعاء للمكاتبين عن الخلفاء وما كان الرسم أولاً جارياً به وانتهى أخيراً وعقد فصلاً تناول فيه الانتساب الى مولى أمير المؤمنين . وبعده ما يُذكَر في أواخر الكتب من قولهم : وكتَب فلان بن فلان . وتناول فصلاً في الحضارة ذكر فيه الطَرَوس التي يُكتب فيها الى الخلفاء وعنهم والخرائط التي تحمل الكتب صادرةً وواردة فيها والختوم التي تُوَقّع عليها . ثم كتب فصلاً خاصّاً بالألقاب ، ومثله في الخطبة على المنابر . وحرّر فصلاً طريفاً في ضَرْب الطبل في أوقات الصلوات ، وكذلك خُطَب النكاح ، وغيرها .

عُني بتحقيقه والتعليق عليه ونشره الأستاذ ميخائيل عوّاد ، فكتب له مقدّمة مسهبة تناول فيها ترجمة المؤلف وحياته العلمية ، ثمّ جاء على قصّة العثور على المخطوطة ، ووصفها . أمّا الحواشي والتعليقات ففيها من الفوائد ما لا يحصر وختم الكتاب بفهارس أبجدية علمية .

والملمّ بقراءة هذا الكتاب ، يخرج منه وكأنّه قرأ جملة كُتُب ضُمّت بين دفتَي سِفْر واحد .

انّ مظاهر المجد العربي الباذخ ، والجوانب الخصبة من الحضارة العربية وأصول الفكر العربي ، انعكست كلّها في صفحات هذا الكتاب .

« الرسول القائد »

كتبت جريدة (الدون) الباكستانية المقال التالى باللغة الانكليزية عن كتاب (الرسول القائد) تأليف الحاج محمود شيت خطاب عضو الجمعية .

لقد كانت شخصية نبي الاسلام الكريم فريدة من نوعها في تاريخ الاديان بتعدد جوانبها المدهشة . وكان من بعض وجوه حياته المشرقة الجليلة ، سيرته قائداً عسكرياً . على ان هذا الجانب الذي هو أكبر جوانب حياته الكريمة رفعة وشأنا قد اسيء فهمه الى درجة كبيرة ـ خاصة من قبل النقاد الغربيين . انهم يقولون بأنهم عجزوا عن فهم الرسول من هذه الزاوية . اذ كيف يمكن لمن جاء لهداية الناس أن يصبح ، كما يقولون ، رجل مشاكسة وخصام . وان علينا أيضا أن نعترف في اننا فشلنا في فهم سبب عجز هؤلاء عن الفهم ، الا اذا افترضنا (بالاضافة الى كل ما يمكن أن يكون لديهم من تعصب) بأن هؤلاء الكتاب قد انصرفوا بكليتهم الى أقاصيص الحزن والفشل والخيبة والاعدام على الصليب بحيث أصبحت فكرة النجاح بذاتها في مثل هذا الجو الذي يعيشونه شيئا بغيضا تأباه النفس .

لكن الذي ينبغي علينا قوله ، و ان الهاً لا يرى ثمة فارق في أن يكون ذا تأثير في احداث التاريخ ، أو لا ، انما هو على وجه التأكيد ليس بآله محمد والقرآن . فاذا كان التاريخ هو المجال والميدان المناسب للقوة السماوية وفعاليتها، عليه يجب استخدام القوى التاريخية لغرض تحقيق الغرض الاخلاقي الذي وجدت من اجله ، وذلك بالطريقة الشرعية وبذكاء وفطنة جهد الإمكان .

على ان السبب الملح الذي كان يطغى على الاسباب الأخرى التي دعت الرسول الى اتخاذ اجراءاته ضد المكيين ، هو الموقف العدواني الذي اتخذه اهالى مكة أنفسهم من المسلمين ، حتى عندما هاجر المسلمون اخيرا الى المدينة . فالمكيون لم يستولوا على ملكيات هؤلاء المهاجرين التي بقيت في مكة بعد أن أجبروا

أصحابها على الهجرة وحسب ، انما هم لم يقدروا واقع الحال أيضا ويلتفتوا الى حقيقة كون الرسول قد انضم الى قبيلة أخرى من قبائل المدينة • عليه كان من الطبيعي أن يقوم المكيون بتهديد المدينة التي راح سكانها ، وبخاصة المهاجرون منهم ، يعملون ما في وسعهم لسبق خصومهم وانزال الهزيمة بهم ، وهو ما يعني بعبارة أدق ، قيام حالة الحرب بين الطرفين • وفي القرآن الكريم شـواهد تاريخية بينة ، وعلى أروع ما يكون البيان ، حول هذا الموضوع عندما أشار الى بعض المناوشات التي جرت بين جماعة من المهاجرين وبين قافلة من قوافل أهالي مكة خلال « الاشهر الحرُم » ـ وهي الاشهر التي يحرم قانون العرب القبائلي خلالها الحرب ـ دونما اجازة أو ترخيص صريح قاطع من قبل الرسول عليـه السلام ، وذلك في الآية الكريمة : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال كبير وصد عن سبيل الله ••• » الى آخر الآية •

عليه فقد أصبح من الواضح بأن الاجراءات العسكرية التي اتخذها الرسول عندما كان في المدينة لم تكن اجراءات استفزازية كما يتصور غالبية الكتـاب الغربيين ، ما دامت حالة الحرب الحقيقية موجودة فعلا ـ وهي حال لا تقضـي وعظ الناس وهدايتهم بالكلام فقط ، انما بتسليح القوى الاجتماعية والسياسية أيضا كشيء ضروري • وذاك هو بالضبط الذي يوضح كون سيرة النبي الكريم في المدينة كانت من منجزات النبوة المحمدية التي لا مفر منها •

هذا الجانب من جوانب حياة النبي الكريم ، هو الذي تناوله كتاب السيرة الجديد بالبحث عن جدارة واقتدار • ومنذ ان كتب ابن اسحاق سيرته ، صدر هناك عدد لا يحصى من الكتب عن حياة الرسول ، نخص من ذلك بالذكـر كتاب « المغازي » •

لكن هذا الكتاب الذي نتكلم عنه اليوم ، انما هو واحد من الكتب التي أصبح لها مكان الصدارة بين السير • انها دراسة رائعة لحملات الرسول وضعها أخصائي بالشؤون العسكرية الستراتيجية ، جمع بين الصفات الفـريدة لذوي الاختصاص والمعرفة في الشؤون العسكرية ، وبين القدرة على الحصـول على المعلومات الخاصة بحياة النبي الكريم من مصادرها العربية التاريخية ، بالاضافة

الى قلمه اللامع البليغ • انه من الكتب التي وضعت باسلوب ممتاز رفيع • ومما زاد في قيمة الكتاب ما احتوى عليه من خرائط ومخططات وألواح • وأملنا أن يباشر بترجمته في الحال الى اللغتين الانكليزية والاوردية •

تاريخ المن بالامامة على المستضعفين

تحقيق عبدالهادى التازي

تحتضن مكتبة البودليان باكسفورد مخطوطا عربيا من أهم المخطوطات ، يتناول تاريخ المغرب والاندلس فى العصور الوسطى ، وتعتبر هذه النسخة الموجودة هناك الوحيدة في العالم ويتعلق الامر بالمجلد الثانى من كتاب :ـ

تاريخ المن بالامامة على المستضعفين

للمؤرخ أبي مروان عبدالملك بن صاحب الصلاة (٥٩٤هـ ـ ١١٨١م) ويؤرخ هذا السفر لأوج دولة الموحدين المغربية ، وذلك طيلة اربع عشر سنة، من عام ٥٥٤ (١١٥٩م) الى عام (١١٧٣م) •

وقد استفاد من (تاريخ ألمن بالامامة) جماعة من كبار المؤرخين للمغرب والاندلس من أمثال ابن ابار ، وابن عبد الملك المراكشي ، وابن عذارى ، والجزائي ، وابن ابي زرع ، وابن خلدون ، والمقرى ، وابن الخطيب ، وصاحب الحلل الموشية وغير هؤلاء •

وقد أثار ذكره من قبل هؤلاء المؤرخين انتباه المستشرقين ورجال البحث في العصر الحديث ، فوقفوا على بعض نصوصه ، وهكذا استفاد منه المستشرق الهولاندي الشهير دوزى بيتير وكان يتمنى نشره •• كما استفاد منه السادة : دافيد لويس وكوديرا فرانسيسكو وميشيل آمارى الايطالى ، ودكا يانكوس الانجليزي ، وملیتشور انطونيه وكارسيا كوميت وطريس ابلباس وويسى ميزاندا الاسباني ، وغير هؤلاء من المهتمين بالدراسات التاريخية •

ويزيد في قيمة المعلومات التي يعطيها ابن صاحب الصلاة أنها صادرة من مؤرخ عاش بنفسه تلك الفترات ، كما يزيد في قيمة الكتاب انه يضم طائفة من الآثار الادبية بما فيها الشعر والنثر مما لم يعرف الى الان ، كما يأتي على عدد مهم من عادات الموحدين ونظام حكمهم ، هذا ايضا الى الفوائد الجليلة التى استطرد بذكرها والتى كشف فيها النقاب عن تفصيلات دقيقة عن مباني الموحدين ذات الشهرة العالمية سواء فى الاندلس أو المغرب .

وقد استخرج هذا الكتاب عن مخطوط اكسفورد وحققه وقدم له ، وزوده بالفهارس اللازمة السيد : عبدالهادى التازى - سفير المغرب بالعراق - الذى قام برحلة خاصة الى اكسفورد والى الاسكوريال ، واكثر من مائتى مصدر ، فيها العربى وفيها غير العربي ، منها المطبوع والمخطوط .

دراسات عن المؤرخين العرب

تأليف المستشرق فاركورليوث
ترجمة الدكتور حسين نصار

عرف هذا المستشرق فى العراق فقد زاره وتعرف على قادة الرأي فيه واحتك به فهو معروف لدى الجيل الماضى .

وكتابه من الكتب الجليلة ود القى فصوله على شكل محاضرات في جامعة كلكتا نتيجة لدراسة عميقة وتحرٍ مستمر .

وقد بحث فى الكتاب عدة مؤرخين اضافة الى مقدمته عن التاريخ الجاهلي وبواكير التاريخ العربي وقد قسم المؤرخين حسب القرون فبدأها من القرن الثاني حتى العصر المتأخر .

وقد امتازت الترجمة بأسلوب مشرق جميل ، اسبغها عليه الدكتور حسين بالاسلوب السلس اللطيف .

التأمينات الاجتماعية للعمال في الدول العربية

تأليف : الاستاذ خالد العزى

(٣٠٠ صفحة) من منشورات مكتبة القاهرة الحديثة ـ القاهرة ـ ١٩٥٩

الاستاذ خالد العزى فى مقدمة الشباب العربى المثقف عناية واهتماما بشؤون الحياة العامة فى مجتمعنا العربى ، فقد أظهر خلال السنوات العشر الاخيرة نشاطا ملحوظا انعكس فى العديد من المؤلفات والدراسات الاجتماعية النافعة التي نشرتها له الامانة العامة لجامعة الدول العربية حيث كان يعمل فيها ، وقد كان كتابه (التأمينات الاجتماعية للعمال فى الدول العربية) الذى نحن بصدد التعليق عليه من أهم تلك الدراسات نظرا لصدوره فى وقته المناسب ، فقد اصدره عام ١٩٥٩م أى بعد أن قطع التقدم الصناعي فى البلاد العربية مرحلة كبيرة من النشاط والازدهار وبعد ان كانت التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، قد فعلت مفعولها فى المجتمع العربي فنما الوعي العمالى نموا ملحوظا وعلى الاخص بعد ثورة يوليو (تموز) ٩٥٢ وما انتجته من تغييرات جذرية في مختلف مجالات الحياة حيث لم يعد العمل سلعة تباع وتشرى بل اصبح حقا لكل فرد كما لم يعد العمال ادوات انتاج شأنهم فى ذلك شأن الآلات بل اصبحوا كائنات بشرية لها احسساتها وانفعالاتها وغرائزها الضرورية كما لها خطرها فى كيان الامة بصورة عامة ٠

وان البحث في التأمينات الاجتماعية للعمال في مثل هذه الظروف ضرورة ملحة اذ لابد من رسم الخطوط العريضة لهذه التأمينات ولفت اهتمام المسؤولين في البلاد العربية اليها وتغيير نظرتهم ا لىالعامل العربى اذ يجب أن لا ننظر اليه

---

(١) نشرة الجمعية الدولية للضمان الاجتماعى ، العدد (١) السنة الثالثة آذار ١٩٥٥ ٠

(كما يقول الدكتور محمد حلمى مراد) نظرتنا الى الآلة اى باعتباره أحد العناصر اللازمة للانتاج بل يجب ان ندخل في اعتبارنا ايضا الناحية الانسانية فليس الانتاج هدفا فى ذاته وليست التنمية الاقتصادية غاية مجردة وانما هى وسائل لتحقيق الرفاهية للمواطنين ولعل اولى درجات السلم الموصل الى هذه الرفاهية هو تأمين العامل المكافح المعرض لشتى المخاطر ضد اصابات العمل وامراض المهنة وضد البطالة والمرض والعجز والشيخوخة ! .

يقول (المسيو بيسار لاروك) مستشار الدولة والمدير الفخرى للضمان الاجتماعي في فرنسا حين تحدث عن الضمان الاجتماعي واهدافه[1] « ... وهذا يفسران الشعور بالقلق لم يستيقظ الا فى نفوس الفئة العاملة فى المراكز الصناعية تلك الفئة التي لم تنعم بأي مورد احتياطي مادى أو اجتماعى والتى يتمثل عندها الخوف من الغد في انعدام وسائل العيش انعداما كليا يوم يفقد العامل عمله لسبب من الاسباب ويكون الشعور بالقلق عند هذا العمل كاملا ويظل خوفه من المجهول مستمرا ، ولذلك فان قضية الضمان الاجتماعى ان لم تكن وليدة الثورة الصناعية فهي على الاقل نتيجة لها » .

وعلى هذا نقول ان التفات الاستاذ العزى الى موضوع التأمينات الاجتماعية للعمال فى الدول العربية وتقديمه كبحث الى قسم القانون فى معهد الدراسات العالية التابع للجامعة العربية ، عمل يشكر عليه ويستحق كل تقدير لان مجتمعنا العربى بحاجة ماسة الى مثل هذه الدراسات الاجتماعية الرائدة ، وليس من شك فى ان عمله فى الجامعة العربية والدراسات الحقلية والزيارات التى قام بها لعدد كبير من الدول العربية ثم دراسته لموضوع الخدمة الاجتماعية فى الولايات المتحدة الاميركية كل هذه العوامل بالاضافة الى دراسته القانونية قد تعاونت على اخراج كتابه بهذه الصورة من الاصالة فى البحث والسعة والشمول .

فقد قسم موضوعه الى اربعة ابواب عالج فى الباب الاول نشأة التأمين الاجتماعى وتطوره وخصص البابين الثاني والثالث لشرح أحكام التأمين الاجتماعي الموجود فى الدول العربية فاستخرج فى الباب الثانى ومن ثنايا

التشريعات العمالية القائمة فيها ، الاحكام ذات الصفة التأمينية أو ما كان يهدف منها الى الناحية العلاجية ، بينما خص الباب الثالث على شرح التشريعين التأمينين الموجودين (وقت ماقشة بحثه) فى كل من الجمهورية العربية المتحدة والعراق كما اشار فى بعض المواضيع الى قانون التأمين الاجتماعي الليبى رقم (٥٣) لسنة ١٩٥٧ .

وبعد أن يستعرض فى تلك الابواب التى امتدت الى صفحة ٢٥١ من الكتاب ، يختم بحثه بالباب الرابع الذى خصصه ليرسم مشروع مقترح لاقامة نظام موحد للتأمينات الاجتماعية للعمال فى البلاد العربية جاعلا المشروع مقتصرا على التأمينات الاجتماعية كوسيلة ضد المخاطر التى يتعرض لها العمال ، وقد قسم مشروعه هذا الى خمسة أقسام تناول كل قسم منها بالدراسة فى فصل مستقل .

وفى (خاتمة البحث) قال « ولما كنا فى رسالتنا هذه ندعو الى تأمين العمال ضد مخاطر المرض والشيخوخة واصابات العمل والامومة والوفاة وغير ذلك ... واننا ندعو قبل الاخذ ببعض توصيات عامة رأينا لزاما علينا اثباتها .. الخ » وقد ذكر أهمها وهى :ـ

١ ـ وجوب سن تشريعات عمالية فى الدول العربية التى لا توجد فيها قوانين عمل ... الخ .

٢ ـ وجوب انشاء مجالس استشارية عمالية عليا ثلاثية التمثيل فى كل قطر عربى تعمل على تكوين المجلس الاستشارى الاعلى للعمال العرب .

٣ ـ وجوب النص فى التشريعات العمالية لكل قطر عربى على معاملة رعاية الدول العربية الاخرى معاملة المواطنين .. الخ .

٤ ـ وجوب النص فى التشريعات العمالية العربية على حرية تأسيس النقابات العمالية ... الخ .

٥ ـ وجوب قيام الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالدعوة الى عقد مؤتمر اقليمى عام للعمل للدول العربية متعاونة مع منظمة العمل الدولية ، وحث

الدول التى لم تشترك فى هذه المنظمة للانضمام اليها ومحاولة التصديق على اتفاقياتها الدولية التى تضمن المستويات الدنيا لحياة العمال على الاقل ويتمثل ذلك بقيام الدولة بضمان العامل وافراد اسرته فى حالات الطوارىء والمرض والعجز واليتم والشيخوخة والبطالة غير المتعمدة وانشاء مؤسسات للتأمين الاجبارى على العمــــال .

هذا هو كتاب (التأمينات الاجتماعية للعمال فى الدول العربية) الذى نال به الاستاذ العزى درجة الماجستير بتقدير جيد فى نهاية عـام ١٩٥٧ ونظـــرا للتطورات الاجتماعية والسياسية الخطيرة التى حدثت فى مجتمعنا العربى منذ صدور الكتاب حتى يومنا هذا ، ونظرا لما نتج عن ذلك التطور من تقدم مجـال الصناعة وتغير جذرى فى حقوق العمال وعلاقاتهم بالانتاج لا سيما بعد صدور القوانين الاشتراكية الشهيرة فى الجمهورية العربية المتحـــدة فى عام ١٩٦١ وصدور الميثاق عام ١٩٦٢ فيها ، نظرا الى كل هذا نرجو مخلصين ان يعمـد الاستاذ العزى الى اعادة طبع الكتاب طبعة جديدة منقحة يزيد عليها ما استجد فى مجال التأمين الاجتماعى وما استحدث فى حقل العمل من تطور للاحسن والانفـع .

وانه لفأل حسن ان تكون دراستنا هذه لكتابـه فى نفس الـوقت الـذى يتولى فيه شؤون مديرية العمل العامة فى الجمهورية العراقية وفقه الله فى عمله وحقق على يديه للعمال كل خير وفلاح .

عبدالرزاق الهلالى

نشاط الجمعية

مؤتمر ادباء العرب :

قررت الهيئة الادارية مساهمة منها في دعم الحركة الادبية والفكرية في العراق والبلاد العربية ورغبة في توحيد الجهود الثقافية عقد مؤتمر الادباء العرب الخامس في بغداد في شهر تشرين الثاني القادم فاقترحت على وزارة التربية ووزارة الخارجية ووزارة الثقافة والارشاد دعوة المؤتمر الدئم لاتحاد الادباء العرب في بغداد تمهيدا لعقد المؤتمر بعد ذلك .

وقد ايدت وزارة التربية ووزارة الخارجية ووزارة الثقافة والارشاد ووزارة المالية هذا الاقتراح والجمعية في صدد بحث الامور مع المسؤولين لوضع الخطط اللازمة وتخصيص المال اللازم ليتسنى لها دعوة المؤتمر الدائم الى بغداد وكان أول اجراء عملي قام به وزير الثقافة والارشاد ان اتصل بالسيد وزير التربية والسيد وزير الخارجية بالتلفون فاتفقوا جميعا على عقد اؤتمر القادم وتأليف لجنة للاعداد للمؤتلامر حسب الترتيب التالي :

١ ـ الدكتور عبدالرزاق محيي‌الدين ـ نائب رئيس الجمعية .

٢ ـ الدكتور احمد مطلوب ـ مدير الثقافة العام ممثلا عن وزارة الثقافة والارشاد .

٣ ـ الدكتور يوسف عزالدين ـ مقررا .

وعلى أن تضم هذه اللجنة ممثلين من وزارة الخارجية ووزارة التربية

تأبين العقاد

أقامت جمعية المؤلفين والكتاب مساء الرابع عشر من مايس ١٩٦٤ الحفل بتلاوة مباركة من آى الذكر الحكيم ثم افتتح الحفل رئيس الجمعية

الدكتور الدوري الكلمة عن العقاد الكاتب وتلاه الاستاذ جمال الدين الآلوسي بكلمة تعريف ، ثم اعقبه الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي بكلمة عن العقاد المجمعي ، وانشد الشاعر الاستاذ حافظ جميل قصيدته ، واعقبه الدكتور ماهر حسن فهمي بكلمة عن العقاد الشاعر ثم تلاه الدكتور عبدالعزيز البسام بكلمة عن العقاد الانسان المفكر وانشد بعد ذلك الاستاذ الشاعر خالد الشواف قصيدته ، وختم الحفل سكرتير الجمعية الدكتور يوسف عزالدين بالكلمة التالية :

سيداتي ، سادتي :

اشكركم اجمل الشكر واعطره على حضوركم حفلنا التكريمي والتأبيني ولا نقصد في احيائنا أن نكرم العقاد حسب وانما نريد أن نكرم الفكر الحر ونحيي القلم الذى خدم الامة في نضالها وجهاده الثقافي وجاهد فى بعث التراث العربى واحياء الحضارة الاسلامية ومساهمة فى ركب الحضارة الانسانية .

وجمعيتنا هذه التى وقفت كالطود امام كل من اراد الانتقاص منها والاعتداء عليها لتعتز كل الاعتزز بانها كانت وما تزال موئل النقاش الحر والرأي الصريح والمثل السامية واذ هي تحيي ذكر العقاد فانها تحيى كل المؤلفين والكتاب الطيبين العرب منهم وغير العرب في مشارق الارض ومغاربها الذين ساهموا في بناء الصرح الثقافي وساروا بالانسانية شوطا نحو الحضارة الانسانية مؤمنين بسمو الحرف الذى سطروه وحرية الفكر التى اعتنقوها هادفين فى قلمهم وحدة شاملة يعمها الرخاء والخير والحرية واضعين اقلامهم في خدمة الحق ، وسمو الهدف ، بعيدين عن الاثرة ، عاملين فى سبيل الشعب كله . واشكركم والى ندوات في غير هذه المناسبة في مقر جمعيتنا والسلام .

الشاعر شاكر السياب

ومساهمة منها في مساعدة الشاعر بدر شاكر السياب فقد ارسلت له مبلغا قدره مئة دينار هدية رمزية بمناسبة مرضه كما وكتبت الى وزارة الصحة ترجوها معالجته وقد استجاب الدكتور شامل السامرائى وزير الصحة مشكورا لهذا الرجاء فألف لجنة فى البصرة من اطبائها المختصين لفحصه تمهيدا لادخاله الى المستشفى في بغداد في الدرجة الخاصة على حساب الدولة . وقد تم اصدار الامر الوزاري لادخاله المستشفى .

تهنئة بالوحـــدة

وقد ارسلت الجمعية بالبرقية التالية الى كل من السيد المشير الركن عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية والسيد الرئيس جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ٠

السيد المشير الركن عبدالسلام محمد عارف المحترم

السيد الرئيس جمال عبدالناصر المحترم

ان جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين تبارك خطوتكم الايجابية التي فتحت الطريق للوحدة ٠ فالاتفاقية تمهد لخطوات عملية نرجو أن تفضي الى الوحـدة الشاملة ندعو الله أن يأخذ بايديكم للسير بالخطوات التالية لتحققوا للاجيـال امنيتها وسلامة العربية ذاتها وكيانها ٠

عبدالعزيز الدورى

الجواب :

السيد عبدالعزيز الدورى جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين بغداد ٠

اشكركم والسادة الاعضاء على مشاعركم وتهانيكم الصادقة بمناسبة توقيع الاتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية راجيا أن تكـون هذه الاتفاقية سبيلا الى تحقيق الوحدة الشاملة للامة العربية حتى تنعم شعوبها بما توده لها جميعا من خير وعزة وسيادة واعـرب لكم وللجميـع عن أطيـب التمنيات ٠

جمال عبدالناصر

وتلقت هذه البرقية ردا على برقية ارسلتها الى المشير السلال عندما كان فى الجمهورية العربية المتحدة قرب خزان اسوان ٠

رئيس جمعية المؤلفين والكتاب عبد العزيز الدوري

تلقيت برقيتكم الفياضة بمشاعر الوطنية بمناسبة انتهاء المرحلة الاولى من بناء السد العالى ونحن اذ نسعى الى توحيد كلمة العرب تحت راية واحدة لنرجو الله ان يكلل المساعي بالنجاح وان يجمعنا على الخير وان يرعاكم ٠

المشير عبدالله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية

◉ القى الدكتور محمد طلعة وكيل كلية طب القاهرة محاضرة عن نظام الادارة في الجسم فى مقر الجمعية •

◉ القى الدكتور عبدالرحمن حبيب محاضرة التخطيط الاقتصـــادي للبلاد العربية فيها •

◉ أقيمت عدة ندوات شعرية وعدة مناقشات عولجت فيها مشكلات الساعة الآنية الفكرية •

◉ القىالسيد عزيز الحافظ محاضرة بعنوان : الاشتراكية والمجتمع العربى

◉ قبلت الجمعية الدكتور حسن العطار والاستاذ عدنان فرهاد والدكتورة آمنة صبرى مراد أعضاء في الجمعية •

● **يصدر قريباً كتابان للاستاذ يحي الجبوري ، الاول « الاســـلام والشعر » وقد ساعد المجمع العلمي العـراقي على نشره وقـــدم له الدكتـــور يوسف عزالدين • والثانى « شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه » وقد ساعدت جامعة بغداد على طبعه •**

◉ **انتخب الدكور يوسف عزالدين عضواً عاملاً في المجمع العلمــي العــراقي •**

◉ **صدر للاستاذ عبد الجبار الوائلى « وحدة الوجود العقلي » •**

◉ يصدر قريبا ديوان « رشيد الهاشمى » الدى جمعه وحققـــه عبدالله **الجبوري ، وقد ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه •**

◉ **صدر للاستاذ حارث الراوي كتاب « مع الشعراء » •**

◉ **صدر للدكتور** ناصر الحاني « ديوان الراعي النمـيرى » **وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربى بدمشق •**

◉ **يصدر قريبا كتاب** « حسان بن ثابت ، شاعر الرسول » للاستاذ وليد **الاعظمي •**

◉ يصدر قريبا كتاب « مباحث في الادب الشعبي » للاستاذ عامر رشيد **السامرائى •**

● صدر في بيروت ديوان « مرفأ الذكريات » للاستاذ هلال ناجي •

● أوشك الدكتور يوسف عزالدين من الانتهاء من « خيرى الهنداوي ، حياته وشعره » •

● يصدر قريبا كتاب « الرسول القائد » الطبعة الثالثة للواء الركن محمود شيت خطاب • وهو بصدد جمع معجم عسكري للمصطلحات العسكرية العربية •

● عين الاستاذ خالد العزي مديراً عاماً للعمل وقد باشر مهام وظيفته

● سافر الدكتور أحمد شاكر شلال والدكتور جميل سعيد على رأس وفد ثقافي الى الصين الشعبية ، لتوطيد العلاقات الثقافية بين العراق والصين •

● عيّن الدكتور عبدالجبار المطلبي ملحقاً ثقافياً في سفارة الجمهورية العراقية في القاهرة •

● عاد الدكتور صالح العلي من زيارته لالمانيا بعد ان جال في جامعتها وتعرف على معالمها الفكرية •

● عاد السيد محمود بهجة سنان بعد أن جال في الخليج العربي وتعرف على حياته الاجتماعية والفكرية تمهيدا لاصدار كتاب عن أقسام الخيج •

● عاد الدكتور عبد العزيز الدوري من بيروت بعد أن حضر مؤتمر الجامعات العربية •

● عاد الدكتور عبدالرزاق محيي الدين وزير الدولة لشؤون الوحدة من الجمهورية العربية المتحدة بعد أن حضر الاحتفالات باتمام المرحلة الاولى من السد العالى وتحويل مجرى النيل ومؤتمر الوحدة العربية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة •

● عاد الدكتور أحمد شاكر شلال والدكتور جميل سعيد وكانا مع

● عاد الدكتور محمد رشيد الفيل من جولته في الخليج العربي •

● سافر الاستاذ هلال ناجي الى ايران لتسلم مهام عمله قنصلا عاما •

سلسلة الوعي الفكري

تلقينا من العميد الركن عبدالكريم فرحان النداء التالى :

ان وزارة الارشاد تمشيا مع خطتها الهادفة الى دعم احركة الثقافية وتقديم ضروب المعرفة الى ابناء الشعب بأسلوب يسير وثمن زهيد ، قررت اصدار سلسلة ثقافية عامة تهتم بخلق الوعى الفكرى وتساهم في التطور الثقافى العام واخرى قومية تعنى بالمسائل والدراسات القومية تركيزا للمفاهيم الربية وايضاحا لجوهر قومية تعنى بالمسائل والدراسات القومية تركيزا للمفاهيم العربية وايضاحا لجوهر تلك الفكرة وثالثة تأريخية تسعى الى تعريف القارىء بالتأريخ العربى والاسلامى وازالة الغار الشعوبى عنه بحيث تجلوه ناصعا حافلا بالامجاد والمأثر • ورابعة سياسية تهدف الى عرض ما يحدث فى العالم من مشاكل هامة وحاسمة في تأريخ الشعوب والامم ليكون القارىء على اتصال وثيق بها •

وحيث ان مثل هذا المشروع لن يكتب له النجاح ما لم تتوافر له الأمكانيات المختلفة باسناد اهل الفكر والقلم فاننا نوجه اليهم هذا النداء وكلنا ثقة بان قادة الفكر سوف لا يتوانون عن دعم كل جهد يرام الى اغناء الفكر العربى والنهوض بالحياة الثقافية الى خير مستوى • وستبذل هذه الوزارة ما فى اطاقتها لتذليل ما يقوم من مصاعب فى وجه المؤلف فى العراق مادية أو معنوية وتتعهد برعايته بما يتفق وما للفكر من قيمة ومنزلة •

ون الله التوفيق

وبالوقت الذى نضم صوتنا الى صوته نرجو ان ينال نداءه المؤازرة الفعالة من الادباء والمفكرين •

مجلات وجرائد وصلت الى الجمعية هدية

نزوى « نشرة تصدرها ممثلية امامة عمان فى بيروت » .

المعرفة ـ رئيس التحرير فؤاد الشايب تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ دمشق .

القوات المسلحة ـ تصدرها القوات المسلحة في الكويت .

الهدف ـ صاحبها عبدالباسط يونس رئيس التحرير شاكر العناز ـ الموصل

الفكر العربى صاحبها احمد عبدالله الحسو ـ الموصل .

الاسواق التجارية صاحبها جمال داود سليم رئيس التحرير محمد نجيب عبدالله الجبورى .

الشؤون الاقتصادية ـ صاحبها محمد ابراهيم السامرائى رئيس التحرير فاضل حسون العلي .

الرسالة ـ نشرة اخبارية اسبوعية تصدرها حكومة المانيا الاتحادية .

مجلة الحج ـ تصدرها وزارة الحج والاوقاف ـ المشرف على التحرير محمد سعيد العامودى مكة المكرمة .

الاديب ـ الموصل ـ صاحبها محمد أمين شهاب رئيس التحرير محيالدين أبو الخطاب .

كركوك ـ جريدة اسبوعية تصدرها بلدية كركوك عدد اشرفت عليه مديرية ارشاد المنطقة الشمالية .

الافق الجديد ـ الاردن ـ رئيس التحرير المسؤول أمين ستار .

الاخاء ـ يصدرها نادى الاخاء التركمانى رئيس التحرير عبدالقادر سليمان سكرتير التحرير انور علي .

التراث الشعبي ـ صاحب الامتياز شاكر صابر الضابط رئيس التحرير ابراهيم الداقوقى سكرتير التحرير لطفي الخورى .

الفكر ـ تونس .

الاديب ـ صاحبها البير أديب ـ بيروت .

الاداب ـ صاحبها الدكتور سهيل ادريس ـ بيروت .

كتب وصلت الى الجمعية

١ ـ محاضرات عن خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين منشورات معهد الدراسات العربية العالية ـ القاهرة ـ للدكتور ناصرالدين الاسد ١٩٦٣م ـ ٩٠ صفحة ٠

٢ ـ الطفولة المبكرة فى السنوات الخمس الاولى ، للدكتور نورى الحافظ ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، مطبعة المعارف ـ بغداد ـ ١٣٦ صفحة ٠

٣ ـ نفائس المخطوطات العربية ، بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، الطبعة الثانية ـ منشورات مكتبة النهضة ، ١٠٨ صفحة ٠

٤ ـ المختصر النافع فى فقه الامامية ، للمحقق الحلي ـ ٦٧٦ هـ ، منشورات المكتبة الاهلية ـ بغداد ، ٣٣٦ صفحة ، الطبعة الثانية ، مطبعة النعمان ـ النجف ٠

٥ ـ نظرية أرسطو المنطقية ، « دراسة تحليلية لنظرية ارسطو في اللغة والمرجع المنطقي والقياس الحملي وقياس الجهات » للدكتور ياسين خليل ، مدرس المنطق والفلسفة في كلية الآداب ، مطبعة أسعد ـ بغداد ، ١٩٢ صفحة ٠ من منشورات المكتبة الاهلية ـ بغداد ، وقد ساعدت على طبعه جامعة بغداد ٠

٦ ـ الاعلام العربية ، دراسة لغوية اجتماعية ، للدكتور ابراهيم السامرائى ، ٩٤ صفحة ، من منشورات المكتبة الاهلية ـ بغداد ـ مطبعة اسعد ـ بغداد ٠

٧ ـ وحدة الوجود العقلي ، للاستاذ عبدالجبار الوائلي ، ساعدت وزارة التربية على نشره ، منشورات مكتبة النهضة ـ بغداد ٢٠٨ صفحة ٠

وثائق عربيـــة

٣ ـ النظام الاساسي لمنظمة التحرير الفلسطيني ٠
المتحـدة ٠

٢ ـ نص الاتفاقية بين الجمهوريتين العراقيـة والعربية

١ ـ البيان المشترك لاتفاقية ٢٦ مايس ١٩٦٤ ٠

بيـــــان مشترك

من الرئيسين عبدالسلام محمد عارف وجمال عبدالناصر

أذيع بعد ظهر السادس والعشرين من مايس ١٩٦٤ البيان المشترك عن زيارة المشير عبدالسلام عارف للجمهورية العربية المتحدة ٠ وفي ما يلي نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم : بيان مشترك ٠

بمناسبة انتهاء المرحلة الاولى من مشروع السد العالى وتلبية لدعوة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ٠٠ قام الرئيس عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية على رأس وفد عراقى بزيارة الجمهورية العربية المتحدة لحضور هذه المناسبة الخالدة فى الفترة من ١٣ مايو (أيار) حتى ٢٦ مايو (آيار) سنة ١٩٦٤ ٠

وكان تحويل مجرى النيل لاول مرة فى التاريخ الى مجراه الجديد تجسيدا لتصميم شعب الجمهورية العربية المتحدة بقيادته الوثرية على ما يرنو اليه الشعب من رفاهية ورخاء وتعبيرا عن ارادة تغلبت على كل ما واجهها من صعاب ٠

وزاد من روعة احتفالات اسوان ان حضرها ايضا كل من الرئيس نكيتـا خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي والرئيس عبدالله السـلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية والرئيس احمد بن بيلا رئس الجمهورية الجازئرية الديمقراطية الشعبية ٠ فكانت فرصة طيبة لتبادل الرؤساء الرأى حول الموقف الدولى والعلاقات بين بلادهم بعضهم ببعض فى اجتماعات ودية سادها جـو الصداقة ٠٠ كما شهد الرئيس عبد السلام عارف والوفد المرافق لسيادته بعض نواحى التقدم في الجمهورية العربية المتحدة ٠

وعبر عن تقديره الكامل للمشروعات الضخمة التى يتم تنفيذها كما عبر عن امانيه وتمنياته لشعب الجمهورية العربية المتحدة فى كفاحه المستمر لرفع

وقد اتاحت هذه الزيادة لقاءا رائعا بين الرئيس عبد السلام محمد عارف مستوى المعيشة فى ظل التحول الاشتراكى الذى يتمثل فى الكفاية والعدل ٠ وشعب الجمهورية العربية المتحدة الذى عبر بمشاعره القلبية الفياضة التـى

وقد اتاحت هذه الزيارة لقاءا رائعا بين الرئيس عبد السلام محمد عارف انطبعت بها مظار الاستقبال الشعبى عن قوة الصلات العميقـة بين الشـعب العراقى وشعب الجمهورية العربية لمتحدة ٠

وقد تمت عدة اجتماعات بين الرئيس عبدالسلام محمد عارف والرئيس جمال عبدالناصر سادتها روح الاخوة والتعاون الصادق والصراحة التامة .

وقد مثل الجانب العراقى فيها السيد صبحى عبد الحميد وزير الخارجية العراقية والسيد الدكتور عبدالرزاق محيي الدين وزير الوحدة والسيد شكرى صالح زكي سفير الجمهورية العراقية بالقاهرة .

ومثل الجانب العربى كل من المشير عبدالحكيم عامر النائب الاول لرئيس الجمهورية العربية المتحدة ونائب القائد الاعلى للقوات المسلحة والسيد على صبرى رئيس الوزراء والسيد الدكتور محمود فوزى نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية والسيد أمين هويدى سفير الجمهورية العربية المتحدة فى بغداد .

وقد تم هذه الاجتماعات بحث العلاقة بين البلدين والموقف العربى بوجه خاص والموقف الدولى بوجه عام .

وقد استعرض الرئيسان تطور العلاقات بين البلدين منذ ثورة ١٨ نوفمبر (تشرين الثانى) عام ١٩٦٣ واعربا عن ارتياحهما لنمو العلاقات بين البلدين فى شتى الميادين نموا مبنيا على الثقة المتبادلة كما تلاقت وجهات النظر بشكل تام عند بحث المسائل الداخلية والخارجية .

وكان ذلك داعيا لاتخاذ خطوة نحو تحقيق الوحدة معقد آمال الامة العربية وانطلاقا من ايمان الشعب بوحدته وتقديرا للتضحيات التى سقطت على طريق الوحدة وتجاربها الماضية .

فتوصل الطرفان الى مشروع اتفاق (يعتبر خطوة اولى فى سبيل تحقيق الوحدة .. يتم تنفيذه بعد المصادقة عليه بالطرق الدستورية المعمول بها فى كل من البلدين) .

ويعلن الطرفان تمسكهما بقرارات مؤتمر القمة العربي كوسيلة فعالة لمقاومة اسرائيل واطماعها وكطريق لاسترداد حقوق عرب فلسطين كاملة وعاملا مهما فى دعم العلاقات الاخوية بين البلدان العربية .

كما اعرب الرئيسان عن تأييدهما للمؤتمر الفلسطيني الذى سيبدأ انعقاده بالقدس من يوم ٢٨ مايو (ايار) عام ١٩٦٤ .

كما تم بحث الاعتداءات الوحشية التى تقوم بها القوات البريطانية فى منطقة عدن والجنوب المحتل ضد كل مبادىء الانسانية وقرارات الامم المتحدة ولجنة تصفية الاستعمار .

فان التضحيات التى يبذلها الشعب العربى هناك ما هى الا حلقة من سلسلة التضحيات التى تقدمها الامة العربية من أجل الحصول على حريتها .

وتأكيدا لضرورة تضامن كل القوى الوطنية العاملة للقضاء على الاستعمار بكافة اشكاله والاصرار على ازالة القواعد العسكرية الاجنبية التى تمثل اعتداء

صارخا على حرية الشعوب وتهديدا للامن الدولى ٠

ويؤكد الرئيسان تأييدهما المادى والمعنوى الكامل لكفاح الشعب العربى فى عدن والجنوب المحتل ٠

ونظر الرئيسان بقلق بالغ لتدهور الوضع فى سوريا نتيجة لحكم الارهاب ٠٠ الذى فرض على الشعب العربى فى سوريا ٠٠ تضحيات جسيمة كان يجب توفيرها لمعركة المصير العربى الواحد ٠

وقد بحث الرئيسان تطور الاوضاع فى الجمهورية العربية اليمنية تطورا هائلا بعد ازالة الحكم الفاسد هناك وانهما يعلنان الاستمرار فى تأييدهما للثورة اليمنية وتقديم كافة المساعدات لها ، وقد اكد الجانبان تمسك الشعبين بسياسة التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة كما اكد الجانبان تمسكهما بسياسة عدم الانحياز واشادا بالرغبات الصادقة المستمرة لعقد المؤتمر الثانى لدول عدم الانحياز المنتظر عقده بالقاهرة خلال هذا العام وكذا لعقد المؤتمر الثانى للبلدان الاسيوية والافريقية فى مارس عام ١٩٦٥ ٠

ويرجو الجانبان كل التوفيق للموؤتمر الثانى لرؤساء الدول والحكومات الافريقية المنتظر عقده بالقاهرة خلال هذا العام وتمنيا ان تساهم قراراته فى تقوية التضامن بين البلدان الافريقية وتقدم شعوب هذه القارة وازدهارها ويؤكد الرئيسان استمرار تأييدهما المادى والمعنوى المطلق لشعوب انكولا وموزنبيق وروديسيا الجنوبية وغينيا البرتغالية وجنوب افريقيا فى كفاحها ضد المستعمرين ويندد الطرفان بالاجراءات الوحشية التى يلقاها الوطنيون بتلك البـلاد على يد الاستعمار ٠

ويعلن الجانبان تمسكهما بقرارات الامم المتحدة والمنظمات الدولية التى تقضي بضرورة تصفية الاستعمار والعمل على منح الاسـتقلال لجميع الدول والشعوب المستعبدة وتحريرها الكامل من جميع صور التبعية والاستغلال كما يؤكد البيان ضرورة تدعيم الامم المتحدة واحترام قراراتها ٠

واعرب الرئيسان جمال عبدالناصر وعبدالسلام محمد عارف عن ارتياحهما الكامل لنجاح المباحثات التى دارت بينهما وتلاقى وجهات نظرهما فى جميـع المسائل التى بحثت مما يدعم العلاقات بين البلدين ٠

ويؤكد أهمية الاتصالات الشخصية التى تساهم فى خلـق الوحـد الفكرية وتثبيت وحدة الهدف ووحدة النضال على طريق الحرية والاشتراكيـ والوحدة وقد جدد الرئيس عبدالسلام عارف دعوته للرئيس جمال عبدالنا لزيارة العراق وقد قبل الرئيس جمال عبد الناصر الدعوة وترك موعد تحدي لسيادته فى الوقت المناسب ٠

فى ١٤ محرم سنة ١٣٨٤ هجرية المـوافق ٢٦ مايو (ايار) سـ ١٩٦٤ ميلادية ٠

نص الاتفاق بين الجمهوريتين العربية المتحدة والعراقية

اتفاق السادس والعشرين من مايس ١٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم :

ايمانا بوحدة الامة العربية ، وحدة نابعة من وحدة اللغة والتاريخ ووحدة نضال المصير العربى وادراكا بزيف الفرقة المصطنعة التى تعكسها التقسيمات السياسية الحالية على الارض العربية والتى فرضها الاستعمار وفق مصالحه فى الاستغلال والسيطرة فان الامة العربية تجد نفسها متمسكة بوحدتها من واقع التاريخ والتجربة ٠

لقد تجسدت آمال الامة العربية فى تجربة رائدة هى قيام الجمهورية العربية المتحدة التى ضمت سوريا ومصر لتثبت للعالم اجمع ان شعار الوحدة ليس أملا صعب المنال ولكنه حقيقة يمكن ان تثبت وجودها فى الواقع ، فتكاتفت عوامل الشر وتعاون الاستعمار والرجعية على تنفيذ جريمة الانفصال ولكن عبرة الانفصال خلفت وراءها تجربة غنية هى فى حد ذاتها درع يحمي الوحدة فى المستقبل ويزيد من التمسك بها واستمرت شعاراتها فى قلب كل عربى رغم المحاولات الطائشة لاعاقتها وكانت اتفاقية ١٧ ابريل (نيسان) عام ١٩٦٣ لتحقيق الوحدة بين سوريا ومصر والعراق ولكن انعدام النوايا الطيبة لدى البعض قضى أيضا على هذه المحاولة ولقد أثبتت التجربة ان مجرد شعار الوحدة ليس كافيا لتحقيقها ولابد من تشكيل التنظيمات الشعبية التى تصون الوحدة ولابد من توحيد التنظيمات الشعبية على المستوى القومى بمفاهيم مشتركة واضحة فوحدة الفكر تقود الى وحدة العمل الذى يجب أن يكون مبنيا على الواقع ويتم تنفيذه بطريقة ثورية تفتح المجال الى تحقيق الوحدة الشاملة وان المفهوم الثورى للوحدة أساسه وحدة الشعوب وحدة قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة والحق فى الثورة ، وحدة المجتمع الاشتراكي العربي ، مجتمع الكفاية والعدل الذى يستهدف النضال الاجتماعى العربى ويسعى اليه ليكون للوحدة العربية مضمون اجتماعى الى جانب مضمونها السياسى يعبر عن اصرار الشعب العربى على اقامة غد جديد حر للانسان العربى الحر ٠ وبهذا كله وانطلاقا منه نيابة عن شعبى الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية وحكومتيهما فان عارف رئيس الجمهورية العراقية وجمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة اتفقا على ما يلى :

المادة الاولى :

يشكل مجلس رئاسة مشترك لكل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ورئيس الجمهورية العراقية وعدد من الاعضاء ٠

المادة الثانية :

آ - يجتمع مجلس الرئاسة المشترك مرة كل ثلاثة أشهر كما يجتمع فى الحالات الضرورية باتفاق رئيسى الجمهوريتين المتعاقدين .

ب - مقر مجلس الرئاسة المشترك مدينة القاهرة ويجوز دعوة المجلس للانعقاد فى وجهة أخرى بناء على اتفاق الرئيسين :

المادة الثالثة :

قرارات مجلس الرئاسة المشترك الزامية ونافذة بمجرد تصديق المجلس عليها عدا القرارات التى تحتاج الى استصدار قانون ويكون تنفيذها بعد المصادقة عليها حسب النظم الدستورية المعمول بها فى كل من البلدين .

المادة الرابعة :

يجرى العمل بمجلس الرئاسة المشترك طبقا للائحة الداخلية التى يضعها المجلس وتصبح نافذة المفعول بمجرد اقرارها من المجلس .

المادة الخامسة :

يختص مجلس الرئاسة المشترك بما يلى :

اللازمة لاقامة الوحدة بين البلدين .

آ - دراسة وتنفيذ الخطوات .

ب - تخطيط وتنسيق سياسة البلدين فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفى ميدان الاعلام .

ج - تحقيق الوحدة الفكرية بين شعبى الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية عن طريق التنظيمين الشعبيين فى البلدين والعمل على توحيد التنظيمين فى المستقبل .

المادة السادسة :

آ - تعين كل من الحكومتين اعضائها فى المجلس بالشكل التالى :

١ - ثلاثة اعضاء متفرغين على ان يكونوا بدرجة وزير .

٢ - ثلاثة اعضاء غير متفرغين من بين اعضاء الحكومة .

ب - يقوم الاعضاء المتفرغون لمتابعة تنفيذ قرارات مجلس الرئاسة المشترك وتنسيق الاعمال بين اللجان المشتركة وتقديم الدراسات والتوصيات الى مجلس الرئاسة المشترك عند انعقاده .

جـ - ويجوز لمجلس الرئاسة المشترك أو اللجان المشتركة دعوة خبراء وفنيين من كلا البلدين لحضور اجتماعاتها اذا اقتضت الضرورة ذلك ٠

المادة السابعة :

تنشأ المنظمات المشتركة الاتية :

آ - اللجنة السياسية ٠
ب - القيادة العسكرية ٠
جـ - اللجنة الاقتصادية ٠
د - لجنة الثقافة والاعلام ٠
و - لجنة الفكر الاشتراكى العربى ٠
و - لجنة التنظيم الشعبى ٠
ط - اى لجان اخرى تقتضى الضرورة تكوينها ٠

وتقوم هذه اللجان بدراسة واعداد الموضوعات المختلفة الكفيلة بتحقيق الغرض من هذا الاتفاق والموضوعات التى تحال عليها فى مجلس الرئاسة المشترك ٠

المادة الثامنة :

آ - تختص القيادة العسكرية المشتركة بتنسيق وتسليح وتدريب القوات المسلحة فى البلدين ووضع خطط العمليات وتحريك القوات المسلحة كما تتولى قيادتها وقت الحرب ٠

ب - تتخذ القيادة العسكرية المشتركة التدابير الكفيلة لمواجهة الحرب أو خطر الحرب ويعتبر أي اعتداء أو تهديد بالاعتداء على أى من الدولتين موجها للدولة الاخرى ٠

المادة التاسعة :

وللمجلس امانة عامة مقرها القاهرة ويتولى ادارتها امين عام بدرجة وزير وتختص بما يلى :

آ - توجيه الدعوة لعقد مجلس الرئاسة المشترك ٠

ب - تحضير الموضوعات التى يبحثها المجلس ٠

جـ - تدوين محاضر جلسات مجلس الرئاسة المشترك والمنظمات المشتركة ونشر القرارات بعد المصادقة عليها بالطرق الدستورية المعمول بها فى كل من البلدين ٠

د - وضع ميزانية مجلس الرئاسة المشترك والامانة العامة والمنظمات المشتركة المنصوص عليها فى المادة السابعة ٠

المادة العاشرة :

آ - تدفع ميزانية مجلس الرئاسة المشترك والمنظمات المشتركة مناصفة بين الحكومتين المتعاقدتين .

ب - تتحمل كل دولة الرواتب والتعويضات الخاصة بالاعضاء والموظفين المعينين من قبلها وفق انظمتها المالية الخاصة بها .

المادة الحادية عشرة :

ليس فى أحكام هذا الاتفاق ما يمس الحقوق والالتزامات المترتبة أو التى قد تترتب على كل من الدولتين بمقتضى ميثاق الامم المتحدة وليس فى الاحكام المتقدم ذكرها كذلك ما يخل باحكام أى اتفاقية معقودة داخل نطاق الجامعة العربيـة .

المادة الثانية عشرة :

يبقى هذا الاتفاق نافذ المفعول حتى اتخاذ الترتيبات اللازمة لاقامة الوحدة.

المادة الثالثة عشرة :

يعتبر الاتفاق نافذا بمجرد التصديق عليه بالطرق الدستورية المعمول بها فى كل من البلدين .

صدر هذا الاتفاق فى القاهرة بتاريخ ١٤ محرم سنة ١٣٨٤ هجرية الموافق ٢٦ يوليو (ايار) سنة ١٩٦٤ ميلادية بنسختين اصليتين واحتفظ كل من الطرفين بنسخة منها وتوضع صورة من الاتفاق لدى الامانة العامة لجامعة الدول العربيـة .

عن الجمهورية العراقيـة
امضـاء

الرئيس عبدالسلام محمد عارف
السيد صبحى عبدالحميد
الدكتـور عبدالرزاق محى الدين
السيد شكرى صالح زكى

عن الجمهورية العربية المتحدة
امضـاء

جمال عبدالناصر
المشير عبد الحكيم عامر
السيد على صبرى

النظام الاساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية

نشر الاستاذ احمد الشقيرى ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية فى اوائل شهر آذار الماضى مشروع النظام الاساسى لمنظمة التحرير الفلسطينية، وها نحن اولاء ننشر نصه في أدناه :ـ

بسم الله الرحمن الرحيم :

١ ـ تنشأ بموجب هذا النظام الاساسى منظمة تعرف ـ بمنظمة التحرير الفلسطينية ـ تباشر مسؤولياتها وفق مبادىء الميثاق الوطنى واحكام هذا النظام الاساسى وما يصدر استنادا اليهما من لوائح وانظمة ٠

٢ ـ الفلسطينيون جميعا أعضاء طبيعيون فى منظمة التحرير يؤدون واجبهم فى تحرير وطنهم قدر طاقاتهم وكفاءاتهم ٠

٣ ـ يكون الشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة الفلسطينية وتعمل المنظمة بعد قيامها على الاتصال الدائم بالشعب الفلسطينى وتنظيمه وتعبئته بحيث يكون قادرا على الاضطلاع بمسؤوليته القومية فى تحرير وطنه ٠

٤ ـ الى ان تتم الظروف الملائمة لاجراء انتخابات عامة حرة بين جميع الفلسطينيين وفى جميع الاقطار التى يقيمون فيها تنشأ منظمة التحرير وفق القواعد المذكورة فى هذا النظام ٠

٥ ـ تتخذ التدابير المنصوص عنها فى هذا النظام للدعوة الى مؤتمر فلسطيني عام يمثل جميع الفئات الفلسطينية بين لاجئين ومقيمين بما فى ذلك المنظمات والهيئات والاتحادات والنقابات وذوو الرأى من مختلف الاتجاهات الفكرية ، ويعرف هذا المؤتمر ـ بالمجلس الوطنى لمنظمة تحرير فلسطين ـ ٠

٦ ـ تحضيرا وتيسيرا لاعمال المؤتمر يؤلف ممثل فلسطين لدى الجامعة العربية بعد التشاور مع مختلف الفئات الفلسطينية ، ما يلى :

أ ـ لجنة تحضيرية فى كل دولة عربية يكون فيها عدد الفلسطينين عشرة آلاف فما فوق ، وتكون مهمة كل لجنة من هذه اللجان تحضير قوائم ترشيح بموجبها اعضاء المؤتمر من الفلسطينيين المقيمين فى تلك الدولة كما تقوم هذه اللجان باعداد الدراسات والمقترحات التى تسهل على المؤتمر انجاز اعماله وتقديم ذلك كله الى لجنة التنسيق المنصوص عنها أدناه ٠

ب ـ لجنة تنسيق ومقرها مدينة القدس وتكون مهمتها توجيه الدعوة للمؤتمر واتخاذ جميع التدابير اللازمة لعقده وتنسيق المقترحات والدراسات وقوائم المرشحين لعضوية المؤتمر مما هو مذكور اعلاه وكذلك اعداد جدول

مؤقت للاعمال • وعلى الجملة القيام بجميع ما يتصل بشؤون المؤتمر وما يكفل له النجاح فى اداء رسالته •

٧ - ينعقد المجلس الوطنى مرة فى كل عامين ويكون مكان انعقاده فى القدس وغزة على التعاقب ، كما يعقد وفق البند الخامس عشر من هذا النظام ويجتمع المجلس الوطنى لاول مرة فى ١٤ مايو سنة ١٩٦٤ فى مدينة القدس •

٨ - يكون لهذا المجلس مكتب رئاسة مؤلف من الرئيس ونائبين للرئيس ومقرر وأمين عام ينتخبهم المجلس فى بدء انعقاده •

٩- يؤلف المجلس تيسيرا لاعماله اللجان الآتية :

آ - اللجنة السياسية : وتختص بدراسة الجوانب السياسية لقضية فلسطين فى المجالين العربى والدولى •

ب - لجنة الميثاق والانظمة واللوائح وتنظر فى الميثاق الوطنى ومختلف الانظمة واللوائح التى تقتضيها اعمال المنظمة •

جـ - اللجنة المالية وتضع مشروعها كاملا للصندوق القومى لفلسطين لتمويل اعمال المنظمة •

د - لجنة الاعلام وتضع مشروعا مفصلا بالاعلام والمكاتب المزمع انشاؤها فى مختلف الدول فى العالم •

هـ - اللجنة القانونية : وتدرس مختلف النواحى القانونية لقضية فلسطين سواء بالنسبة الى مبادىء القانون الدولى أو ميثاق الامم المتحدة ، وسائر الوثائق الدولية المتعلقة بقضية فلسطين •

و - لجنة المقترحات والترشيحات : ومهمتها تنسيق المقترحات والترشيحات التى تقدم الى المجلس •

ز - لجنة التوعية : وتختص بدراسة وسائل التثقيف والتنشئة التى تهيىء الاجيال الناشئة فكريا وروحيا لخدمة بلادهم والعمل لتحرير وطنهم •

ح - لجنة التنظيم القومي : وتكون مهمتها وضع الخطط العامة بشأن النقابات والاتحادات والمنظمات الرياضية والكشافة وتنسيق جهودها ، وتحديد علاقاتها بالمنظمة ، مع مراعاة القوانين والانظمة المعمول بها فى الدول العربية •

١٠ - تقدم هذه اللجان تقاريرها وتوصياتها الى المجلس الوطني الذي يقوم بدوره بمناقشتها ويصدر بشأنها القرارات اللازمة •

١ - يكون للمجلس الوطنى جهاز تنفيذى يعرف باللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، يباشر جميع مسؤولياتها منظمة التحرير وفق الخطط العامة والقرارات التى يصدرها المجلس الوطني •

١٢ - تكون اللجنة التنفيذية مؤلفة من خمسة عشر عضوا ينتخبهم المجلس الوطني وتنتخب اللجنة بدورها رئيسا ونائبين للرئيس وأمينا عاما •

١٣ - تدعى اللجنة التنفيذية للانعقاد فى المكان والزمان اللذين يقررهما

رئيس اللجنة أو بناء على طلب مقدم من خمسة أعضاء من اللجنة التنفيذية •

١٤ ـ يكون رئيس اللجنة ممثلا لفلسطين لدى جامعة الدول العربية وبهذه الصفة يكون مكتبه فى القاهرة باعتبار انها المقر الدائم للجامعة العربية •

١٥ ـ تنشىء اللجنة التنفيذية الدوائر الاتية :

أ ـ دائرة الشؤون السياسية والاعلامية •

ب ـ دائرة الصندوق القومي •

ج ـ دائرة الشؤون العامة •

ويكون لكل دائرة مدير عام والعدد اللازم من الموظفين • ويحدد اختصاص كل دائرة بنظام خاص تضعه اللجنة التنفيذية •

١٦ ـ يحق للجنة التنفيذية ان تدعو للانعقاد المجلس الوطنى فى الزمان والمكان اللذين تقررهما وان تدعو اية لجنة من لجان المجلس الوطنى لدراسة موضوع معين وتقديم تقرير بذلك •

١٧ ـ يكون للمنظمة مجلس يعرف بمجلس الشورى تختار اللجنة التنفيذية رئيسه واعضاءه من ذوى الرأى والمكانة من الفلسطينيين ويكون اختصاص المجلس استشاريا فى الامور التى تعرضها عليه اللجنة التنفيذية •

١٨ ـ تفسح الدول العربية لابناء فلسطين فرص الانضمام الى جيوشها النظامية على أوسع نطاق ممكن •

١٩ ـ تشكل وحدات فلسطينية خاصة وفق الحاجات العسكرية والخطة التى تقررها القيادة العربية الموحدة بالاتفاق وبالتعاون مع الدول العربية المعنية •

٢٠ ـ ينشأ صندوق يعرف بالصندوق القومى الفلسطينى لتمويل اعمال المنظمة • ويكون للصندوق مجلس ادارة ينتخب اعضاؤه من قبل المؤتمر •

٢١ ـ موارد الصندوق القومى تتألف من :

آ ـ ضريبة ثابتة على المواطنين الفلسطينيين تفرض وتجبى بنظام خاص •

ب ـ المساعدات المالية التى تقدمها الحكومات والشعوب العربية •

ج ـ طابع التحرير الذى تنشئه الدول العربية لاستعماله فى المعاملات البريدية وغيرها •

د ـ التبرعات فى المناسبات القومية •

و ـ القروض والمساعدات العربية أو التى تقدمها الشعوب الصديقة •

٢٣ ـ تكون فى البلاد العربية والصديقة لجان تعرف بلجان نصرة فلسطين لجمع التبرعات وتأييد المنظمة فى مساعيها القومية •

٢٣ ـ يحق للجنة التنفيذية أن تصدر من اللوائح ما يحقق الاختصاصات الواردة فى هذا النظام •

٢٤ ـ يعرض هذا النظام الاساسى على المجلس الوطنى للنظر فيه ، وبعد اقرار ما يجب اقراره لا يعدل الا باكثرية الثلثين من قبل المجلس الوطنى •

ما بقي من الموسم الثقافي

المحاضرة	المحاضر
القيم الحضارية والمجتمع الجديد	الدكتور عبدالجبار العريم
رسالة الجامعة	الدكتور عبدالعزيز الدوري
صلة الاسلوب بالفكر	الدكتور عبدالرزاق محي‌الدين
تطور القصة في العراق	عبدالله نيازي
	عامر رشيد السامرائي
الحياة الفكرية في ليبيا	الدكتور جميل سعيد

يكون موعد المحاضرات الساعة السابعة والنصف من مساء ايام الاربعاء في مقر الجمعية في شارع عمر بن عبدالعزيز ٠

وستبقى الندوات المفتوحة في أماسي الجمع ليلقى الاعضاء فيها نقد الكتب والتلاوة الشعرية والقصص وغيرها مما يعنّ للاعضاء الكرام مما لم يدرج في المنهج ٠

الى الاعضاء جميعاً

دعوة الى المساهمة في نشاط الجمعية

رغبة في تنشيط الحركة الادبية والثقافية واشراك أكثرية أعضاء الجمعية في هذا النشاط ٠ رأت الهيئة الادارية ضرورة اقامة ندوات ثقافية وأدبية ونقدية دورية داخل بناية الجمعية ، تتضمن الشعر والقصة والبحوث والنقد واستعراض للمؤلفات المختلفة ، وغير ذلك من الخواطر الفكرية والادبية والثقافية ٠

فنرجو التفضل باخبارنا باسرع وقت ممكن وبالموضوع الذي تودون تقديمه٠ لنقوم بتنسيق هذا النشاط وتحديد المواعيد بالحقل الذي تساهمون فيه ٠

كما يرجى التفضل بارسال اخباركم العلمية والادبية ومؤلفاتكم الى هذه الجمعية ليتسنى لنا الكتابة عنها أو التنويه بها ٠

الدكتور يوسف عزالدين
السكرتير

فهرس الـكتاب

الكتاب

مجلة شهرية ثقافية

تصدرها جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين
بغداد الجمهورية العراقية
رئيس التحرير : الدكتور عبدالهادي محبوبة

بدل المشاركة :

في بغداد : دينار واحد
خارج بغداد : دينار وربع
خارج العراق وللدوائر الرسمية
ديناران

للطلاب والعمال والجنود
في بغداد : ٦٠٠ فلسا
خارج بغداد : ٨٥٠ فلسا
ثمن العدد ١٥٠ فلسا

الادارة ـ في مقر الجمعية ـ شارع عمر بن عبدالعزيز ـ الاعظمية

هاتف : ٢٣٩٥٩

مطبعة أسعد بغداد

AL-KItAB

A Monthly Cultural Review

ISSUED BY
IRAQI WRITERS & AUTHORS ASSOCIATION
BAGHDAD

No. 3 & 4 Vol 2 June & July 1964